

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190784

UNIVERSAL
LIBRARY

حكمة المولى

تأليف

المستر شارلس جارفيس

تقريب

محمد علي

(نشرت تباعا بجريدة الاهرام)

١٩٢٦ - ١٣٤٥

يطلب من المكتبة التجارسة الكبرى بأول شارع محمد علي بصدر
صاحب مصطفى محمد

مطبعة التقدم شارع محمد علي بمصر اصحابها حسين علي

الفصل الاول

في كوخ خشبي عتيق قائم في طرف احدى غابات استراليا ، رقدت امرأة على فراش موتها تحتضر

وكانت دلائل السلام تحف بها وهي تسلم الروح ، وقد ارتسمت ابتسامة رقيقة على وجهها الذابل النحيل الذي رسم الزمن عليه خطوط الحياة — حياة لم تكن طويلة الامل ولكنها كانت مملوءة بالالام والاحزان

وكانت شفتاها تتحركان من وقت الى آخر فيلتقط شاب كان جاثيا بجانبها منها كلمات أو عبارات متقطعة

وكانت افكارها قد عادت بها الى أيام صباها التي قضتها في وطنها الذي لا ينسأه غريب في منفاه ، ولذي تسبح الروح اليه قبل انتقالها الى العالم الآخر حيث تكون أنعم بالا وأعظم سلاما من كل بلد ووطن

أخيرا انقطع صوتها وحولت عينها الى ولدها الجاني بجانب فراشها بعد أن ذهب الماضي ومثل لها الحاضر ثمانية فدت يدها في بطاء ثم وضعتها على رأس ولدها وتمتمت قائلة

— رالف ؟

وكان الشاب يحب أمه حباً عظيماً فقال وقد خنقته العبرات

— ها أنا يا أمه ، هل تشعرين بألم ما ؟

فجابت أمه قائلة

— كلا يا عزيزي ، لا أشعر بألم مطلقا وإنما أحس بتعب شديد كأنما أريد

النوم . رالف ، ان النوم من أحسن نعم الله على الانسان . والآن أريد ان احدثك قبل ان أفضى يارالف فان لدى أمراً أريد ان اخبرك به ، أمراً كان يجدر بي ان اطلعك عليه منذ أعوام مضت ، منذ كبرت وترعرت واستطعت ان

تدرك ماى العالم من حوادث وشئون . على اننى جبانة يارالف ، لست مثلك
لا احجم عن مجابهة الاخطار والمتاعب واعمل الحق والصواب مهما كلفنى . نم
كنت دائما جبانة ، وجبنى هو الذى جر على المتاعب والاهوال
فقال رالف بصوت خافت متقطع

— لقد كنت دائما أشجع النساء واصلحهن يا أماه

فقال المرأة فى حزن

— كلا . بل كنت اضعفهن يا عزيزى . كنت أحلم الآن يارالف أفعدت بى
أفكارى الى الماضى ، الى الوقت . . . الى الوقت الذى تزوجت فيه . والان أريد
ان أحدثك عن أبيك ، فقد كتمت عنك الحقيقة — الحقيقة كلها

فسألها الشاب بلهجة الالحاح قائلا

— هل من الضرورى ان تملق نفسك يا أماه ؟ لقد مات أبى قبل ان اولدنا
الفائدة من ذكر أمور حدثت منذ أعوام عديدة ؟ لقد عشنا معا سعيدين فلم تعد
لعماضى أهمية تذكر

وفما كان رالف يتكلم ، اذ برز رجل من الغابة خفية وأخذ يقترب من
الكوخ ثم دنا من المافذة فى حذر حتى سقط النور الذى كان ينبعث من خلال
الستارة على وجهه وجسمه . وكانت دلائل الخشونة والقسوة بادية عليه ، لاسما
فى عينيه اللتين أتلعهما الرمد ، وشفتيه الغليظتين بسبب الادمان على شرب الخمر
وشعره القصير التذر ، وقصارى القول كان فى مجموعه أشبه بشبح خفيف منه بانسان
اطل الرجل من حول الستارة ونظر الى الغرفة الانيقة الصغيرة فلمعت عيناه
الخبيثتان وهو ينتقل نظراته من وجه المرأة التى تحتضر الى الشاب الجائى بجانبها
ولم يكن فى وسعه رؤية وجه رالف — لان الشاب كان محولا ظهره نحوه —
فأخذ يتربق قليلا ثم اختفى وراء الستارة وأخذ يسترق السمع

اجابت المرأة ابنها على ملاحظته فقالت

— كلا . كلا . يجب ان أخبرك . يجدر بك ان تعرف كل شىء . . . لما

كنت شابة صغيرة . . .

« انحبس صوتها وتجلت في عينيها دلائل القلق والشقاء . ولا عجب فقد ولى الحاضر وعاد اليها الماضي ثانية — لا الماضي السعيد الذى قضته فى انكسرتا ، بل الماضي التعيس الذى قضته هنا فى استراليا ، فأخذت تهذى قائلة

— لا تضرب . . . لا تضرب الصبي يا جاك ! لقد كنت لك زوجة مخلصنة فلا تكن قاسيا على الصبي ! سأعطيك النقود . . . لا تبك يا رالف ، لا تبك يا عزيزى ولا تحف . انه لا يضربك ثانية هيا ، هيا ، تعال الى أمك

تصلب وجه رالف ، اذ علم انها تفكر الان بزوجها الثانى — وهونذل سافل لا يكاد يذكره ، لان الوحش كان قد هجر زوجته الشقية عند ما كان رالف طفلا صغيرا فصاح قائلا

— أماء ! أماء !

والظاهر ان صوته جذب أفكارها السانحة وردها اليها فشبهت شهقة طويلة ارتاحت اليها ولكنها ظلت ترتجف وقالت

— زعمت ان زوجى جاك عاد يا رالف وانه يضربك كما كان يفعل من قبل فقال الشاب

— ليس هنا يا أماء ، ولن يعود فقد ذهب منذ أعوام . ثم ان يقلبك مرة أخرى ، فلا تفكرى به بمد الان

— نعم . نعم . سأقصيه عن أفكارى . لقد عاملنى كما عاملك بالقسوة والوحشية ، وكان يجدر بى ان لا اقترن به . . . ولكنى كما قلت لك كنت دائما ضعيفة جبانة

وكانت أنفاسها تختلج فى صدرها ، ولم يبق وقت طويل تبوح فيه بالسر الذى كان مثل كابوس على روحها التى تريد الاسراع الى خالقها فقالت المرأة فى تألم — الاوراق . . . الشهادات ! لقد اخفيته دائما فى مكان سرى . . . بعيدا عن جاك . لقد تركته يظن بى شر انظنون ، لاننى لم أكن اجهل انه لو علم الحقيقة

استغلها لنفسه . ثم تركت اباك يعتقد اننى فى عالم الاموات ولم اعبأ بالنصحىة بل أردت ان اكفيه عار الزواج بامرأة وضيعة مثلى . . . الشهادات يارالف ! انها فى الصندوق الصفيح مع بعض الاشياء التى اعطاها لى . . . أبوك يارالف اشتدت آلام أنفاسها وخفت صوتها حتى كاد لا يسمع ، فانتقطعت عن الكلام هنيهة ثم استطردت فى حديثها فقالت

— فى الصندوق . . . فى الغرفة التالية . . . الصندوق الذى جئت به من انكارترا . . . يوجد تحت يد الدرج لولب . . . ارفع اليد تجد زرا صغيرا . انحبس صوتها وانغمضت عينيها ، فمال رالف فوق أمه ورفع جسمها النحيل الى صدره الواسع . ولم تكن قد فارقت الحياة بعد ولكن أنفاسها كادت تنقطع ، فقام واعطاها جرعة من دواء بجانبه على المنضدة ثم جعل يراقبها فى تألم وتوجع وكان الرجل الذى وقف يقرب فى الخارج قد ممع كل شيء ، فلما ذكرت المرأة الشهادات والصندوق ، بدت على وجهه دلائل الهممة المقرونة بالجشع والدهشة المطوية على حب الذات ، فابتعد عن النافذة ثم فكر هنيهة وسار حول الكوخ الى الباب الخلفى فوجده مفتوحا لان حرا الصيف فى استراليا كان شديدا ، فدخل الغرفة دون انتظار ثم وقف يقرب الطرف فى جوابها ولم يلبث ان وقع نظره على صندوق كبير من الخشب فوثب اليه ورفع غطاءه فوجد اللولب ثم اخرج من الدرج صندوقا صغيرا من الصفيح ولم يكمد يجمله فى يده حتى سمع صوت المرأة ثانية فى الغرفة المجاورة تقول

— الشهادات يارالف . . . الشهادات !

انزع الرجل غطاء صندوق الصفيح فوجد غلافا مختوما تحته بضع قطع من الحلى ، فهم بافراغ كل ما فى الصندوق فى جيوبه ولكنه عدل عن فكرته وأخذ الغلاف المختوم فقط ، ثم وضع الصندوق الصفيح فى مكانه ثانية واغلق غطاء الصندوق الخشبى الكبير

سمع اللمس فى هذه اللحظة عينها وقع اقدام الشاب يقترب من الباب القائم

بين الفرقتين فأخفى كالبرق خلف ستارة النافذة ثم استل مديته ووقف يتربق بقلب شديد الخفقان

ذهب رالف الى الصندوق الخشبي الكبير فضغط على اللولب ثم اخرج صندوق الصفيح وعاد به الى غرفة أمه قائلا
— هاهو يا أماه

فقال المرأة وهي تلهث

— افتحه !

صدع الشاب بامرها . على ان عينيها الضعيفتين رأتا ما ارتسم على وجه ابنها انه لم يجد ما كان يتوقع رؤيته . والواقع قال رالف بلسان متلعثم
— لا أرى غير بعض حلى وجواهر يا أماه
فقال المرأة وهي تلهث

— كلا . كلا . الشهادات ، المستندات . كانت هناك . لقد رأيته قبل مرضي انها هناك . انظر ثانية . . . ابحث جيدا . رالف . . . ثروثك . . . انك . . . انك . . . اين . . . الشهادات يا رالف !

حبست حشرجة الموت صوتها فلم تفه بكلمة اخرى . ثم سقط الصندوق من يد الشاب فطوقها بذراعيه كأنما اراد ان ينتشها من مخالب الموت ، ولكن لا يستطيع احد ان ينقذ من يد الموت ، من حانت منيته

وضع رالف جثة امه على الوسادة واغمض عينيها ثم جثا على ركبتيه بجانبها وقد تغلبت عليه صدمة حرمانه ، فقد كانت امه الصديق الوحيد له في العالم .
وها قد اسلمت الروح !

جلس اللورد لينبرو امام مكتبه في كرسي ذي متكا من الجانبين ، مضجعا الى الوراء يحمل ذقنه بيده ، ينظر بعينييه الحادتين الملتهمبتين كقطعتين من الجمر من خلال اصابعه النحيله الى الامام ، بوجه شاحب مجمد ، على حين جلس امامه

المستر بولتون محامى الاسرة ، ينظر الى الشيخ النبيل وهو حائر لا يدري أية
حادثة فى حياة اللورد المملوءة بالحوادث تشغل باله الان

أخيرا قال الشيخ بصوته البارد الرفيع
— نم استقر رأيى يا بولتون . وقد نجحت تجربتى اوبالحرى تجربتك ووقع
اختيارى على فيرونيكا

فقال المحامى

— اذا كان الامر كذلك فانتى اهنى نفسى ايها اللورد لان الانسة فيرونيكا.
فقاطعه اللورد قائلا

— لاريب انها مثال الملاحه والفضيلة ، وكل شىء حسن . لاريب فى ذلك ،
لاريب فى ذلك ! انتى لا أخضع لاحد فى اعجابى بها ، والمعروف انك جعلت من
نفسك غرا ابله فزعمت انها كاملة

— انتى اقبل هذا القول ياسيدى واقول ان الانسة فيرونيكا كاملة ،
فهل تنوى ...

تقاطعه اللورد قائلا

— أن اترك لها « وينفورد » وثروتى الخاصة . اما تالبت دنى فسأترك له
اللقب والاملاك وهى كافية لى — ولو انتى اشك فى انها تكفيه

سكت اللورد هنيهة بحالة ذات مغزى لانه لم يكن شديد الميل الى ابن اخيه

نم ماد فقال

— انها تكفينى تماما ...

فقال المحامى

— ان نغامتك والمستر تالبت دنى شخصان مختلفان

فاجابه اللورد بلهجة انتقاد شديدة قائلا

— شكرا يا بولتون

— ان المستر تالبت شاب عظيم القدر ، اخذ يكسب نفسه ممة عظيمة وقد

بدأ يعلوا في اعين الشعب

— له أن يعلو في اعين الشعب ماشاء ولكنى لا اميل الى البحث في فضائل
تالبت ولا مزايه المتعددة . ولما كنا قد تكلمنا عن فيرونيكا فاطلب اليك أن
تكتب وصية تعطيها ثروتى ووينفورد على شرط واحد — وهو أن تزوج برجل
صاحب لقب

فعض المستر بلتون شفته وقال

— ان الانسة فيرونيكا ذات انقة وكبرياء يامولاي

— اننى اعتمد على كبريائها . ولعمري يحرى في عروقتها دم نسب وضيع اذ
كانت امها ...

— شابة محترمة كل الاحترام

— اننى اتقبل كلمتك يا بلتون لاننى لم ارها

— كانت شابة فتاة . وعلى كل حال ليست هذه أول مرة تزوج فيها رجل
بمن هو دونه

كان قوله هذا حقيقة لامرية فيها ولكنها احدث تأثيراً غريباً في نفس
اللورد لينبرو فارخى يده عن رأسه وتورد وجهه الابيض قليلا واتقدت عيناه
السوداوان غضباً وارتياحاً . ولكن لم تلبث دلائل الاتفعال هذه أن تلاشت
بسرعة كما اتت ، وافسحت الطريق لابتسامته العادية التى لا تخفى شعوره
وهو يقول .

— هو ماتقول . هو ماتقول . ولكن هذا لا يمنع الحقيقة الواقعة وهى
وجود ذلك الدم في عروقتها ولذلك يجب أن احترس منه . سأترك لها ثروتى مع
بستان وينفورد الذى اهتم به قبل كل شئ آخر في العالم . لذلك لا اريد أن يستولى
على ثروتى رجل من العامة ويشارك فيرونيكا في املاكها . وقد كنت افضل أن
يثول البستان والمال الى تالبت ولكن شرطى سهل بسيط على كل حال . وسنعرضه
عليها ، فاذا قبلته كان بها والا ...

اشار اللورد برأسه ثم مال الى الورا كائما فرغ من جداله وقال
يجدر بنا أن نستطلع الآن رأيها يابلتون
فقبل المحامى اقتراحه قائلا

— لك أن تستطلع رأيها الآن أو في أى وقت آخر يامولاي
ضغط اللورد لينبرو على زر الجرس المعاق بكرسيه فلما جاء الخادم امره أن
يستدعى الآنسة فيرونیکا الى المكتبة
فتح الباب بعد قليل ودخلت الفتاة التى كانت موضوع حديث الرجلين
منذ هنيهة .

— نعم ان وصف ملامح المرأة وتقاطيعها يكون في جميع الاحوال ناقصا
ومضللا في اغلب الاحيان ، ولكن يتعذر على الكاتب أن يعين مواضع الملاحظة
الفنائة في وجه فيرونیکا دى — الملاحظة التى يتأثر بها كل من يراها . فقد كانت
عينها رماديتين تتحولان في بعض الاحيان الى لون بنفسجى ، يعلوها حاجبان
اسودان مستقيمان ، صغيرة الفم ساحرته تدل ثاياه على رقة نسائية تزيد على
المستوى العادى لاسيما عند ابتسامتها ، لولا دلائل الكبرياء التى تتجلى في زوايا
شفتيها وفي وضع رأسها الصغير . هذه اوصاف وجهها فهل يمكن تلخيصها في كلمة
واحدة — جميلة ؟

قالت الفتاة عند دخولها

— هل ارسلت في طلبى ايها اللورد لينبرو ؟
خاطبت فيرونیکا اللورد بلبته ولم تخاطبه بقولها « ياعماء » لان روح الكبرياء
التي اشار اليها المستر بلبتون لم تدعها تنسى انها عالة على غيرها وانها عرضة لمفادرة
قصر اللورد في كل وقت
اجابها اللورد قائلا

— نعم يا فيرونیکا ، اجلسي
جاءها المستر بلبتون بكرسى جلمست عليه وانتظرت في هدوء وسكون ،

فقلل اللورد

— لقد استقر رأيي على أن أترك لك وينفورد ومبلغا من المال — وهو كل ما املك في الواقع من ثروة
لم ترتجف الفتاة ولكن صبغ وجهها بلون وردي خفيف ، وقالت بصوت رقيق
— ولكن لماذا .. ؟

— لماذا أتركها لك ؟ حسن ، في وسعي أن أقول ان هذه رغبتى وهذا ما يسرنى
ولكن لا قل اننى افعل ذلك لانك تسريننى ...

همت فيرونيكا بالكلام ولكن رفع اللورد يده وقال:

— انتظرى ، انتظرى قبل أن تعربى عن شكرك يا عزيزتى فيرونيكا . فان
هناك شرطا — ولا أخالك تجهلين ان فى كل شيء مهما كمل نقصا — ارى ان
شرطى سهل بسيط ولكن المستر بلتون لم يقرنى على ذلك ، وسنرى الآن الى
من تضمن رأيك . أما شرطى فهو ان تزوحى رجلا صاحب لقب
لزمت الفتاة الصمت . وكانت عيناها تنظران الى عينيه فى شيء من الغرابة
ولكن لم يكن بهما ما ينم على الدهشة ، فقال اللورد

— هل تظنين ان هذا الشرط سخيف ؟ لا أعارضك فى رأيك ، ولكن لك
ان تسميه سورة خاطر او نزوة خيال . تزوحى رجلا ذا لقب وجاه تكن لك
« وينفورد » مع ثروتى هذا هو شرطى ، فلك ان تقبله او ترفضه
ظلت الفتاة قابضة على زمام عواطفها ولكنها قطبت جبينها قليلا . ثم لزمت
الصمت هنيئة خالها المستر بلتون مدة طويلة ، وأخيرا قالت بصوت خافت كأنما
تناجى نفسها

— وينفورد غنية . اذن ساكون ذات ثروة عظيمة ؟

فتمتم اللورد لينبرو قائلا :

— هذا ما يقوله المستر بلتون وهو عليم

استطردت الفتاة فى حديثها فقالت

— لما جئت الى هنا لم اكن افهم معنى الجاه او اللقب ، فقد كنت فقيرة ،
ولما توفي ابي لم يكن لدينا مال يكفى . . . يكفى لدفنه

شدت يدا اللورد الضغط على ذراعى الكرسي وتقلصت شفاته ، على حين
مادت الفتاة الى حديثها فقالت :

— أما الآن فلدى عربة وجياد وخدم يقومون بخدمتي وأصدقاء من طبقتى
وكل شيء تصبو اليه نفسى . ولكن على أن اتخلى عن هذا عن كل هذا ، مالم..
ثم سككت

وكان الرجلان يحدقان اليها النظر — المحامى فى اهتمام شديد ، واللورد فى
تحر واستطلاع

أخيراً قالت فيرونيكا

— نعم على ان اتخلى عن كل هذا مالم اقبل شرطك . ولكنك لست مريضاً
ايها اللورد لينبرو ؟

— قد أموت فى اية لحظة . او هذا على الاقل ما يؤكده لى الدكتور ثورن
فقالت الفتاة بشفتين مرتعدين

— ارجو ان يكون مخطئاً فى زعمه . لقد احسنت الى واكرمت مشواى

فاجابها اللورد على النور وهو يبتسم قائلاً

— وأنت ايضا يا عزيزتى انك لى بمنزلة الابنة

حدقت فيرونيكا النظر الى الموقد هنيهة ثم حولت عينيها الساحرتين اليه وقالت
— ما هذا الكبرياء ؟

فضحك الشيخ وقال

— لست باقل منك كبرياء . هيا يا فيرونيكا لا اخالك تجهلين اننى لا

استطيع ان ارشدك فى امر كهذا . كلا . كلا لا تمكرى . لقد راقبتك ففيك
عيب الامرة . . اليس عيباً يا بلتون ؟ او على الاقل اثره . ليس لى ولد

تهدج صوته عندئذ ولكن الى فترة وجيزة اذ لم يلبث ان استطرد فى

حديثه بصوته الهادىء قائلا

— لست شديد الاهتمام بابن اخى تالبت ثم اريد لونيغورد — وكانت لامي سيدا يليق بها . والحقيقة يا عزيزتى فيرونيكا اننى فريسة للاهواء النفسية . والآن اعطيك مهلة يوم لتفكرى فى الامر

فاشارت الفتاة برأسها اشارة تشبه اشارة عمها لم تفت المستر بولتون ثم قالت — شكرا لك . سأبت الان فى الامر

ثم تحولت الى المحامى وقالت وهى تبتسم — لدى ذاكرة قوية يامستر بولتون . وقد عرفت ماهو الفقر وذقت مرارته فالفقر عندى جريمة ، وعلى كل حال قد لا اتزوج ...

انحبس صوتها وتجلت فى عينيها دلائل التبصر والتأمل ، على حين قال اللورد لينبرو بلهجة لا تخلو من الشدة

— هل استقر رأيك اذن ؟

فحولت عينيها اليه ورفعت جسمها الرشيق ثم قالت

— لقد استقر رأيى على قبول شرطك

فقال الشيخ فى رفق

— حسن . لن نثقل كاهلك بشيء بعد الان يا فيرونيكا

تحرك المستر بولتون نحو الباب . ولكن اللورد كان أقرب اليه منه ففتحه

لها فخت الفتاة رأسها قليلا ثم غادرت الغرفة

عاد نخامة اللورد بعد ذلك الى كرسيه ثم اتى نفسه عليه وقال

— اننى واثق من ان فى وسعى الاعتماد عليها اكتب الوصية يا بولتون اذ

لا بد ان اوقعها غدا



الفصل الثانى

صعدت فيرونيكا سلم القصر الكبير الى غرفتها ، او بالحرى الى غرفها ، لانه خصص لها جناح فى احسن جزء من القصر ، يتجه نحو الجنوب ويشرف على حديقة غناء والبستان والمروج الممتدة وراءها . وكانت غرفها انيقة مفروشة بانفر اثاث يمكن ان تشتري بمال . وقد جاءت اليها من « دور أرضى » فى منزل كانت تقطنه فى مدينة كامدن ، ولكن لما كان الانسان سريع التعود على الرفاهية اكثر منه على شىء آخر ، فقد نسيت فيرونيكا تأثير المحيط البديع الذى وجدت نفسها فيه ولو أنها لم تنس تماما ايامها الاولى . فلما اطالت الآن من نافذتها ورأت دلائل الثروة والجاه التى لا تحصى لم يسمعها الا ان تشعر بان هذه المظاهر ليست زائلة بل دائمة

قالت فيرونيكا فى نفسها ان وينفورد مع ثروة هائلة ستكون لها على شرط واحد وهو ان تزوج رجلا ذا لقب . حسن ، ولم لا ؟ نعم قد لا توجد فتاة خالية من الغرور مثل فيرونيكا ولكن هذا لم يمنعها من ان تتصور ان فى مقدورها العمل بهذا الشرط ، فى الدائرة التى محورها قصر اللورد لينبرو ، رجال كثيرون يحملون القبا وكثيرون منهم قد اعربو عن اعجابهم بالآنسة فيرونيكا ، وعلى ذلك رأت ان الشرط الذى وضعه عمها اللورد سهل التنفيذ اذ ليس عليها الا أن تختار من بين اصحاب الالقاب من تريد

عقدت الفتاة حاجبها المستقيمين عند ما خطرت ببالها هذه الفكرة وأظهرت شيئا من الاستياء والامتناع . وقد جرت العادة ان تفكر البنات دائما بالزواج ولكن فيرونيكا قلما فكرت به ، فلم تشعر بميل من نحو الرجال العديدين الذين رأتهم يترددون على القصر منذ قدومها اليه . حتى رماها الناس بالبرود ، وربما كانت كذلك ، لان هذه فى الواقع حال معظم الفتيات الى ان تشعر قلوبهن

بالحرارة التي تولدها نظرات الرجل الذي ينتظره منذ بدء الخليقة . وعلى كل حال قد لا تضطر الى الزواج ولا ريب ان من العظمة ان تصير سيدة «وينفورد» الغنية ، وان تكون شبه ملكة عذراء ، اليصابات زمانها
خطرت هذه الافكار ببال فيرونيكا فضحكت ضحكة خافتة رقيقة ومدت ذراعيها الجحيلتين وقالت انها لم تعد تخشى المستقبل . وكيف يمكن ان تخشاه !
انها في حصن حصين من تقلبات الدهر وغدرات الايام ، إذ ليست الآن سيدة مزرعة وينفورد ؟

قرعت وصيفتها الباب . ثم دخلت عليها وخاطبتها قائلة :
— ان جوادك في الانتظار يا سيدتى . هل ارسله ثانية ؟
فاجبتها فيرونيكا قائلة :

— كلا . كلا . يا جودوين . ساعدنى على ارتداء ثوب الركوب . هيا اسرعى
لانى اتوق الى الركض على ظهر جوادى
لم تض مدة وجيزة حتى نزلت فيرونيكا وامتطت صهوة جوادها . وفيما هي سائرة اذ اقتربت العربه الكبرى من باب القصر لان اللورد وينبرو كان يتأهب أيضا للخروج حسب عادته كل يوم
لما وصلت الفتاة الى منتصف الطريق الواسع وثبت بجوادها من فوق الحاجز المنخفض الى المروج المغطاة بالحشائش ، فتبعها السائس ولكنها لاحظت بعد قليل انه جذب عنان جواده ورأته يفحص قوائم الجواد ، فسألته قائلة :
— ما الخبر يا براون ؟

فاجابها السائس قائلا :
— سقطت حدوة الجواد أيتها الآنسة . اظن انها سقطت عند وثوبه من فوق الحاجز

وقفت فيرونيكا ثم ترددت لان عمها كان يستاء من ركوبها منفردة بدون سائس ، ولكن الجو كان بديما والهواء يهب عليلًا ، ورغبتها فى الركض شديدة

فلم تشأ العودة وقالت :

— لك ان تعود إلى القصر يا براون ، وأخبر نخامة اللورد ، اذا رأيته ،

أننى لا أذهب بعيدا

رفع الرجل قبعته ثم قاد جواده وقفل راجعا ، على حين ابتهجت فيرونيكا لانفرادها وواصلت سيرها فاجتازت البستان بعد قليل من احد ابوابه المتطرفة ثم سارت بجوادها خبيا في الطريق العام المؤدى الى قرية « هالسى »

وكان قصر « لين كورت » في وسط ذلك الجزء من مقاطعة لانكشير الذى لم يشأ حسن طالعه ، او سوء طالعه ، ان يصل اليه الخط الحديدى ، وعلى ذلك كانت المنطقة واسعة الارعاء . وهى بقعة جميلة متعددة المناظر ، فى الميل الاول منها يستطيع الانسان ان يتصور نفسه فى أجمل بقعة من مقاطعة « سورى » ، وفى الميل التالى يرى مروجاً خضراء تمتد الى مسافة بعيدة بحيث يخيل اليه انه فى اسكتلندا ، حتى اذا ما انتهى منها وصل الى واد هو صورة مصغرة لسويسرا وكانت فيرونيكا تهيم بحب كل شبر من هذه البقعة الجميلة ، فلما علمت انها ستصير السيدة المطلقة على جزء منها لان قصر الواهب ومزرعة وينفورد لا يبعدان عن لين كورت اكثر من خمسة عشر ميلا — ابتهجت وقالت فى نفسها : — سأذهب اليها غدا وألقى عليها نظرة ولكن ما أسخف هذا القول المنطوى على الانانية ! يقولون ان المال يفسد معظم العقول ، فهل فسد عقلى يأتى ؟ انها غير تلك الفتاة التى وقفت هنيئة منذ مدة ليست طويلة ، ترتجف امام اللورد لينبروا تقاعلا ، وهى تحاول اخفاء اضطرابها ؟

عادت الذكري بفرونيكا الى صباح ذلك اليوم المشهود ، عند ما وصلت الى القصر ، وتمثلت نفسها كما كانت يومئذ : نحيلة الجسم ، شاحبة اللون ، ترتدى ثوبا رخيصا اسود . ثم ذكرت الوجه والقوام اللذين عكستهما مرآتها البديعة صباح اليوم عند ما كانت وصيفتها جودوين تساعد على ارتداء ثوب ركوبها الانيق ، ثم لم تلبث ان قالت فى نفسها

— نعم لقد تغيرت ، من أين لى أن أنكر هذه الحقيقة ؟
تركت فيرونيكا الطريق بعد قليل وعرجت نحو المروج ثم اطلقت لجوادها
العنان فوق الحشائش ، ولكن لم تلبث ان رأت جسمين صغيرين يتحركان أمامها
مخالتهما في البداية ارنين ، ولكنها رأت بعد قليل انها كلبة سلاقية وجروها
الصغير . وكانت الام مقعية تنظر في كبرياء الى حركات جروها المضحكة ، فلما
سمعت وقع حوافر الجواد رفعت رأسها وزمجت انذارا ، فتبسمت فيرونيكا
وخطبتها قائلة

— حسن ، لا تخافى

وفيا كانت فيرونيكا تجذب عنان جوادها بعيدا ، اذ لاحظت انه جنل من
شئ على الجانب الآخر وانه كاد يدوس الجرو
بيد انه حدث فى اللحظة التالية ان وثب شاب من حيث كان راقدًا وسط
الحشائش ومد ذراعه من بين قوائم الجواد وأنقذ الجرو من الخطر الذى كان يهدده
قام الشاب بعمله هذا فى خفة ومهارة بحيث اضطربت انفاس فيرونيكا وتورد
وجهها وقالت

— شكرا لك ، هل أصيب بأذى ؟

— كلام مطلقاً

ثم التفت الى الكلبة التى اندفعت نحوه وأخذت تزجر قلقا على جروها وقال
— اهدئى ، لا تخافى

على حين قالت فيرونيكا

— كم أنا مسرورة . لقد خشيت ان أكون قد دسسته . ولعمري لو لم تسرع

الى انقاذه لقتلته اعطنى اياه بالله

اعطاها الشاب الجرو الصغير فقبلته واجرت يدها على جسمه الاملس فى رفق

ثم رده اليه ، فتناوله الشاب منها وقال

(م — ٢ حكم الهوى)

— الذنب ذنبى . فقد كنت راقدا على الحشائش فخل جوادك منى . انى

آسف ايتها الانسة فمسى ان تصفحى عن غلظتى

حنت فيرونيكا رأسها وهى تحاول اخفاء دهشتها حتى لا تتجلى فى عينها اللتين
تتجسم فيهما كل عاطفة تشعر بها . وكان صوت الرجل وسلوكه وهيئته تدل على
انه راق ، غير انه كان يرتدى ثياب العمال حتى زعمت فيرونيكا لاول وهلة انه من
حراس الصيد

وكان الشاب جميل الطلعة ، جذاب الحيا ، كستنائى الشعر ، طويل الاهداب
الى درجة قلما ترى فى الرجال ، قوى الجسم ، معتدل القامة خفيف الحركة
أخيرا قالت فيرونيكا

— حسن ، لم يصب بأذى . والآن أظن ان الكلبة وجروها لذلك الكوخ

القائم هناك

فقال الشاب

— يحتمل جدا . سأخذها الى هناك لارى

ثم رفع قبعته وهم بالسير وهو لا يزال يحمل الجرو ، ولكنه تردد وقال

— اسألك الممذرة أيتها الانسة ، هل لك ان ترشدنى الى الطريق الى لين كورت؟

فأجابته فيرونيكا قائلة

— نعم ، اذا سرت فى الطريق من تلك الناحية - وأشارت اليها بسوطها -

وصلت الى المدخل الجنوبى . لقد جئت توا من هناك

— ربما تعلمين اذن ... ولكنك لاتعلمين طبعا ... انها سخافة منى

ثم سكنت وهو يبتسم ، فقابلت الفتاة ابتسامته بمنظورها وهى لاتدرى لانها

رأت قوة جذابة فى لمعان عينيه ، وسألته قائلة

— ماهذا الذى اعلمه ؟

— لقد نطق لسانى بما خطر ببالى ، وهى سخافة كما قلت ، ولكن أردت

ان اسألك هل تعلمين انهم فى حاجة الى حارس صيد هناك . انك لاتعلمين بالطبع

فسلمت فيرونيكا وهي تفخر بقوة استنباطها قائلة
— كلا ، لأدري ، ولكن اذا ذهبت الى منزل رئيس حراس الصيد اخبروك
هنا . لا تذهب الى ناحية القصر بل سر وسط هذه المروج الى ان تصل الى باب
خشبى صغير فتجد منزل رئيس الصيد خلفه مباشرة
نظر الشاب الى المروج ، فلما رأت فيرونيكا دلائل الارتياح على وجهه ، قالت
— اذا مشيت معى مسافة وجيزة ارشدتك اليه
قال الشاب فى احترام ولكنه لم يمس قبعته كما يفعل الخدم
— شكراً لك

ثم سار بجانب الجواد واخذ يتفرس فيه ، فقالت فيرونيكا
— بلوح لى انك غريب عن هذه البلاد ؟
— نعم لم تطأ قدمى هذه البقعة الا صباح اليوم . وقد جئت ماشيا من
« هالسى » حيث سمعت بانه يحتمل أن اجد عملا فى « لين كورت »
لم يجد احدها على ما يظهر بعد ذلك مجالا للكلام فسار الاثنان فى صمت نحو
الطريق . واتفق أن نظر الشاب الى يده اليمنى فوجد الدم يسيل من جرح فيها
فمسحه خفية ثم اخفى يده
اخيراً اشارت الفتاة بصوتها وقالت

— هذا طريقك . اظنك لاتعجز عن رؤية الباب
فقال الشاب

— شكراً لك . سأحمل الكلب الى الكوخ ثم اذهب الى المنزل . عمى صباحا
رفع الشاب قبعته وفيما كان يهم بالسير فى طريقه اذ جاءت عربة اللورد حول
منعرج فى الطريق ، فامر اللورد لينبرو السائق بالوقوف ونادى الفتاة بلهجة
الاستفهام قائلاً

— فيرونيكا ؟

سارت الفتاة بجوادها الى العربة ثم مالت وخاطبت اللورد بصوت خافت قائلة

— هذا الرجل ... كاد جوادى يدوس الجرو ... فأنقذه ... بأعجوبة عظيمة.
فقد كان تحت حوافر سالى (اسم جوادها) وقد سألتنى عن القصر لأنه يريد
الاشتغال بوظيفة حارس للصيد . حقا كان الحادث كله مدهشا

فنظر اللورد من طرف خفى الى الشاب وقال

— هل ترمين من وراء كل هذا أن اكفىء الرجل ؟ ولكن ربما كافأته انت . كلا ؟
وكان اللورد قد اخرج جنبها من الذهب قبل أن تقاطعه فيرونيكا وأشار
الى الشاب قائلا

— خذ هذا شيء لك

وكان الشاب قد اجاب دعوة اللورد ولكن لم يكده يلمح بريق الجنيه حتى
ارتد الى الوراء واكنه وجهه وقال فى حمية
— ماذا تعنى ؟

— على انه خجل من تهوره على ما يظهر فتبسم وقال

— اسألك الممذرة ، ولكنى لا ادرى لماذا تعرض على تقودا ياسيدى

دهش اللورد لينبرو عند مادقق النظر الى وجه الشاب وسمع صوته ، قال
قليلا الى الامام وابتقت عيناه هنيهة ثم عاد فاضطجع الى الوراء متمللا وقال
مخاطبا السائق

— سر فى طريقك ياماتنوس

فرفعت فيرونيكا سوطها ووجهها لا يقل عن وجه الشاب توردا ثم همست
بصوت خافت قائلا

— لحظة واحدة ايها اللورد لينبرو . هل يستحق هذا ... هذا الشاب
كل هذا ؟

فقال اللورد فى ملل

— يلوح لى انك صعبة الارضاء يا فيرونيكا اذا كان كبرياء الشاب يمنعه من
قبول تقود فماذا ...

فقلت الفتاة فى الحاح

لقد طلب عملا ولم يطلب نقودا

فقال اللورد باللهجة عينا

— ادع هذا الشاب ياماتىوس

نادى الحوذى الشاب فالتفت من فوق منكبه ثم تردد وماد فى تبرم ظاهر ،

فسأله اللورد لينبرو قائلا

— هل تريد العمل كحارس للصيد ياابنى ؟

— نعم ياسيدى

— اذهب الى رئيس حراس الصيد وقل له اننى أرسلتك . اذا كنت تعرف

كيف تقوم بواجبك وكنت حسن السير والاخلاق .. ولكن اخبرنى من اين

اتيت ، وما اسمك ؟

— جئت من استراليا ، واسمى رالف فارنجدون

استقام حاجبا اللورد وجعل يتفرس فى الوجه الذى لفحته الشمس وأخير

ابرقت عيناه مرة اخرى وقال

— اذهب الى رئيس حراس الصيد

ثم اشار الى الحوذى بالسير ، فقال الشاب فى رزاة

اشكرك يامولاى

رفع رالف بعد ذلك عينيه الى فيرونىكا امتنانا ولكن الفتاة كانت تنظر الى

الامام مباشرة وهى جالسة على ظهر جوادها مرفوعة الصدرو قد اشتغلت افكارها

على ما يظهر بسلوك الشاب وما ابداه من الاتفة والكبرياء

وفىما كانت تجمع عنان جوادها اذ لمحت بقعة من الدم على سترتها ، فزعمت

هنية أن الجروح ولکن لم تلبث أن خطرت الحقيقة ببالها فذكرت أن

احدى قوائم الجواد اصطدمت بشيء ما لما وثب الشاب لانتقاذ الجروح ، فقالت

انه جرح فى جسمه جرحا ربما كان بليئا وهوى يحاول انتقاذ الجروح ومدفوعا بموامل

الرأفة والحنان ، ثم جرح في شعوره جرحاً اشد المآ عند ماعرض الورد لينبرو عليه النقود .

نظرت فيرونيكا الى البقعة الحمراء ثم الى الشاب الطويل وهو يسير بخطوات واسعة وسط المروج حاملاً الجرو ، وامه خلفه تنبجح . ولم تلبث أن احست بالدم يصعد الى وجهها وبذهب كأنما تتوق نفسها الى اقتفاء أثره واللاحاق به للاعتذار له ، ولكن حال كبرياؤها دون غايتها فهزت منكبتها وواصلت السير

الفضل الثالث

سار الشاب الذي ذكر ان اسمه رالف فارنجدون الى الكوخ بخطوات واسعة . وكان الباب مفتوحاً طائل منه الى غرفة استقبال صغيرة حسنة الترتيب حيث جلست شابة مولية ظهرها نحو النافذة وهي تقرأ . وكانت فتاة جميلة ذات شعر املس وعينين رماديتين ناعستين ، وثغر صغير مائل الزاويتين على ان هذا الميل وصورة ذقنها كانا يدلان بالرغم من ملاحظتهما على ضعف في الاخلاق ارتجفت الفتاة عند ما سمعت وقع قدمي الشاب فوضعت كتابها بجانبها ونظرت في الحال الى الجهة الاخرى من الكوخ حيث كانت امرأة تشتغل بكى بعض الملابس ، ثم قامت الفتاة ووقفت تنظر الى الشاب وقد تورد وجهها قليلاً فقال رالف :

— أسألك المَعذرة . جئت بهذا الجرو ، اليس لكم ؟

فتقدمت الفتاة اليه لتأخذه منه قائلة

— نعم ، شكراً لك

ثم جفلت الى الوراء وقالت :

— أواه ، هل جرح ؟ ارى دماً يسيل منه

فتبسم رالف وقال يطمئنها :

— كلا . كلا . لم يصب باذى . كاد جواد سيدة شابة يدوسه ولكن التقطته

في الوقت المناسب . والظاهر أن الجواد اصطدم بذراعى أثناء ذلك . لم اصب

بأذى ولكنه خدش صغير

سمعت المرأة التي كانت تشتغل في المطبخ حديثها فجاءت تحمل المكواة في يدها ، فلما رأتها الفتاة صاحت قائلة :

— أماء ، لقد انقذ هذا السيد جرو بولى (اسم الكلبة) وجرح ذراعه فاجابتها الام قائلة :

— هيا خذى المكواة يا فاني وأنى كى هذه الياقات . ارجو أن لا يكون جرحك بليغا يا سيدى فقال رالف :

— كلا مطلقا . سأريك إياه

جذب الشاب كم سترته وقمصه وكشف عن ذراعه ، فظهر جرح عميق تحت المرفق ، لا يزال الدم يسيل منه . فلما وقعت عينا المرأة عليه صاحت ونادت ابنتها قائلة :

— هاتى وءاء من الماء الدافىء وخرقة نظيفة . اسرعى يا فاني

فقال رالف بصوته الرقيق :

— لعمرى يجوزنى ان أسبب لك هذه المشاق ولكنك ستجدين بعد غسل

الجرح انه ليس عميقا

فقالت المرأة وهى تفسل الجرح :

— انه جرح بليغ . تقول جوادا ، وسيدة شابة تركية ؟

وكانت الفتاة واقفة بجانب أمها تحديق النظر الى وجه الشاب فى اهتمام ، فقالت

— لا بد أن تكون مس فيرونيكا . فقد رأيتها تحتاز المروج بجوادها

فقال رالف :

— أقول انها بنت حسناء جدا ، ذات عينين رماديتين وشعر أسود

هزت المرأة رأسها ولكنها نظرت اليه فى استغراب . إذ وجدت أنه يرتدى

ثياب كالعالم ، ولكن العمال الذين يقطنون حولها لا يتكلمون عن مس فيرونيكا

يمثل هذه اللهجة ولا يقولون انها « بنت حسناء »
استطرد رالف في حديثه بعد هنيئة قائلا :

— اظن أن الرجل الذى كان معها الوصى عليها ؟

— نعم انه صمها اللورد لينبرو . يلوح لى انك غريب لانك لا تعرف نخامته ؟

— نعم اننى غريب عن هذه البلاد . وقد جئت من استراليا توا وأتيت من

قرية هالسرى الى هنا صباح اليوم مشيا على الاقدام
فقالت المرأة :

— انها مسافة طويلة . ربما تحتاج الى شىء من الطعام . فانى

ارتجفت الفتاة كأنما أفاقت من تأملاتها العميقة فى وجه الشاب الجميل ، ثم

ذهبت الى المطبخ وعادت ببعض الخبز والجبن وكوبة من اللبن ، فقال رالف ممتنا

— أشكرك جدا . ولعمري انها مكرمة عظيمة منك إذ ادركت اننى جوعان

آيتها السيدة

ثم سكت فقالت المرأة :

— اسم اسرتنا ماسون . وعملنا غسيل ثياب أهل القصر وكيها

فقال رالف :

— أرجو أن اكون زميلا لكم . فسأذهب الآن لأطلب عملا كحارس

للصيد وقد أرسلنى نخامة اللورد الى رئيس الحراس

فهزت مسز ماسون رأسها قائلة :

— جو فرى برشت ؟

ثم قالت بلهجة الارتياب :

— حسن . أرجو لك التوفيق

فضحك رالف وقال :

— يلوح لى انك تعتقدين اننى لا أوفق فى مهمتى

فهزت المرأة رأسها وقالت :

— ان جو فرى برشت رجل صعب المراس يعذر ارضاؤه . ولكن يجدد
بى ان لا اتكلم عنه بهذه اللهجة لانه صديق قديم لنا . انه يقطن منفردا ويعيش
بنفسه لنفسه كما يقولون . ان قاتى ابنتى تذهب كل صباح وتقوم بخدمته
فتبسم رالف فى وجه الفتاة كأنما يحسد الرجل على خدمتها له ، فتورد وجهه
قاتى وارخت عينها امام نظرات هذا الشاب الجميل وهو مضطجع فى كرسية
يشرب كوبة اللبن ، تبدو عليه سيما النبل ، ولو انه ليس الا طالب عمل
قال رالف بعد هنيهة

— يلوح لى ان نخامة اللورد شيخ متغطرس
فاعترفت مسز ماسون على كره منها قائلة
— نعم هو ماتقول ، ولكن له عذرا ، لنخامته أعظم رجل فى هذه المنطقة
يامستر ...

فقال الشاب

— ... رالف فانريدون

فقات المرأة

— هل دخلت القصر

— لم أره بعد

— انه ملك لنخامته طبعا وهو يملك فوق ذلك جميع ضياع لينبرو ومعظم
هالسرى واملا كأخرى فى ارلندا واسكتلندا ...

فقاطعها رالف وهو يضحك قائلا

— انها مكرومة منه اذ ترك لغيره مناطق أخرى فى انكلترا التى تعد من

أصغر ممالك العالم مساحة

حدقت المرأة النظر الى الشاب وقالت فى عجز ، شأن امثالها اذا تمموا شيئا

غير عادى

— ان نخامته رجل عظيم جدا

فقال رالف

— ولكنى أراه غير سعيد

ترنحت مسز ماسون عند سماع هذه الملاحظة الجريئة ولكنها قالت فى صراحة

— اما وقد ذكرت حالته فهو كما تقول

فسألها رالف فى شىء من الاهتمام

— هل هو متزوج ؟

فهزت مسز ماسون رأسها وقالت

— كلا . لم يتزوج نحاتته مطلقا . وكان يعيش فى القصر منفردا الى ان جاءت

من فيرونيكا وعاشت معه

فقال رالف

— أرى من حديثكم انكم تميلون الى العزلة فى معيشتكم

فتجاهات مسز ماسون ملاحظته هذه وقالت

— وهو لا يتمتع بصحة جيدة ، شديد المعاملة ذو كبرياء

— هو ماتقولين ، وابنة أخيه ... قلت ما اسمها

— مس فيرونيكا دنى

— أظنها تهتم بشئونهم

فقالت فانى بصوتها الرقيق فى تردد

— نعم انها ذات كبرياء كالشيطان

فنظرت المرأة الى ابنتها نظرة لاختلو من التأنيب ثم قالت

— ولكنها رقيقة العواطف ، فهي تتجول بين الشعب وتهتم بشئون المزرعة

وتعنى بأشياء لم يكن يعنى بها احد قبل قدومها

فقال رالف

— ولكن من يرث اللورد بعد وفاته ؟ ...

اظن ان رجلا عظيما كاللورد سيموت يوما ما أو هل يعيش الاغنياء الى الابد ؟

ثم ضحك فقالت مسز ماسون
- سيرته المستر تلبوت ابن أخيه

فسألها رالف قائلاً

- آه . ومن أى طراز هو ؟

فعضت المرأة شفتها وقالت

- ان المستر تلبت ... رجل عظيم . وهو نائب فى مجلس النواب ... وماهر

جدا . على انه لا يتردد على القصر كثيرا لانه ليس على اتفاق تام مع اللورد .
والواقم لا يتفق فخامته مع أحد من الناس . وقد تشاحن مع جميع الناس .

فاقام حدا بينهم وبين مس فيرونيكا

فتبسم رالف وقال

- ياله من شيخ رقيق !

فاجابته المرأة على الفور قائلة

- له فى مركزه العظيم خير شفيح

- هو ماتقولين . ليس لدينا فى استراليا لوردات كثيرين ، والذين يعيشون

بيننا منهم لا أهمية لهم ، ولكنى رأيت ان الامر هنا فى انكلترا يختلف ، والان

لا بد لى من الذهاب الى رئيس الحراس الناسك . . . تقولين ما اسمه ؟ ...

جوفرى برشت ... اذا حصلت على عمل فسنكون جيران يامسز ماسون ، وعسى

ان يوفقنى الله الى شكرك على صنيعك

ثم قام وسلم على المرأة ومشى ، فوقفت الفتاة تنظر اليه وهو يسير فى

طريق الحديقة وتمتت قائلة

- اماء ، ما امله

فاجابها المرأة فى شىء من الخشونة قائلة

- ولكنى اراه اكثر حرية مما يقضى به مركزه فى الحياه . اظن ان جوفرى

برشت لا يطيل العمل معه . ته الى ساعدينى على كى هذه الملابس يا فانى التى لا

أرى لها نهاية

سار رالف فى طريقه بخطوات واسعة حتى بلغ منزل رئيس حراس الصيد ،
ولكنه وجد الباب موصداً ولما لم يجبه احد اشعل غليونيه ثم جلس على مقعد
خفى وانتظر

كان اليوم حافلاً بالمجازفات والاطوار التى تهددت الشاب فى اغلى شىء لديه
فى الحياة وكان رالف فارقاً فى تأملاته يتصور تلك الملاحاة التى تحفها العظيمة
والكبرياء ، ويتأمل فى اطوار تلك الغادة التى لم تسمح انفتاحها ان تتنازل فتقبل
نظرة امتنانه ، الى أن افاق من سباته خفاة على وقع اقدام رجل اشيب الشعر ،
ولكن مرفوع الرأس ، قوى الجسم ، يحمل بندقيته على كتفه ، ويتبعه كلاب
صيده ، برز من بين الاشجار وتقدم الى ان وتقدم الى أن وقف امامه وأخذ
ينظر اليه نظرة استفهام

قام رالف ثم حنى رأسه وقال

— المستر برشت على ما اعتقد ؟

فاجبه رئيس حراس الصيد فى خشونة قائلاً

— نعم اسمى برشت ، فما شأنك معى ؟

قابل رالف عبوسة الرجل بابتسامة رقيقة وأجابه قائلاً

اريد عملاً كحارس للصيد . وقد قابلت الاورد لينبرو فارسلنى اليك

فخدق الرجل النظر الى الشاب وقال

— حقاً ؟ هل فعل ؟ ادخل

دخل الرجلان احسن غرفة فى الكوخ . وكانت قليلة الاثاث ولكن

توفرت فيها اسباب الراحة وزينت برؤس الغزلان وبعض التحف ومجموعة من

البنادق وقصب صيد الاسماك

اشار جو فرى برشت الى الشاب ليجلس على كرسى عتيق ثم سأله قائلاً

— ما اسمك ، ومن اين جئت ؟

اجاب رالف على هذا السؤال للمرة الثالثة فى ذلك الصباح ، فقال الرجل

— جئت من استراليا ؟ ماذا تعرفه عن حراسة الصيد ؟

فاضطجع رالف الى الوراء فى مقعده بتلك الحرية التى اثارت دهشة مسز

ماسون ثم قال

— لا اعرف عنها شيئا كثيرا ولكنى اعرف ما هو مطلوب منى وأنا سريع

الفهم ، فاذا كنت فى حاجة الى رجل يحرص على الصيد ويبعد اللصوص ويطاردهم

هل زرت استراليا يا مستر برشت ؟

فاجابه الرجل فى ايجاز قائلا

— كلا

— حسن . اذن لا تعرف معنى الاستكشاف فاذا كان هذا ذا فائدة فى حراسة

الصيد فانى ماهر فيه . فنى وسعى ان اقتنى الاثر فى كل شىء عدا الماء الى مسافة

مائة ميل

فقال برشت فى تأفف

— لا فائدة لدى من ذلك . هل تستطيع الرماية ؟

— قليلا . هل لديك بندقية من طراز ونشستر هنا ؟

ثم ذهب الى مجموعة البنادق فتناول احداها وقال .

— نعم ها واحدة منها . هيا الى الخارج

حشا رالف البندقية ثم سار امام الرجل — على عكس ما تقتضيه اللياقة —

واشار الى شجرة بلوط على مسافة بعيدة من الكوخ ثم قال

— هل ترى هذه العقدة التى فى منتصف الجذع

وكان جوفرى برشت يفخر بأحكام الرماية فتناول البندقية من الشاب ثم

صوبها على العقدة وأطلق النار عليها ، فقال رالف بعد انقشاع

— اخطأت . ان الهدف صغير وقد جاءت الاصابة عالية قليلا . دعنى اجرب حظى

تناول رالف البندقية ثم حشاها وثبتها جيدا فى كتفه وصوبها بأحكام ثم

- اطلق الرصاصة فاصابت العقدة بالضبط ، فقال رئيس الحراس في تراخ واعجاب
- تستطيع الرماية . أين شهادتك ؟
اخرج رالف دفتر جيب عتيق اخرج منه خطاياقرأ جوفري برشت فيه مايلي .
« امين ، يمكن الاعتماد عليه . تولى الاشراف على العمال . يمكن التوصية عليه »
قرأ الرجل الشهادة في تأفف ثم قال ؟
- لماذا غادرت استراليا ، ولماذا أتيت الى انكلترا ؟
فهز الشاب منكبيه وقال .
- أردت استبدال الهواء ، ورغبت في رؤية البلاد التي تدعوها كلنا - في
صحونا وسكرنا - بالوطن
- هل في انكلترا من يعرفك ؟
- كلا مطلقا . اذا لم تقبلني سرت في سبيلي
نظر جوفري نحو الشجرة وقال :
- اصب الهدف مرة أخرى
رفع رالف البندقية واصاب المرمى ثانية فقال جوفري
- ادخل . . . اجلس على هذا الكرسي
عاد رالف الى مقعده وانتظر في صبر وذرع على حين أخذ جوفري برشت
يتمشى ذهابا وإيابا وهو يفكر مقطب الجبين ، وأخيراً قال :
- ان في عملي مجازفة لانني لا أعرف عنك شيئا أيها الشاب ، ومن المحتمل
ان يكون هذا الخطاب مزورا . . .
فضحك رالف وقاطعه قائلاً :
- لم يخطر لي شيء من هذا ببال . ان الخطاب صحيح ، واسمح لي ان أقول
انني لا أرى في عملي هذا مخاطرة ، ومع ذلك في وسعك ان تهتم بامتلاكك وبنفسك
فقال الرجل في خشونة
- سأفعل . والان سأجربك وأريك كيف تقوم بعملك ، وسأرى بعد اسبوع

هل تصلح للعمل معى . ان اعمالنا شاقة متمبة فلا تستطيع ان تدعى لنفسك ساعة واحدة سواء اثناء الليل أو النهار وتقول انها لك

فقال رالف بلهجة التأكيد

— لست ممن يخشون متاعب العمل . وقد قبلت شروطك . والان هل لك

ان تدلنى على مكان أقيم فيه . لدى قليل من المال أستطيع العيش به مدة وجيزة
تردد الرجل هنيهة وأخيرا قال

— لا يوجد مكان اعرفه . ولكن فى وسعك ان تقطن هنا . لدى غرفة

أخرى فازل بها الى ان تجد مكانا

فقال رالف ممتنا

— هذه مكرمة منك

فزجر الرجل كأنما يابى ان يشكره احد ثم قال

— اين امتعتك ؟

— فى محطة هالسى . ليس معى غير حقيبة واحدة ، سأذهب وآتى بها

قام رالف فى ببطء ، وفيما هو واقف موليا وجهه شطرا نافذة ، جعل الرجل

يحدق النظر اليه وهو مقطب الجبين ثم قال

— استراليا ! ولكن يلوح لى انك من أصل انكليزى

فقال رالف

— اننى فى الواقع

نزجر برشت قائلا

— اظن انه خير لك ان تطوف معى . خذ بندقية وتعال معى . فى وسعنا ان

نرسل أحد الجمالين الممجىء بامتعتك . لاحظ هذه الكلبة ، فانها تعض

فقال رالف

— ايها ؟ هذا ؟

ثم مال ووضع يده على راس كلبة اراندية كبيرة فى رفق ، فرمقته بعينيه

هنية وقد وقف شعر جسمها كالقنذف ، ولكن يلبث ان ذهب غضبها تدريجيا
وذهبت وحشيتها ومدت لسانها وأخذت تلعق يده ، فتلنم برشت قائلا
— يا لك من حمقاء ؟

فاجابه رالف في ابتهاج على الفور قائلا :
— كلا مطلقا . ان واحدا في المئة من الكلاب يعضك اذا داعيته ووضعت
يدك على خيشومه ، وفوق ذلك في وسعي أن اخاطر مثلك في بعض الاحيان
يا مستر برشت
ثم ضحك



الفصل الرابع

بدا مجلس العموم حوالى الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة يفص بالنواب وامتلات اروقة المتفرجين بعد ان كانت خالية منذ هنيهة اذ ذاع بين الجميع ان « تلبوت دنى وقف للخطابة »

وقف تلبوت بجسمه الطويل النحيل ووجهه الشاحب الذى كان على تقيض شعره الاسود الناعم وعينه السوداوين . وكان حليق اللحية بحيث كانت حركات شفتيه ترى ظاهرة جليلة . نعم كانت صورة وجهه تلذت الانظار ولكنها لم تترك فى النفوس انرا طيباً . وكانت تقاطيع وجهه جميلة وعيناه لامعتين تمان على قوة خاصة ، ولكن كانت تبدو فيهما دلائل البرود والجود ، تدلان على الذكاء الذى لا تقيداه عاطفة . اما صوته فكان ملائماً لوجهه رائقاً صلباً ، لا يرتفع عن نغمة هائلة ، ولكن كانت كل كلمة تصل الى مسامع الجميع حتى الذين كانوا منهم فى اركان المجلس البعيدة

وكانت خطبته تتناول موضوعاً من المواضيع التى تثير روح الاهتمام فى المجلس . ولم تكن عباراته بليغة فصيحة ولكنها كانت تتدفق من فيه فى كلمات مختارة تثير الاعجاب ، مملوءة انتقاداً مرا ، وكانت الحكومة قد عرضت على المجلس مشروع قانون سنته على عجل ، لو امنت فيه النظر لاحتجت وندمت لكثرة ما فيه من العيوب ومواقع الضعف القابلة للانتقاد الشديد ، فاخذ المستر تلبوت دنى يبسط عيوب المشروع نقطة نقطة كالجراح الماهر الذى يشرح الجسم ليكشف عما فيه من داء كمين

وكان اعضاء حزب المعارضة يضحكون ابتهاجاً ويهتفون ويتبادلون النظرات على حين كان انصار الوزارة يحاولون الظهور بمظهر الاستخفاف وعدم الاهتمام ، (م — ٣ حكم الهوى)

ولكن واصل المستر تلبوت حملته دون أن تشجعه أصوات الهتاف أو تثبط عزمه كلمات الاستهجان التي كانت تصل الى مسامعه من وقت الى آخر من المقاعد التي خلفه

خاطب المستر بوشير النائب المستقل المعروف صديقه المستر ولش قائلاً

— ارى دنبي في شكل جميل الليلة

فامن المستر ولش على رأيه قائلاً

— نعم فهو لئيم ماهر . وهو في انتقاد اصدقائه اقوى تأثيراً من شدازهم وسيكون له مستقبل عظيم بلا مرأى ، ومع ذلك لا اميل اليه . على اننى لاعرفه معرفة جيدة مثلك

فقال المستر بوشير

— اننى اعرفه حق المعرفة ولكن لا استطيع أن أقول اننى اهتم به ، فان فى شكل الرجل ما ينفر الانسان منه ولا اعنى بقولى هذا لانه يحمل على حزبه من وقت لآخر ولكن لا ارتاح الى ما يراه الانسان فى عينيه وصوته . ولعمري كلما خاطبته أو أصيغت اليه خيل الى اننى اخاطب أو استمع الى رجل مقنع . والواقع ارتاب دائماً من كل رجل يتوخى الحذر ، ولم افارق دنبي يوماً الا وقلت فى نفسى ان هناك سرا يحيط بذلك الرجل ، وان هناك امراً فى حياته يحجبه ويخفيه

فتبسم المستر ولش وقال

— اراك تستسلم للخيال والالوهام

التي المستر بوشير نظرة ملؤها السآمة على المجلس المزدهم الذى لا يزال يستمع الى حملة المستر دنبي الشديدة ، ثم قال

— ليتنى استسلم للالوهام فى كل شىء الا هذا

فقال المستر ولش بعد هنيهة

— سمعت أنه ليس على اتفاق تام مع عمه اللورد لينبرو

— نعم ليست العلاقة بينهما وطيدة فهما يتزاوران من وقت الى آخر ويعقدان

لواء السلام والفضل الاكبر فى ذلك يرجع الى تلبوت لانه اعقل من أن يتشاحن معولى نعمته ، بل هو فى الواقع أعقل من ان يتشاحن مع أحد وهذه خطته فسيظل على وئام مع حزبه بالرغم من خطبته هذه التى تكاد تذهب بعقولهم والحقيقة ليس ثمة ما يمكن أن يشكوه أحد عليه ، ولو اننى وأنت لاتميل اليه . فهو يعيش على ما يظهر عيشة خالية من العيب ، ويقطن فى هدوء فى غرف هادئة فى حى شلسى ، ويدعو اصدقاءه من وقت الى آخر ، فيلوح لمن يراه بأنه يعيش عيشة خالية من النقائص والمساوىء

فقال المسترواش

— هو ما تقول . هذه حال من يريد الفوز والنجاح ولا ريب فى نجاحه الليلة فسيفعل حزبه شيئاً يعقد لسانه هذا الحاد عن الكلام . من الغريب اننى اراه مع كل هذا بعيداً عن التأثر ولعمري لا أرتاب فى أن هذا الشاب خال من كل شعور وعاطفة — فهو لا يشعر بنشوة الفوز الشريف ، ولا بلذة الكرم ، ولا بعاطفة الحب . . .

فقاطعه المستر بوشير قائلاً

— الا من نحو نفسه . ها قد فرغ من خطبته . اظن ان ليس هناك اقتراع الليلة ، فهيا بنا من هذا المكان المقبض لنذهب الى فراشنا ختم المستر تلبوت دبنى خطبته بجملة وجيزة كابت اشبه شىء بطعنة اخيرة من خنجر مسموم ثم مر من بين اصدقاءه وسط هتاف المعارضين ، بوجه جامد خال من دلائل التأثر أو الاتفعال وغادر المجلس

كان مساء اليوم الذى اضاء على فيرونيكا بنوره الوضاح وهى را كبة جوادها وسط المروج الخضراء ، قد اكفهر وخيمت السحب فى الجو وأخذ الهواء يهب بارداً عند ما اجتاز تلبوت دبنى فناء المجلس ونادى عربة سارت به الى شارلكوت ما نسون فى شلسى ، فدخل المنزل ثم ذهب الى غرفة الطعام حيث وضع خادمه جييون كالعادة طقم الخمر والصودا مع صندوق صغير من

الكعك على المائدة

دق تلبون دنبي الجرس فجاء الخادم ، وكان يشبه سيده في طول قامته ونحول جسمه وارتخاء عينيه وسكونه ، ذا عينين باهتتين وشعر لا لون له وكان المستر دنبي قد اختار خادمه هذا بطريقة شاذة لانه اخذه من جمعية الاصلاح . وكان الرجل سجيناً لارتكابه السرقة ، ولكن لم يخش سيده على ما يظهر ان يضع فيه ثقته فلم تضع هذه الثقة ، لان جيبون صار لسيدة الخادم المخلص الامين

قال المستر دنبي

— سأخرج ثانية يا جيبون فلا تنتظرني

خفي الرجل رأسه وقال بصوت خافت يكاد لا يسمع

— نعم يا سيدي

ثم دار بعينه في انحاء الغرفة كأنما اراد ان يبحث عن شيء ناقص وغادر الغرفة مال تلبوت دنبي الى المائدة قليلاً وهو يفكر في الفوز الذي احرزه ، ولم يلبث ان تناول قطعة من الكعك فكسرها ولكنه لم يأكلها والقاها على المائدة وصب كاساً من الكونياك والصودا ، ثم كاد يتجرع ما في الكاس مرة واحدة ولكنه كبج رغبته ووضع الكاس في مكانها وتتم قائلاً

— كلا . كلا . يجب ان اكون هادئ الاعصاب الليلة

اشعل دنبي سيجارة وأخذ يدخن في صمت وهدوء كأنما ينتظر شيئاً ، وبعد مضي نصف ساعة فتح الباب في سكون واجتاز الرحبة الصغيرة الخارجية ثم وقف ينصت عند باب غرفة خادمه ، فلما سمعه يغط في نومه عاد الى غرفة الطعام وفتح خزانة كبيرة فاخرج منها اولاً صندوقاً للنقود ثم معطفاً عتيقاً وقبعة طرية من الجوخ ثم أخذ من الصندوق حزمة من الاوراق المالية وحفنة من النقود الذهبية دس الشاب النقود في جيبه ورد الصندوق الى الخزانة ثم ارتدى المعطف الطويل والقبعة ولم يكذب ينكر على هذه الحال حتى تقوس ظهره بقوة ميكانيكية

وساو منحى الظهر بين الغرف بدلا من ان يسير مرفوع الصدر بهيئته العادية
صار تلبوت دنى فى شارع سلون بخطوات سريعة مجتازا اقل الطرق حركة
الى أن وقف امام مخزن عادى لبائع دخان اغلق فى الظاهر مدة الليل ، ثم قرع
بابه اربع مرات بطريقة خاصة

فتحت الباب يد خفية ، فدخل تلبوت وسار فى ممر ضيق دون ان يلتفت
عنينة أو يسره كما لو كان المكان مألوفا لديه ثم اجتاز بابا الى رحبة داخلية فى
نهايتها من الناحية الاخرى باب آخر ، فقرعه اربع مرات كما فعل فى المرة السابقة
ففتح الباب يهودى اجنبى ، قصير الجسم ، غليظ العنق سمين البدن ، فاستقبل
دنى بتحية خافتة قائلا

— مساء الخير ، مساء الخير يا سيدى . خشيت ان تتأخر . كنت مىء الحظ
الليلة الماضية ، ولكن البخت دائما كثير التقلب وهذا من اسباب جماله . تعال
من هنا ، فقد اجتمعت الليلة زمرة عظيمة

تبع تلبوت دنى الرجل الى غرفة منخفضة السقف يضئها مصباح ضئيل
من الزيت مدلى من السقف بحيث سقطت اشعته الضئيلة على مائدة مستديرة
مغطاة بقطعة من القماش الاخضر الملوث بالدهن ، فى وسطها آلة دائرة (رولت)
للعب القمار ، يحيط بها نحو اثني عشر رجلا باعين تتقد كالجر ، بينهم اليهودى التاجر
بملايس السهرة وقد زين صدره بحجر من الماس وأصابعه القذرة بخواتم من
الاحجار النفيسة ، والشاب الانيق وعلى وجهه المتورد ابتسامة حلوة ، وبالجملة
كانت زميرتهم تشمل جماعة من اصحاب النفوس الضائعة التى ترى كل ليلة فى المسكان
اللائق بها — فى بؤر القمار الجهنمية بلندن او باريس او فينا

وكان الجميع منهمكين فى مراقبة آلة القمار وهى تدور فلم يشعروا تقريبا
بالقادم الجديد الذى دخل عليهم حتى اضطر اسحق صاحب المسكان الجهنمى أن
يفسح مكانا بين اثنين ليضع كرسيه للمستتر تلبوت دنى . وقد زجر احد الرجلين
الذين اضطروا الى الافساح له ، ورفع عينيه اليه وهو يزحزح كرسيه جانبا ،

وكان رجلا خبيثا تبدو عليه سياء الشر ، ينم ثغره على الدهاء والقسوة فلم يعرفه
تلبوت شيئا من الاهتمام تقريبا بل جلس ولم يلبث أن اندمج في سلك الآخرين
اخذ حظه يتراوح مدة بين الفوز تارة والفشل اخرى ولكن لم يلبث أن
لازمه سوء الطالع فاخذت الاوراق المالية ثقلت من يده الواحدة بعد الاخرى
واصل تلبوت اللعب غير متأثر في الظاهر ولكن لو دقق زملاؤه النظرا ليه
لأوا امتقاع شفثيه الرقيقتين وانتقاذ عينيه السوداوين مثل قطعتين صغيرتين
من الجمر .

اخيرا لم يبق غير قليل من الاوراق المالية ، وبينما كان تلبوت يضع ورقة
منها في جيبه اذ التوت شفثاه وزجر كالكلب لان مرفقه اصطدمت بيد الرجل
الجالس بجانبه فحمل عليه كالوحش

صحا الباكون عند سماع الصرخة الفجائية فالتفتوا نقودهم بسرعة ووثبوا
على اقدامهم كرجل واحد ، ثم وقفوا يحدقون النظر بانقاس مضطربة الى تلبوت
دني . وكان قد قبض على عنق اللص واخذ بتلابيبه بحالة وحشية جذيرة باهل
القرون الوسطى

اخذ اللص يناضل ويتلوى في قبضة اليد النحيلة التي شددت الضغط على عنقه
حتى كادت تحمد انقاسه ، ولم تمض مدة وجيزة حتى اخذ كل منهما بخناق الآخر
وأخذا يترنحان الى أن قلبا المائدة . وكان الرجلان يتقاتلان أفى صمت فلم يفه
أحد بكلمة عالية أو صيحة لان الجميع كانوا يدركون انهم لايجرأون على احداث
اية ضجة .

وثب اسحاق نحو الرجلين وهو يلوح بيده الغليظة قائلا
— ماذا جرى ؟ ماذا جرى ؟ رجال البوليس سيسمعونكم . .
ماذا جرى ؟

بلل تلبوت دني شفثيه الجافتين ثم قال بصوت خافت
— سرق هذا النذر ورقة مالية منى

فصاح الرجل وهو يضع يده على عنقه ويحدق النظر الى الوجه الشاحب
فوقه قائلاً

— هذا كذب

فقال تلبوت

— انها في يده الان

ثم تناول جسماً صلباً وضرب الرجل على قبضة يده ضربة قاسية ، ففرد اللص
يده وسقطت الورقة منها على الارض ، وعندئذ وثب اللص على غريمه ولكن
اسرع اليهودى فطوقه بذراعيه في الحال وتغلب عليه بمساعدة بعض الرجال الآخرين
وفيما كان تلبوت دني يتراجع الى الوراء ، اذ سقطت قبعته التي كانت تخفى
جزءاً من وجهه ، فوقف في حالة تناقض حالة الجماعة الذين تملكهم الاضطراب
حوله ، على حين امسك اسحاق الرجل وهزه في عنف قائلاً
— اخرج . انك غشاش ... خداع سافل . لا تريد أحداً من امثالك هنا ،

لان هذا مكان محترم

وفيما كانوا يدفعون الرجل نحو الباب ، تحول ونظر من فوق كتفه الى
تلبوت دني ثم لوح بيده ، التي كان الدم يسيل منها ، في وجهه وصاح بصوت
مبحوح قائلاً

— انظر الى هذا . سأقتص منك على عمالك هذا يوماً ما . وستندم على عمالك
هذا مهما تكن رجلاً غنياً عظيماً . نعم لا بد لي من الاقتصاص منك .

وكان تلبوت دني قد استعاد سكونه وهدهوءه ثانية فحول وجهه عنه في
ازدراء واحتقار . ثم وقف بضع دقائق مستنداً الى الحائط وقد عقد ذراعيه على
صدره وارخى عينيه . على حين وضعت المائدة على قوائمها ثانية واستؤنف
المقامرون اللعب

اخيراً جاء اسحاق وقال

— لقد خرج ياسيدي . اني آسف . أن مكاني محترم كما تعلم ياسيدي

لم يعبأ تلبوت باعتذاراته هذه وغادر المكان ولم يكديخرج الى هواه الصباح
البارد حتى ملأ رثتيه وتمم قائلاً
— حظى ثانية . لامندوحة لى من الذهاب الى القصر على كل حال

الفصل الخامس

كانت فيرونيكا جالسة أمام المكتب فى جوار النافذة بالمكتبة ، على حين
كان اللورد مضطجما الى الراء فى كرسيه بجانب الموقد . وكانت الفتاة تشغل
فوق ربة القصر ، وظيفه اخرى هى سكرتيرة اللورد ، فكانت تقوم بكتابة رسائله
وتتولى الرد عليها ، ولهذا الغرض كانت تذهب اليه فى كل صباح فى المكتبة
التفتت فيرونيكا الى عمها وقالت
— هل هناك خطابات أخرى ؟
فأجابها قائلاً

— كلا ، شكرا لك . ليس هناك خطابات اخرى على ما اعتقد . ولكن
نسيت ، توجد هذه البطاقة من تلبوت فسيأتى الى هنا غدا ، هذا اذا كنت
تهتمين بمقابلته

فرفعت الفتاة حاجبيها قليلا وقالت

— ولم لا ؟ لقد مضت مدة طويلة منذ كان هنا فى آخر مرة

فقال اللورد بلهجة جافة

— نعم . يندر أن يأتى تلبوت الى هنا الى من أجل مهمة له . لا أجد مشقة
فى معرفة السبب الذى حمله على الحضور فى هذه المرة ، فأكتبى اليه ان يأتى اذا شاء
كتبت فيرونيكا سطرأ أو سطرين ثم وضعت الخطاب مع الرسائل الاخرى
فى صندوق البريد ثم التفتت الى اللورد وقالت

— اذا كنت واثقا من أن هذا كل ما لديك فى وسعى أن أخرج لان الصباح

جميل جدا . هل تستطيع القيام بآية خدمة لك ؟

— اذا كنت تريد ان الخروج فاعرجى على كوخ برشت وأخبريه أن يستخدم ذلك الشاب يظهر أن الشهادات التي قدمها غامضة فاحال برشت الامر الى . نعم يجدر بي في مثل هذه الحالة ان ارفض استخدام الشاب ولكن يلوح لي انك اهتمت بأمره في ذاك اليوم ، فعسى ان تسفر وصايتك عن نتيجة حسنة

فتورد وجه الفتاة قليلا وقالت

— لا يستطيع احد ان يقول انه تحت وصايتي أو رعايتي وانما رأيتك يسلك ذلك اليوم مسلكا يدعو الى الاعجاب ، لانه خاطر بحياته لا نقاذ جرو — اعلمى يا عزيزتى فيرونيكا ان هذا الضرب من الشجاعة امر عادى جد يتمتع به تسعة اعشار الانذال الجبناء

فقال فيرونيكا

— لا أرى عليه دلائل الجبن أو النذالة

فاجابها اللورد على الفور بلهجة لا تخلو من الحدة قائلا

— ان تسعة اعشارهم لا تلاحظين عليهم شيئا . . قولى لبرشت ان للرجل أن يبقى الى أن يضبطه وهو يسرق الصيد او يدير خطة للسطو على القصر ليلا فضحكت فيرونيكا من هذه الكلمات الغريبة ثم تناولت خطاباتها وغادرت الغرفة كان الصباح ، كما قالت فيرونيكا ، رائنا بديما ، فاخذ دم الشباب الحار في عروقها يضرب على نغمة واحدة مع تغريد الطيور ، فذهبت الفتاة الى كوخ رئيس الحراس ولكنها لم تجد احدا هناك ، فسارت في طريقها وسط المروج الخضراء الى النهر الذى يجتاز الوادى ، وكان مشهورا بكثرة اسماكها ولكن قلما يذهب احد للصيد منه ، اللهم الا عدد قليل من زوار القصر الذين يذهبون الى هناك للتسلية . اما تلبوت فلم يكن من المغرمين بالصيد او بالالعاب الرياضية وهذه حال معظم المقامرين

سارت فيرونيكا على شاطئ النهر ، فكان خربير الماء يقع في اذنيها كالموسيقى

على حين كان عبير زهور الاشجار ينعش روحها ، على انها لم تلبث ان جلست
وعقدت يديها حول ركبتيها ثم استندت الى جذع شجرة ، ولم تلبث ان اطلقت
لافكارها العنان ففرقت في لجة عميقة منها الى أن احست فجأة بوجود انسان
على مقربة منها ، فقد ظهر رجل من حول منمرج النهر وهو يتنقل لصيد الامماك
وهو الرجل الذى ارسلت لتقرر مصيره

لم يشعر الرجل بوجود الفتاة ، وفيما كان يتحرك على شاطئ النهر في
بطء اذ وصل الى نقطة مقابلها تقريبا ، فاحست الفتاة بشعور غريب من
لارتباك وكادت تقوم من مكانها وتذهب في طريقها ولكن اتفق ان
صاد الرجل سمكة كبيرة فرأت الفتاة عينيه تزدادان حدة ، وشفثيه تشددان
الضغط . والظاهر انها أثرت بانفعاله ، فقامت وهى لا تدري وسارت نحو مجرى
النهر ، وبينما كان يضع السمكة فى مخلاته المعلقة بجانبه صاحت الفتاة صيحة
ارتياح خافتة

سمع الشاب الصيحة بالرغم من خفوتها فنظر خلفه ، والظاهر ان فيرونيكا
خجلت من اظهار هذا الاهتمام فقالت فى ترفع تجاوز الحد العادى
— عم صباحا . أريد مخاطبتك

فرفع الشاب قبعته ثم تقدم الى الشاطئ فى بطء ووقف ينتظر وينظر اليها ،
فقالت فى برودها الاول

— ذهبت الى كوخ برشت ، فقد جئت لاخبره ان اللورد لينبرو يقول ان
له ان يعطيك عملا ، ولوان شهادتك ليست ... ليست مستوفاة كالعادة
فقال رالف

— اننى شاكر لفخامته واننى مسرور جدا . ولمعمرى يحزننى ان أغادر هذا
المكان الجميل الذى فى وسع كل انسان ان يتمتع فيه بالسعادة
همت فيرونيكا بالذهاب ولكنها وقفت وسأله قائلة
— هل اصبت صيدا كثيراً ؟

فأجابها في احترام ولكن بلهجة الاستقلال والحرية التي لاحظتها فيرونيكا
في أول يوم شاهده فيه

— الى درجة لا بأس بها . ان أكثر الصيد في الاماكن القليلة الغور

ثم قال مناجيا نفسه أكثر من مخاطبته الفتاة

— انه صيد عظيم

فقالت فيرونيكا وهي تنظر الى النهر

— يلوح لي انك تتمتع به وتجد تسلية فيه

فضحك رالف وقال

— لا شيء ادعى الى الابتهاج والتسلية من الصيد ، فهو الوسيلة الوحيدة

التي يستطيع الانسان ان ينسى بها نفسه . فانك لا تستطيعين التفكير كثيرا

وأنت تستخدمين مواهبك العقلية لصيد سمكة أو اقتناص ثعلب أو دب . انك

تعرفين صيد السمك طبعا ؟

خاطبها رالف كما يخاطب النندة ، فتملكت فيرونيكا روح الاستياء وهي

تجيبه قائلة

— كلا ، لا أعرف

— ان هذا من دواعي الاسف ، لاسيا ولديك مثل هذا النهر البديع

فقالت فيرونيكا

— لم اجرب الصيد في حياتي ولكن يلوح لي انه سهل جدا

— نعم بلا ريب تظنين من السهل ان تلقى هذه الطعمة في تلك البقعة القليلة

الغور . خذى جربى .

مد رالف يده بقصبة الصيد ، فترددت فيرونيكا هنيهة ثم أخذت القصبة

والقت السنارة بالطعمة ، ولكنها سقطت على مقربة من قدميها فقال رالف

— جربى ثانية . اراك تظهرين ثقة عظيمة فيها مغالاة ولوان نصف الفوز

في الممارك يتوقف على روح الثقة ، أديرى القصبة بسهولة من فوق منكبيك .

لا . لا ليس كذلك . اعطنى القصة لكى أريك
تناول رالف القصة من يدها فى سهولة والتى الطعمة حيث أراد . فعضت
فيرونيكا شفتها وتورد وجهها ثم قالت وهى تقوم بتجربة أخرى عقيمة
— دعنى اجرب ثانية

وقف رالف خلفها مباشرة ثم قبض على يدها التى تمسك القصة كأنه لا يشعر
نما بينهما من فرق . وقال

— اسحبى يدك قليلا الى الوراء . هو ذلك هناك سمكة
فسألته قائلة

— كيف عرفت ؟

— لم اعرف ولكننى أشعر . الآن التى الطعمة ثانية فى رفق . ومع ذلك
تصورى ان قلبك فيها . آه . هذا ما ظننته . كلا . لا تكترهيا ولكن لا ترخى
حبلك . دعها فقط تشعر به

كادت القصة تنثنى الى اثنين . فاحست فيرونيكا بهزة تناولت كل جسمها
ولم تلبث ان صاحت قائلة بعينين براقتين وثرغر مفتوح
— أواه سأفقددها

نظر رالف اليها وعلى ثغره ابتسامة ارتياح تحولت وهو لا يدرى الى اعجاب ،
ولكن لا عجب فقد كانت ملاحه فيرونيكا فى تلك اللحظة تحرك الصخر الجمود .
ولم يلبث ان قال :

— كلا . لا تخافى . انها معلقة جيدا فى السنارة ، اجذبى الخيط تدريجيا .
الآن شددى الضغط ، لا . لا . وإلا افلنت السمكة منك اجذبها فى رفق .
تدريجيا ... آه ، ما أجملها !

وفيا كانت فيرونيكا تجذب السمكة الى مكان قليل الغور ، تقدم رالف ثم
امسكها وحملها اليها على الشاطئ . قائلا :

— هذه اول سمكة لك . يجب أن نحتفى بها

ثم أخرج زجاجة من جيبه وملاً كوبة من ماء النهر الصافي ، اضاف اليها بعض الحمر وقدمها اليها ، فتناولتها فيرونيكا وحملتها الى شفيتها ولم تلبث ان ابعدها ثانية وقالت في اشمزاز :

— انها مريمة

— كلا مطلقا . انها أحسن وسكى . لا تلقىها بالله

ثم تجرعها ورد الزجاجة الى جيبه وقال :

— الآن ، ما رأيك فى صيد السمك ؟

فقالت فيرونيكا فى ابتهاج :

— بديع جدا . هلى تظن اننى استطيع أن اصيد سمكة اخرى ؟

فاجابها قائلاً :

— ليس لدى اقل ريب فى ذلك . تعال الى نقطة اخرى من النهر

اذعنت فيرونيكا لامره كالطفلة ، ولم تمض مدة وجيزة حتى اصطادت سمكة

اخرى ، فقال رالف وهو يضع طعمة اخرى فى السنارة

— فى وسعك الآن أن تدركى سبب ابتهاجى بالبقاء هنا ، ولو أن اخلاقى

للاسف لا تدعو الى الارتياح التام يا مس دنى

وكانت فيرونيكا قد جلست على الشاطئ واخذت تراقبه فى اهتمام فقالت :

— ولماذا لا تكون اخلاقك مرضية ؟

فاجابها قائلاً :

— حسن ، اعلمى قبل كل شىء اننى غريب والغريب عادة ينظر اليه بعين

الارتياح . ومع ذلك من السهل جدا تفسير ذلك

حاولت فيرونيكا ان تخاطبه فى انفة وترفع ولكنها وجدت ذلك مستحيلا

فى حضرة هذا الشاب الذى يمتلك عواطفه ، فقالت

— فسر اذن

— لقد ولدت من ابوين انكليزيين ومع ذلك عشت فى استراليا كل حياتى

فقد هاجرت أمى الى هناك ولا أدرى لماذا ، ثم فادرها زوجها وتركها تناضل

اهوال الحياة ومتاعها منفردة

فسألته فيرونيكا قائلة

— هل تعنى أباك ؟

— كلا . لا أعنى ذلك ، فقد مات أبى قبل ولادتى وانما اعنى زوج أمى الثانى

تقلصت شفتا رالف وقطب جبينه وهو يضع الطعام فى السنارة . على انه لم

يلبث أن استطرد فى حديثه فقال :

— لا اذكر زوجها الثانى لانه هجر أمى وأنا طفل صغير . لا أدرى لماذا

اقص عليك ذلك ... أى نعم ، فانك تريدن معرفة السبب فى نقص أخلاقى ...

وقد عشت مع امى منفردين فلما كبرت وترعرعت اخذت اشتغل لاجلها . نعم

كنا فقيرين ولكن شكرا لله ، فقد كنت اكتسب ما يسد حاجتنا . وأخيرا ...

وأخيرا توفيت أمى

ساد السكوت هنيهة ، فخيل الى فيرونيكا انها تشاطر الشاب احزانه . وقد

ناضلت ضد هذه العاطفة ولكن عبثا حاولت ولم تلبث ان تمتعت قائلة وهى

تكاد لا تشعر

— توفيت ؟

— نعم . وكان يجدر بى ان افرح — وهذا ما عرفته الآن — ولكنى حزنت

عليها . لاننى احببتها وبعد وفاتها اخذت انتقل من بلد الى آخر دون أن اكرث

بنفسى كثيرا . وحصلت على عمل فى بعض الاحيان الى ان سمعت ذات يوم

رجلا قدم الى استراليا يتحدث عن انكلترا ، فحركت كلماته الرغبة فى نفسى لرؤية

وطن اهلى وكنت ادخرت شيئا من المال فسافرت . ولما وصلت الى لندن اشتغلت

فى احواض الميناء فوجدت العمل سهلا ، ولكن لم تطق نفسى المحيط الذى

وجدت به وتاقت الى الريف حيث الهواء الطلق . فركبت القطار ذات يوم درن

ان اعين وجهة خاصة فوصلت الى هالسرى . ولعمري لولا الكلبة وجروها

لبقيت الى الآن اتجول في أنحاء العالم ، ولكن ها قد القيت عصا الترحال في هذه البقعة التي تعد من أجل بقاع الارض التي خلقها الله ، ولا اكتم عنك اننى هنا سعيد - بفضلك

شهقت فيرونيكا شهقة طويلة . وكانت الفتاة مشغولة بقصة الشاب فرأت فيها ما أقنعها ولكنها مع ذلك أحست بان هناك سرا . . . شيئا غامضا يحتاج الى تفسير . فقد علمت من روايته انه واحد من الذين يأكلون خبزهم بعرق جبينهم ، انه انسان دونها بمراحل ، ومع ذلك رأته يتكلم ويتحرك بالسهولة والرشاقة اللتين كانت تعتقد دائما انهما قاصرتان على أبناء طبقتها ، فما تفسير ذلك ؟

نظرت فيرونيكا الى الامام . وقد عقدت حاجبيها قليلا وأخذت تتمدح زناد افكارها ، فقالت هل السبب في ذلك قدومه من بلاد ديمقراطية ؟ هل السبب ... على انها غضبت من نفسها لاهتمامها به وبقصته ولم تلبث ان قالت متظاهرة بعدم الاكتراث

- حسن . انك الان بخير . وفي مركز ثابت فلك ان تمكث هنا الى ان ...

فقاطعها رالف وهو يبتسم قائلا

- الى ان يتولانى الملل

قامت فيرونيكا فى هيبة ووقار ثم قالت

- عم صباحا

فرفع رالف قبعته وقال

- ألا تأتين مرة اخرى لتجربى حظك فى صيد السمك يامس دنى؟ ستتعلمين

بعد قليل كيف تلتقين الطعمة بسهولة . كلفنى برشت أن أرسل بعض السمك الى المنزل كل يوم ، فهلا تأتين احيانا... ولنقل غدا فى مثل هذا الوقت؟ ان الطقس يتغير فاذا خيمت السحب اصطدت ما تريد من السمك

وقف فيرونيكا وقد حولت وجهها عنه لانها أرادت أن تقول « لا » وأن

تقولها فى عدم اكتراث بلهجة « السيدة » ولكنها لم تستطع وقالت

— سأتى غدا فى مثل هذا الوقت فارجو أن تكون هنا
فرفع رالف قبعته مرة أخرى وقال فى حزم
— سأكون هنا

الفصل السادس

شعرت فيرونيكا اثناء عودتها الى القصر باستياء من نفسها . وقد استطاعت
الآن — بعد أن ابتعدت عن تأثير رالف فانجدون — أن تقدر لهجته الغريبة
وما اظهره من مساواة نفسه بها ، وأن تدرك ما هو اغرب من ذلك وهو احتمالها
عدم احترامه وعجزها بحالة تعيسة عن الاعراب عن استيائها عندما حاولت ذلك
ذكرت فيرونيكا بعد ذلك قصة الشاب واللهجة البسيطة التى تكلم بها عن امه
فخن قلبها ولان من نحوه

والواقع وجدت مس فيرونيكا دنبي ، ربة قصر لين ، ان افكارها ظلت
مشتغلة طول يومها بما جرى لها فى الصباح

ذهبت فيرونيكا بعد الظهر لزيارة آل سانتسبورى فى قرية جرانج المجاورة
واتفق أن كان فنسنت وارث القصر واحد الممجبين بفيرونيكا ، فى قصره ، وهو
شاب جميل الطلعة ، طلق الحياء . وكانت الفتاة تجدد الى الآن شيئاً من الارتياح
والتسلية فى تودده اليها ، أما بعد ظهر اليوم فقد احست بسآمه وملل من نحوه
وهو يحوم حول مائدة الشاى ويتحدث بلسان طلق عن امور شتى . ولو علمت
فيرونيكا فى تلك اللحظة انها كانت تقارن بينه وبين رالف فانجدون حارس
الصيد وهى لاتدرى ، لاضطربت وهاها الامر ، ولكنها كانت تقارن بينهما فعلا
وقد جاء حكمها ضد فنسنت سانتسبورى

وفما كانت فيرونيكا تلعب الورق تلك الليلة مع اللورد ارتكبت غلطات كبيرة
على غير عادتها فرمقها الشيخ بعينيه فى دهشة وبرود وقال

— أراك قد سئمت اللعب يا فيرونیکا . هل تريدین أن نكف عن العمل ...
أو على الأقل الى أن تفرغی من افكارك التى تشغل بالك الليلة
وكانت فيرونیکا لانهن كثیراً بلهجة الانتقاد التى كان يوجهها عمها اليها عادة
أما الليلة فقد صعد الدم الى وجهها ، وقالت على الفور — مع انها كانت تتكلم
عادة فى بطة ووزانة

— كلا . كلا . يجب ان نلعب دوراً آخر أحست فيرونیکا بشئ من الخجل
والغضب لاستسلامها واشتغال أفكارها بالشاب وبالحوادث البسيطة التى وقعت
فى الصباح ، فذهبت الى فراشها وهى متمتعة بكل شئ عدا الهدوء الفكرى .
ولما استيقظت فى الصباح ، اكانت أول فكرة خطرت ببالها انها وعدت رالف
فارنجدون بمقابلته على شاطئ النهر ، فامتعضت وقالت
— لن أذهب

ثم اطلت من نافذتها فى استياء
على انها تمسكت بعزمها فأحست بأنها شهيدة يومها الطويل الممل ، ولذا
شمرت بشئ من الابتهاج لقدم تلبوت دنى ، لا لأنها كانت تميل اليه كثيراً ،
ولكن لأنها وجدت فى قدومه وسيلة تقىها شر هذه الافكار الجنونية من
نحورالف فارنجدون

وفيا كانت فيرونیکا ترتدى ثيابها ، اذ سمعت صوت العربى التى أرسلتها الى
المحطة لتقل تلبوت . فلما نزلت الفتاة الى غرفة الاستقبال وجدت الشاب هناك
فنظر اليها فى شئ من الغرابة عند دخولها عليه ، لان ملاحه الفتاة كانت قد
تحولت منذ زيارته الاخيرة للقصر الى جمال الصبا والنضوج الفتى
وكان تلبوت يعدها رفيقة عادية تدير شئون القصر بالرغم من قرابته له ، أما
الليلة فقد ادرك انها صارت شابة يحسب حسابها ، ولاحظ أحجار الماس التى تتألق
على اليد التى مدها اليه ، وعقد اللؤلؤ النفيس الذى يحيط بعنقها الابيض ،
(م — ٤ حكم الهوى)

واللآلىء التى أعطاهها اللورد إياها ، فلم يسمعه الا ان غير لهجة الترفع التى كان يخاطبها بها من قبل واستبدلها بلهجة ودية تنطوى على الاعجاب والاحترام قائلا
— كيف كبرت يا عزيزتى فيرونيكا وترعرعت ا

ثم ابقي يدها الحارة فى يده النخيلة الباردة ، فلما سحبتها قالت وهى تضحك
— لقد فرغت من النمو منذ مدة طويلة يا ماستر دنبي
فقال تلبوت

— لقد زدت ملاحظة على كل حال ، هذه حقيقة لا اقبل فيها جدلا
حنت الفتاة رأسها اليه بحركة رشيقة خفيفة ، فأبرقت عينا تلبوت اعجابا
ولكن قلبه لم يتحرك ، على حين قالت فيرونيكا
— أشكرك جداً واتقبل تحيتك اذا كانت صادقة بقدر ماهى صريحة...

فقطب الشاب جبينه قليلا وقاطمها قائلا
— لا أعرف المداهنة . وقد فنت بالحقيقة كما هى عادتى فى أغلب الاحيان
فتبسمت الفتاة واجابته على الفور قائلة
— لابد انك تتحمل مشقة عظيمة فى ذلك ، ووضعت نفسك فى مواقف
حرجة بسبب هذه العادة التى لا تلائمك

وكان سوارها انتفك عندئذ فالت لتصلحه ، فقال تلبوت
— هل تأذنين لى ان أقوم بهذه المهمة ؟
وكان الشاب يتوقع ان يسمع منها كلمة رفض لما كانت تفعل منذ ستة شهور
مضت ولكنها مدت ذراعها اليه فى ثبات تام

وفيا كان تلبوت يصلح السوار ، اذ دخل عليهما اللورد لينبرو ، يتوكأ على
ذراع وللفورد خادمه

على انه وقف هنيئة عندالباب ينظر اليهما وعلى ثغره ابتسامة ذات معنى ، ثم قال
— آه ، هاقد أتيت يا تلبوت . هل ارفض المجلس الليلة ، او هل تفيدت
بتصريح من زعماء حزبك ؟

— لست ممن لا يمكن الاستغناء عنهم ياسيدى

فقال اللورد وقد التوت شفته

— يلوح لى انهم فرحوا بالتخلص منك

فاجابه تلبوت وهو يبتسم

— على الانسان ان يقول الحق فى بعض الاحيان ياسيدى

— هل يجب ؟ أظن ان هذا القول لا ينطبق تماما على رجال السياسة، ولكن

قد تكون على حق لان الامور قد تغيرت عما كانت عليه فى أيامى

جاء الخادم عندئذ وقال

— اعد العشاء أيتها الآنسة

فقال اللورد

— اعط فيرونيكا ذراعك يا تلبوت وسر معها ، أما أنا فسألتحق بكما على مهل

جلس الجميع حول المائدة . فاختار اللورد طبقا من اللحم وآخر من البطاطس

المسلوقه . وقبل تلبوت دنى كل صنف قدم اليه ولكنه كان يتظاهر بالا كل .

أما فيرونيكا فقد عرفت كيف تكلل مجهودات الطاهى بالنجاح

أخيراً قدمت اطباق الفاكهة على المائدة ، فتنفست فيرونيكا الصعداء ثم قامت

وذهبت الى غرفة الاستقبال . فلما فتح تلبوت لها الباب خاطبها قائلاً

— سنلتحق بك بعد قليل . ربما يسهل الحظ فنجملك على أن توقى لنا

نشيدا على الممزف

ذكرت فيرونيكا ما اظهره تلبوت من الترفع فى مخاطبتها فى المدة الاخيرة

فتبسمت وأجابته فى خفة ورشاقة قائلة :

— سأوقع وأغنى لك يا مستر دنى . اما الرقص فاظن ان لا مجال له هنا ،

اليس كذلك ؟

عاد تلبوت الى مقعده امام المائدة . وكان اللورد قد غاص فى كرسيه وأخذ

يحدق النظر الى الشاب وأخيراً سأله قائلاً :

— كم تريد يا تلبوت ؟

فتبسّم الشاب على كره منه وعض شففته الرفيعة وقال :

— انك تصل دائما الى قلب الموضوع يا سيدى

— ان الوقت آمن للشيوخ من ان يضيع عبثا . لا اجهل طبعا انك لم

تسرفنا بزيارتك دون غاية — والغاية هى النقود غالبا

وضع الشاب احدى رجله على الاخرى متظاهرا بالسكينة وقال :

— اذا أردت ان اكون مثلك صريحا يا سيدى ، فاعلم انه لم يبق لى فى البنك

شئ كثير . انك لا تدري ما ينفقه رجل فى مركزى

— لا اجهل ذلك . هل نسيت اننى لعبت من قبلك الدور الذى تلعبه الآن

بنفقات اقل كثيرا ؟ لعمري لا أدري ماذا تصنع بالنقود . انك لا تنفق على

منزل وخدم ؟ كلا ، فانك لست من ذلك الطراز . اسمح لى ان اخبرك اننى أتمنى

احيانا ان تفعل ، ولكن ربما كان فى هذا تدخل فى حياتك السياسية . نعم لا

ادري ماذا تصنع بالنقود . والآن أسألك المَعذرة اذا اعربت لك عن دهشتى

بلا حق ، فمن دواعى فخري ان امد لورد لينبرو العتيد بالمال الكافى لى يعيش

عيشة جديرة بمركزه ، فكـم تريد يا تلبوت ؟ هذا هو فى الواقع السؤال الوحيد

تأمل تلبوت دنـبى فى نفسه تحت تأثير النظرات الباردة وعدم الاكتراث

التي القاها عليه اللورد ، ولكنه اكره نفسه على الكلام فى هدوء قائلا :

— كثرت نفقاتى فى المدة الاخيرة واخشى ان اطلب اليك بضعة الوف يا سيدى

فتظاهر اللورد بالابتهاج قائلا :

— بلا ريب ، لم لا ؟ سأعطيك حوالة مالية قبل ذهابك . متى تريد السفر

غدا على ما اظن ؟

— نعم لاننى سأخطب فى المجلس غدا مساء

— كما تريد . سكتب لك فيرونىكا الحوالة فى الصباح آه ، وعلى ذكرى ذلك

اخبرك يا تلبوت اننى كتبت وصيتى ذاك اليوم وتركت لفيرونىكا ثروتى بل وكل

بنس في وسعى ان اتركه لها
ضيق اللورد عينيه وأخذ يحدق النظر الى وجه ابن اخيه ، ولكن تلبوت
دنبى لم يتحرك ولو ان قلبه كان يخفق بشدة مثل قاطرة تجذب حملا ثقيلا لا
تستطيع جره

اخيرا تتم الشاب قائلا :

— حقا يا سيدى ؟

فتبسم اللورد ارتياحا للتأثير الذى احده في نفس الشاب ولاحظه بعينه
الحادتين ، ثم قال :
— نعم حقا ...

لزم اللورد الصمت هنيهة ، ثم اخذ يتمم ويناجى نفسه بكلمات خافتة لم تصل
الى اذنى تلبوت قائلا

— لم لا ؟ انه على ما اعتقد ليس شرا من الشبان الآخرين ، وستكون
كونتس لينبرو الجميلة . نعم لاجبه وهو ليس جديرا بها ولكن أى رجل جدير
بالمرأة . هل اقترح عليه الامر ؟ ولكن لا ، ليس ثمة ما يدعو الى ذلك لاننى واثق
من أنه لا يفوته مثل هذا الامر

ثم تبسم وقال بصوت مرتفع

— لقد كبرت فيرونيكا وترعرعت حتى صارت شابة مليحة ، اليس هذا

رأيتك يا تلبوت ؟

فقال الشاب في حماسة ، وقد التى نظرة قصيرة على وجه اللورد الذى يشبه
أبا الهول في جموده

— نعم صارت شابة مليحة فتانة . لقد ذهلت عند دخولها الغرفة الليلة ،

لاننى لم أرها منذ مدة

فتمتم اللورد قائلا

— لاجابة تدعو الى القول بانها تثير روح الاعجاب في قلوب كثيرين .

ولممرى لاتعتمد زوجا عظيما ، ولو لم يكن لديها شيء من المال
فقام تلبوت وقال

— بلا ريب . هل آخذ بيدك الى غرفة الاستقبال ياسيدى
— كلا ، شكراً لك . دق الجرس للخادم ليأخذنى الى فراشى . لاتدعنى ابعدك
عن فيرونيكا .

كان باب القاعة مفتوحا ، فخرج تلبوت وأخذ يتمشى ذهابا وجيئة . وكان
لا يزال يترنخ من الضربة التى تلقاها لانه كان يدرك وحده شدة احتياجه الى
المال . والواقع كان لامندوحة له من الحصول عليه ولذا لم تقته تلميحات
اللورد عن فيرونيكا و ثروتها . نعم كان يحقت الزواج ويتمنى أن يعيش اعزب
ما استطاع ، ولكن

نظر تلبوت من خلال النافذة الى غرفة الاستقبال فرأى فيرونيكا جالسة
أمام البيانو ولكنها لم تكن توقع عليه ولو أن احدى يديها كانت على مفاتيحه
وأخرى تحمل ذقنها ، وهى تحديق النظر الى الامام كأنها غارقة فى لجة من افكارها
كانت فيرونيكا وهى جالسة على هذه الحال تمثل صورة بديعة من الملاحظة
الفتاة التى تشعل نار الحب فى قلب كل رجل ، ولكن خفق قلب تلبوت دنبي
البارد بعاطفة بعيدة عن عاطفة الاعجاب أو الحب ، ولم يتصور فيها غير الفتاة
التي سلبته . على أنه لم يلبث أن كتم غيظه وتكافى الابتسام ثم دخل على الفتاة
فى غرفة الاستقبال وقال فى رفق وأذعان

— هل لك أن تسمعينى شيئا من العزف أو الغناء يا فيرونيكا ؟
اختارت الفتاة قطعة غنائية ، فال تلبوت نحو البيانو وأخذ يصنفى اليها وهى
تغنى فلما فرغت اعرب لها عن شكره قائلا

— لقد تحسن صوتك كثيرا . نعم كان دائما رائقا عذبا ولكنك تغنين
الآن حسب القواعد الفنية

ابتهجت فيرونيكا بمدح طبعها بالرغم من عدم ميلها اليه ، واجابته قائلة

— اخذت دروسا كثيرة ، لان اللورد لينبرو يعاملنى بكل رفق وحنان
— لا عجب . كيف يستطيع هو ... أو أى انسان أن يعاملك بغير الرفق

والحنان يا فيرونيكا ؟

مال تلبوت نحوها وهو يتكلم ، فالتقت عيناه السوداوان بعينيها ونظر اليها
اعجابا . على انه رأى انه تجاوز الحد ، وان فيرونيكا ليست فتاة ساذجة حتى
يمكن استمالها سرىما ، بل رأى من أحماق عينيها الرماديتين الضاربتين الى اللون
البنفسجى أن لابد من تدليها والتودد اليها قبل الفوز بها ، وعلى ذلك غـير
الموضوع فى الحال

فى صباح اليوم التالى صعدت فيرونيكا الى غرفتها بعد فراغها من الرد على
الرسائل ، ثم وقفت تطل من نافذتها وهى شاردة الفكر ، تضع شفتها السفلى بين
أسنانها ، يتورد وجهها قليلا تارة ويمتقع اخرى

— ان المرأة التى تتردد تضيع

ادركت فيرونيكا هذه الحقيقة . فاستبدلت ثوب الصباح بثوب رمادى آخر
وهى مصممة على ان لاتذهب الى النهر ، ثم فادرت القصر من الباب الخلفى
وكان تلبوت واقفا على « التراس » يقرأ احدى الصحف ويدخن ، فرفع
عينيهِ فى الحال عند مالمح الفتاة تسير امامه بقوامها الرشيق
ثم سألها قائلا

— هل انت خارجة للتنزه ؟ هل لى ان ارافقك ؟

وكان تلبوت يتوقع اجابة طلبه على الفور ، ولكن تبسمت فيرونيكا ثم هزت
رأسها وقالت فى برود أدهشه

— كلا ، شكراً . ان نفسى تتوق الى العزلة هذا الصباح

تورد وجهها بعد ذلك هنيهة وهى تفكر فى جوابها . العزلة ! ! أليست
ذاهبة الى النهر على أمل ان تلتقى برالف فانجدون ؟

ولكن اذا كانت هذه غايتها فقد كتبت عليها الخيبة . لان شوقها الى

العزلة قد تحقق

سارت فيرونيكا على شاطئ النهر ، وهي تحاول ان تحمل نفسها على الاعتقاد بأن آمالها لم « تنجب » ولكنها لم تلبث ان ملت « عزلتها » فهمت بالعودة الى القصر ولكنها صممت وقع اقدام خلفها ورأت رالف يتقدم نحوها
لم يصعد الدم الى وجهها - والمرأة وحدها هي التي تستطيع ان تقول كم يكلفها ذلك - وأومأت برأسها عند ما رفع الشاب قبعته وخطبها في صراحة قائلا - عمو صابحا يا مس دني . يحزنني انك لم تأت امس ، فقد كثر السمك وفزت منه بسلة كبيرة مع انني ادخرت احسن الاماكن لك . . . وهذا مايدعو الى الاسف

فقال فيرونيكا

- لقد جئت هذا الصباح

- آه ، لقد تركت قصبتك في الكوخ ، وهي خفيفة جميلة اليق بسيدة من

هذه . سأذهب لاحضارها

- كلا لاستطيع الانتظار ، في وسمي أن استخدم هذه القصة

فقال رالف في ابتهاج

- كما تريد

نظر الشاب الى ثوبها الانيق في اعجاب ولكنه رمق حذاءها في ارتياب وقال

- لا تستطيعين الخوض في الماء . ولكن لا بأس . التي الطعمة تحت ذلك

الحجر مباشرة

القت فيرونيكا الطعمة بضع مرات وأخيراً قالت في سآمة وملل

- لماذا لم يظهر شيء ؟

فاجابها الشاب قائلا

- لانه لا يوجد سمك هناك . كانت هناك سمكة ولكنك القيت الطعمة

بشدة فسقطت مثل قطعة من الرصاص خافت السمكة . يجب ان تلتقي الطعمة في رفق

فامرته الفتاة قائلة

— ارنى من فضلك

تناول رالف القصة من يدها وأراها كيف تلقىها قائلاً

— هل رأيت كيف ؟

فاجبته على الفور فى حدة قائلة

— نعم رأيت ولكنى لن أستطيع

فتشجع الشاب وقال

— لا تقولى هذا القول . فقد تحسنت رمايتك كثيراً ، ولكن الحقيقة

هى انك . . .

ثم أطل النظر إليها ملياً وقال

— هى انك عصبية . سأتركك قليلاً

فرمقته الفتاة بعينها وهى دهشة من جرأته وقالت

— لم اكن عصبية فى حياتى

كتم رالف ابتسامة كادت تبدو على ثغره ثم ابتعد بضع خطوات ووقف على

الحشائش واتكأ على مرفقه

القت فيرونىكا الطعمة بضع مرات ثم كفت فجأة ، فزعم رالف ان الخيط

اشتبك منها فقام وذهب إليها قائلاً

— هل حدث شىء ؟ ماذا ! هل غرزت السنارة فى مصمك !

— نعم ، ولم أستطع اخراجها . اخرجها بالله

ثم مدت اليه ذراعها فى أنفة ، فتناول يدها وقال وهو مقطب الجبين

— ان القول اسهل من العمل . لقد دخلت السنارة الى الشوكة وأخشى أن

تتألمى يا مس دنى

— هل مثل هذا الجسم الصغير يؤلمنى ؟ انزعها من فضلك !

كانت عينا الشاب تحدقان النظر الى اليد البضاء التى غاصت السنارة فيها ،

وظلنا على هذه الحال اخرج من جيبه مقصا وقال
— لا استطيع نزعها . يجب ان اقطع الجلد قليلا جدا ، انك ستألمين ولو
انى سأقطعها بخفة ما استطعت

فقال فيرونيكا وهى تضحك

— اظنها ليست عملية جراحية خطيرة

رفع رالف عينيه ونظر الى عينها لحظة قصيرة فوجدت فيرونيكا فيهما ما
أرسل الدم الى وجهها فقد رأته صاحب اللون ، يشدد الضغط على شفثيه كأنما
يريد ان يكبح جماح عاطفة قوية . على حين احست بيده ترتجف وهى تمسك يدها
والواقع قال الشاب بلهجة الحزم

— حولى عينيك الى الجهة الاخرى لكى لا تشعرى

قاومت فيرونيكا رغبة الاذعان وظلت تنظر الى السناره المغروسة فى معصمها
فهم رالف بقطع الجلد ولكنه توقف وقال بصوت منخفض
— انظرى الى الناحية الاخرى بالله ، لا أستطيع العمل مادمت تنظرين الى
فقال الفتاة وهى تبتسم سرورا

— هل تؤلمك رؤية الدم الى هذا الحد ، ثم تقول انك حارس للصيد !

فضحك الشاب ضحكة قاسية وأجابها على الفور قائلا

— كلا . لا تؤلمنى رؤية محيط من الدماء ولكنى لا أطيق رؤيتك — وأنت

سيدة — تتألمين ، وهذه مسألة اخرى

لاحظت فيرونيكا توجيه الخطاب اليها فى الحال فتجالت فى عينها اللتين

ارختهما ابتسامة رقيقة وقالت

— خير لك ان تدع هذه المهمة لى ، لاننى لا اهتم بالالم

— كلا . كلا . اخشى ان تحدثنى بجلدك قطعاً أو جرحاً صيقاً ، اما انا ففى وسمى

ان اخرجها دون أن تترك اثرا تقريبا . ولعمري من دواعى الاسف . . .

لم يتمم الشاب جلته ، فاحست فيرونيكا بطرف المقص وهو يقطع الجلد وبالم

بسيط وهو يستخرج السنارة ولكنها لم تجفل ولم تتألم . ثم كادت تسحب يدها مع كلمة « اشكرك » ولكن رأت لدهشتها أن الشاب ابقاها في يده قائلاً —
انتظري . ان السنارة عتيقة وقد تتسمم في بعض الاحيان . اننى آسف ولكن ليس عمة وسيلة اخرى

حتى رالف رأسه ، قبل ان تدرك الفتاة غرضه ، ولم تلبث ان أحست بشفتيه الحارتين على الجرح الصغير ، فاندفع الدم الى وجهها ثم غادره شاحباً ، على حين سأله قائلاً

— ألم يكن من ذلك ... بد ؟

— نعم ، فقد عرفت حوادث عديدة تسمم فيها الدم لاسباب تافهة جداً فلم استطع المخاطرة نعم سيترك الجرح اثرًا صغيراً على معصمك ولكن لن يصيبك أذى القى رالف يدها أو بالحرى دفعها في شيء من العنف ثم قال في ارتباك كأنها يناضل سورة نفسية تغالبه ويغالبها

— سأحمل القصة لأرى هل يوجد سمك

سار رالف على شاطئ النهر ثم خاض في الماء قليلاً وألقى السنارة ، على حين وقفت فيرونيكا جامدة في مكانها كالتمثال تنظر تارة الى أثر الجرح في معصمها وأخرى الى الشاب الذى مسه بشفتيه ، الى ان سمعت صوتاً يناديها قائلاً

— فيرونيكا

حولت الفتاة وجهها وهى ترتجف ، فوجدت تلبوت دنى واقفاً بجانبها يرمقها

في دهشة وبرود



الفصل السابع

سألها تلبوت مشيراً الى رالف قائلاً

— ماذا تصنعين هنا مع ذلك الشاب ؟

تورد وجه فيرونيكا وكادت تجيبه في عنف قائلة

— ماذا يهمك وما شأنك يا مستر دنبي ؟

على انها كبحت جماح عواطفها ورفعت صدرها وشمخت بانفها ونظرت اليه بعينها الساحرتين نظرة غضب ملؤها الاحتقار والدهشة نزلت عليه كسوط العذاب ، ثم تحولت دون ان تفوه بكلمة وسارت بخطوات بطيئة على شاطئ النهر نظر تلبوت دنبي خلفها هنيئة وهو يعرض شفته ثم سار بخطوات واسعة نحو رالف وسأله قائلاً

— ماذا تفعل هنا ؟

نظر الشاب اليه وهو حائر لا يدري من أين جاء ولا ما أصابه ، على انه أجابه قائلاً
— اصطاد شيئاً من السمك

أحس تلبوت بروح الدهشة والارتياح اذ لاحظ في هيئة الشاب وكلامه ما يدل على انه رجل « جنتلمان » . على انه سأله في حدة قائلاً
— ومن أنت ؟

— اسمي فارنجدون ، وأنا أحد حراس الصيد في مزارع لينبرو . وأنت من أنت ؟

فاحمر وجه تلبوت وقال

— انك وقع أيها الرجل . أنا المستر تلبوت دنبي ابن أخي اللورد لينبرو . لك أن تبحث لنفسك عن عمل آخر بعد شهر

جاء رالف الى الشاطئ . ثم وضع طعمة جديدة في تؤدة وقال في غير اكتراث
— ان هذا الامر غريب . هل غير فخامته رأيه بمثل هذه السرعة ؟ لقد عهد

الى بهذه الوظيفة ذاك اليوم ، فاذا جرى ؟

— ليس من عادتي ان أبدي اسبابا للخدم المطرودين ، كلاولا أرى من الضروري أن أعلم الرجل حقيقة مركزه ، يلوح لى انك نسيت مركزك أيها الرجل ، فاذا كنت تصنع مع مس دنبي ؟

فأجابه رالف فى رباطة جأش قائلاً

— كنت اعلمها كيف تلتقى السنارة

— وهل انتهزت فرصة تنازلها ؟ كنت فوق التل ورأيتك ... تقبل يدها

التي رالف نظرة قصيرة على وجه تلبوت الشاحب وقال

— ان تصوراتك أحد من بصرك . لقد رأيتنى أخرج السنارة من معصم

الانسة دنبي

— كذبت أيها النذل الوقح

التي رالف السنارة فى النهر كما لو أراد تجربتها ثم قال وهو رابط الجأش كما كان

— الكذب كذبك ؛ والوقاحة وقاحتك

تغلب الغيظ على تلبوت فرفع عصاه ، ولكن مدرالف يده فى الحال وقبض

على ذراعه وشدد الضغط عليها ، فافقدها كل قوة اذ سقطت العصا على الارض

ولما تركها رالف ارتخت بجانب صاحبها كأنها أصيبت بشال

وضع رالف القصبة جانبا ثم تناول العصا فكسرها على ركبتة الى جزئين ، على

حين عقد لسان تلبوت عن الكلام تقريبا فوقف يرمق غريمه بعينين متقدتين

هنيهة وأخيرا قال

— ستفادر هذا المكان حالا ... حالا ، هل تسمع ؟ سأسوى لك راتبك ولو

انك لا تستحقه ، واذا وجدتك هنا بعد ساعة أمرت بطردك من المزرعة شرطرد

أخذ رالف على ما يظهر يفكر فى موقفه فى عناية فقال

— أظن انك قلت انك ابن أخى اللورد ؟ وأنت وارثه على ما اعتقد ؟ ولكنك

لست صاحب السيادة بعد . ان اللورد لنبرو لا يزال صاحب القول فاذا كان

لا يهملك الامر يا مستر دنبي فسأنتظر الى ان يندرنى اللورد بنفسه أو يأمر المستر برشت بانذارى . وعلى ذلك سأعرض نفسي لخطر الطرد

زجر تلبوت دنبي واتقدت عيناه غضبا ثم تم قائلًا كانه لا يصدق مثل هذه القحة - لا بد انك معتوه . اعمل بنصيحتى ايها الرجل ولا تدعنى اسمع بك أو

اراك هنا ثانية . وسأبلغ اللورد لينبرو بسلوكك هذا وفحتك فسأله رالف فى ابتهاج قائلًا :

- هل تظن ان هذا فى وسعك ؟ ألا يخامر الشك نفس اللورد اذا سمع ان

ابن اخيه اخذت منه عصاته وكسرت ؟

ابرقت عيننا تلبوت ورمق الجسم الطويل القوى الواقف امامه ، فقال رالف

كانما قرأ افكار دنبي

- نعم اننا متعادلان طولاً ووزناً ، فاذا أردت المبارزة فتعال خلف ذلك

التل . ولكن صه !

ثم خفت صوته تحذيراً وعاد فقال :

- ارى فتاتين تراقباننا ؟ ... سأذهب الآن يا مستر دنبي . يسرنى ان

الفاك فى أى وقت شئت وستجدنى فى كوخ المستر برشت أو على مقربة منه .

عم صباحا

وقف تلبوت يحدق النظر الى الشاب الذى خاض فى الماء ثانية واستأنف .

الصيد كما لو لم يحدث شىء مطلقاً - ثم تحول وسار فى طريقه

وفى ما كانت فيرونيكا سائرة على الشاطئ ، اذ برزت فتاة من خلف مجموعة

من الاشجار وهرعت اليها فصاحت فيرونيكا فى استياء قائلة :

- فانى

جاءت فانى ماسون وهى تلهث ونظرت الى فيرونيكا بعينين ملوئهما الرغب قائلة

- أو اه يا مس فيرونيكا . انهما . . . اخشى ان يتقاتلا

حولت فيرونيكا رأسها فوقعت عينها على تلبوت وهو يرفع غصاه ، على

حين صاحت فاني صيحة خافتة وكادث تجرى الى الرجلين ولكن قبضت فيرونيكا
على ذراعها وحالت بينها وبين ما تريد قائلة
- إزى السكوت

اذغنت الفتاة وهي تلهث وترتجف فوقفت الفتاتان تراقبان ما يجري . نعم
لم تلهث فيرونيكا أو ترتجف ، ولكن تورد وجهها فلما رأت نتيجة المشادة
تنفست الصعداء من بين شفطيهما المغترقتين وجذبت الفتاة قائلة
- هيا . لماذا تضطربين كل هذا الاضطراب ؟

فقال الفتاة وقد تورد وجهها خجلا
- اننى اضطرب دائما كلما رأيت عرا كايامس فيرونيكا . وقد رأيت انهم
سيتشاحنان بعد أن خاطبك المستر تلبوت وذهب الى المستر رالف
فقال فيرونيكا وهي تنظر اليها احتقارا
- اذن كنت خلف الاشجار ... تراقبين ؟

فتلعثمت فاني قائلة
- كلا ... لم اكب أراقب ايتها الانسة ، ولكن اتفق أن كنت في الغابة
فرأيت المستر رالف يصطاد ممكا فشعرت بعيل الى مراقبته لانه ... لانه
فقال فيرونيكا

- لانه ماهر ، اليس كذلك ؟ . . يلوح لي انك تعرفينه جيدا ؟
القت فيرونيكا هذا السؤال في غير اكثر ا ولكنها أحست في نفسها بشيء
من الخجل . نعم وجدت فتاة أخرى « تهتم » برالف فارنجدون ، ولكن هذا
طبيعي ومألوف لان الفتاة التي تشغل بالفسيل وحارس الصيد من طبقة واحدة
أما هي ...

قالت الفتاة في خجل
- نعم ايتها الانسة أعرفه ، فقد . . . فقد جاء الى كوخنا في اليوم الاول
لقدومه ليرد الجرو الصغير ويضمده جرحه

فقلت فيرونيكا فى شىء من القلق

— جرحه ؟

ولكن سرعان ماتم لك عواطفها وقالت

— أى نعم . هيا بنا . لماذا تنظرين خلفك ؟

فتنفست فأنى الصعداء وقالت

— لكى ... لكى أرى هل سيتشاحنان ثانية ايتها الانسة . كلا . لقد سار

المستر تلبوت فى طريقه . اننى مسرورة . لقد بدت عليه دلائل القسوة . لم اخش أن يصاب المستر رالف نادى لانه قوى و ... ولكن اسألك المезде ايتها الانسة فقد نسيت ان المستر تلبوت ابن عمك وانك طبعا تريدن ان يضربه ويتغلب عليه

عضت فيرونيكا شفقتها وقالت

— ليس هناك « طبعا » يا فانى . اظن ان كليهما جاهل احمق ، وكليهما يستحق

الضرب يلوح لى ان المستر تلبوت زعم انه يسرق الصيد لانه لا يعرف انه حارس الصيد الجديد . اظن ان من الصواب ان لا تنولى شيئا عما رأيته هذا الصباح فأجابتها الفتاة فى لهفة قائلة

— كلا . كلا ايتها الانسة ، فقط أرجو ان لا يكون المستر رالف رأتى ...

وأنا لانه لا يريد ان يرانا نراقبه . كم أنا فرحة لانهما لم يتشاحنا الست فرحة ايتها الانسة فيرونيكا ؟

فقلت الفتاة بلمجة جافة

— جدا . . الان اهرعى الى المنزل ياماتى . ولكن نسيت ان اخبرك اننى

أريد ان تغسل قطعة من الدنتلا العتيقة . فهل تأتين الى غدا صباحا ؟

ابتهجت الفتاة ، لان زيارتها لمس فيرونيكا معناها دائماً الحصول على ثوب

اوشىء من ملابسها المهمة ، وأجابتها وهى تبسم قائلة

— نعم بلا ريب ايتها الانسة ، شكراً لك

على ان هذه الابتسامة لم تلبث ان ذهبت وهى سائرة الى الكوخ ، اذ

سألت الفتاة نفسها قائلة

لماذا اظهرت الانسة فيرونیکا هذا الميل الفجائى الى صيد السمك ، وماذا كان المستر رالف يصنع بمعصمها ؟

وكانت الفتاتان قد سارتا على مهل ، فلما وصلت فيرونیکا الى القصر وجدت تلبوت يتلصكاً حول اللورد وهو جالس على التراس فى الشمس ، وفيما كانت الفتاة تصعد درجات السلم وهى تحديق النظر امامها مباشرة ، اذ سمعت اللورد يقول — انه اشبه شئ بتلميذ تحت وصاية فيرونیکا تقول انك لا تميل الى أخلاقه . وتطلب طرده ؟ ولكن هل تجهل يا عزيزى تلبوت انما اذا طردنا كل خادم لا تميل الى أخلاقه فانه لا تمضى مدة وجيزة حتى نجد اننا نقوم بخدمة أنفسنا فننظف أحذيتنا ونحوى صيدنا ؟ ولكن ماذا يفعل حارس الصيد بالاخلاق ؟

فقال تلبوت فى استياء وهو يكتم غيظه

— اخبرت الرجل أن يذهب ويغادر المكان

فرفع الشيخ عينيه اليه وعلى ثغره ابتسامة جافة ثم قال

— ليس عليك ان تضايق نفسك بأمر الخدم يا عزيزى تلبوت لان الوقت لم يحن بعد وستجد نفسك مستاء متى تحتم عليك الاهتمام بشئونهم . لدى رأى خاص فى استخدام الخدم وطردهم وهو ان أكل الامر الى الدين يعينهم من رؤسائهم ، فى هذه الحالة يجب على برشت ان... من هذا الذى يجتاز طرف الحقيقة ؟ فاجابه تلبوت فى غير اكتراث قائلا

— هذا هو الشاب بعينه

فقال اللورد

— اذن ناده

سار تلبوت الى رأس السلم على كره منه ثم نادى رالف بصوت خائى غير مسموع ، ولكن كانت اذنا الشاب حادى السمع . على حين رأت فيرونیکا وهى (م - ٥ حكم الهوى)

واقفة خلف الباب الحجرى ان رالف رابط الجأش وهو يصعد درجات السلم ثم وهو واقف امام اللورد الذى كان ينظر اليه فى غضب قائلاً بصوته الرائق الرفيع

— يلوح لى اذن انك مسرور بقحتك

فسأله رالف فى هدوء قائلاً

— من قال هذا يا مولاي ؟

مال الشيخ الى الامام فجأة وهو يرمق الشاب بعينيه الحادتين ثم سأله قائلاً

— هل يحاجبني القول ؟ ان المستر تلبوت يشكو أخلاقك

فقال رالف

— اننى آسف يا مولاي ، وأظن ان المستر تلبوت مخطىء . لقد زعم اننى

امسرق الصيد ، وفى هذا ما يكفى لاثارة غضب أى انسان

فسأل اللورد قائلاً

— ماذا تقول فى ذلك يا تلبوت ؟

فابتسم تلبوت على كره منه وقال

— ربما كان فى قوله هذا تفسير كاف وعلى كل حال لا يسعنى الا قبول اعتذار

الرجل ياسيدى

رفع رالف حاجبيه عند ما سمع كلمة « اعتذار » ثم تبسم وقال

— هل افهم من هذا ان اغادر المكان يا مولاي ؟

فتردد اللورد هنيهة ثم قال

— أظن انه يجدر ارسالك لحزم امتعتك ولكن ... لك ان تبقى واستخدم

الوقت فى اصلاح طباعك . ماذا تحمل فى هذه السلة ؟

فقال رالف

— سمكا يا مولاي

ثم تقدم وفتح السلة ، فال اللورد الى الامام ونظر الى السمك ثم الى الوجه

الاسمر الجميل وقال

— هذا سمك جميل . ولكنى صدت أجمل من هذا . . .

تنهد اللورد وتجلت في عينيه ، اللتين لاتزالان تنظران الى وجه رالف ،
دلائل الحزن الذى يشعر به قلب الشيخ اذا ما عادت به افكاره الى أيام الشباب ،
على حين قال رالف

— انه يكون أجمل لو اصلح السد

فقال اللورد فى اهتمام

— ماذا تقول ؟ ماذا أصاب السد ؟

فاجابه رالف قائلاً

— انه عتيق ، يكاد لا يصلح فى هذا الطقس وهو فى حاجة الى الترميم والاصلاح
اصنى اللورد لقول الشاب ثم قال فى تراخ

— رعمه . قل لبرشت ان يقوم باصلاحه ... هل لديك اقتراح آخر

— عن صيد السمك يامولاي ؟ . . . أرى ان تزال الاعشاب التى توجد فى

البركة الصغيرة أما فيما يتعلق بالصيد فأرى من المستحسن قطع الاشجار التى بين
غابتنا وغابة سانتسمورى ، فعندئذ تحفظ طيورنا بأشجارنا

كان رالف يتكلم بلهجة تنطوى على الاحترام التام ، ولكنه أظهر من رباطة

الجأش وضبط النفس ما اثار اعجاب فيرونيكا ، على حين حدق اللورد لينبرو
النظر اليه ثم ضحك ضحكة قصيرة وقال

— ان الشاب على حق . ادخل القصر وسل عن الآنسة فيرونيكا ...

فتمتم تلبوت قائلاً

— دعنى أذهب أنا

ولكن تجاهل اللورد قوله واستطرد فى حديثه قائلاً .

— ... واطلب اليها ان تعطيك خطاباً الى المستر هوتستون ناظر المزرعة

تخذه واشرح له ماتريد

— ولكن المستر برشت رئيس حراس الصيد يامولاي ...

فقاطعه اللورد قائلاً

— لعمري ان اطوارك في حاجة الى اصلاح . اذهب وافعل ما أمرت به .

ادخل من ذلك الباب

رفع رالف قبعته ثم دخل القاعة ، فبهره جمالها واشتغلت بها افكاره بحيث ظل هنيهة لا يدري ان فيرونيكا واقفة تنظر اليه في دهشة لانها لم تقف لتسمع الجزء الاخير من الحديث ، الى ان وقعت عيناه عليها فارتجف قليلاً ثم تقدم اليها حاملاً قبعته بيده وابلغها رسالته

تورد وجه فيرونيكا وهي تجلس امام مكتبها ولما فرغت من كتابة الرسالة قدمتها اليه في صمت . وكان رالف يراقبها في اهتمام وذهول لا يقل عن ذهوله عند ما وقعت عيناه على بهاء القاعة ، فتناول الرسالة وهو شارد الفكر ثم التفت حوله وقال

— هل أستطيع الوصول الى غرفة الخدم من هذا الطريق ؟

فأشارت فيرونيكا الى أحد الابواب ،

فقال الشاب

— شكراً لك

ثم هم بالسير في طريقه ، ولكن أوقفته فيرونيكا بإشارة وسألته قائلة

— لماذا تريد الذهاب الى غرفة الخدم ؟

فأجابها قائلاً

— لاعطيهم هذا السمك . ليس لدى غير ثلاث سمكات ولكنها كبيرة الحجم

حدقت فيرونيكا النظر الى نقطة فوق رأسه مباشرة ثم قالت في برود

— اترك اثنتين فقط ، أما السمكة الثالثة فلك ان تأخذها الى صديقتك ...

فاتي ... مسز ماسون . أظن ان هذه ليست بأول هدية من السمك أهديتها لهم

لو اغفلت فيرونيكا اللدغة الاخيرة لذهب رالف في طريقه في صمت وقد

أنلجت دمه برودة كلماتها واطوارها ، ولكن كلماتها الاخيرة حولت الثلج الى

نار ، فأتقدت عينا الشاب وقال بصوت هادئ ،

— هل تعنين اننى اسرق السمك ... الصيد ؟

وهنت قوى فيرونيكا امام غضبته الحققة ولكنها تظاهرت بالسكينة وقالت
فى ترفع وكبرياء

— هاهو الباب

نظر رالف اليها فى غضب وفغرفاه ، ولكنه تغلب على سورة غيظه ودار على
عقبه وسار

غادر رالف القصر ، وكل عصب من اعصابه يدق وقد زعم طبعاً انه يعرف
السبب الذى حمل الفتاة على ان تعامله هذه المعاملة فقال انها سيدة عظيمة فاستاءت
من طريقته الجافة التى أراد بها ان يحميها من تسمم الدم

لما وصل رالف بخطوات سريعة الى الكوخ وجد برشت ينظف بندقيته ،
فنظر الرجل الى الشاب نظرة استفهام ، فقال رالف فى استياء وانفعال
— أرى ان لا مندوحة لى من الاستقالة لاننى لم احز رضا اللورد وأهله
على ما يظهر

فرمقه الرجل وقال

— ان كنت ؟

— فى القصر وبالييتى لم أذهب الى هناك . الواقع اننى لست متعوداً على عادات

الطبقة الراقية فى بلادكم . لا يعنف أحد لدينا ، رجلاً كان أو امرأة ، على مثل
ما فعلت اليوم ولكنى عوملت اليوم معاملة سيئة مرتين

ثم أخذ يقص على برشت حوادث الصباح بلهجة حادة قاسية ولكنه لم يشر
بكلمة الى العملية الجراحية لمنع تسمم الدم لانه عد هذا الحادث أمراً مقدساً فى
نظره ، ثم ختم حديثه قائلاً

— من الغريب انك احسنت معاملتى ولكن بقى لهؤلاء الناس ان

يعاملونى كالكلب

فقال برشت في هدوء

— انك حديث عهد بالمكان واطوار أهله . لقد تعودنا نحن الذين ولدنا هنا على هذه العادات وأصبحنا نتقبلها في اذنان واستسلام كما نتقبل تطورات الجو . نعم قد يعاملونك كالكلب في بعض الاحيان ولكن قد تكون قسوتهم أحيانا خيرا من رأفتهم

سكت الرجل هنيهة وقد اكفر وجهه ثم عاد فقال

— انهم كلهم سواء . هل تظن انك الشخص الوحيد الذى تشعر بذلك ؟

ثم ضحك ضحكة قاسية لا يلد سماعها واستطرد في حديثه فقال

— اذن ذهبت الى القصر وقابلت المستر تلبوت وتشاخنثا ودافع فخامته عنك ؟

نعم انه ماهر فى الوصول الى غايته . لعمري لأزال اذكر تلك الابتسامة وذلك الصوت اللذين حملنى بهما على الإقامة عند ماتاقت نفسى منذ أعوام الى ان انفض عن حداثى غبار المزرعة . وقد قاومت فى ذلك الوقت ولكنى قهرت وأذعنت ولوان الظلم الذى لحقنى ولحق ...

امسك الرجل عن الكلام فجأة ثم عاد فقال ببلهجة اخف من الاولى

— خير لك ان تمكث مدة أخرى أيها الشاب . لقد ألفت عشرتك واستطعت

العمل معك ، لانك لا تستطيع معايشة كل رجل أو العمل معه . اننى أشبه شئ بشجرة البلوط العتية التى تراها فى جنوب الغابة فقد نمت الاشجار الاخرى بعد ان نزلت بها الصواعق . سأقص عليك قصتى يوم ما — ليس الآن . فامكث

معى ولا تقلق

فقال رالف :

— شكرا . سأمكث فى الوقت الحاضر كما تقول ، فقد أحسنت عشتى .

ولعمري لا يسمنى الا شكرك على حنانك وثقتك بى . آه ، ها هو الخطاب ،

خير لك ان تأخذه الى المستر هو تستون بنفسك

كلا . لقد كلفك اللورد بحمله اليه وهو يريد دائما ان تطاع أوامره . هل

لك أن تتناول شيئاً من الطعام أولاً ؟

فضحك رالف ضحكة قصيرة مؤلمة قائلاً :

— لا أشعر الآن بميل الى الطعام

فوضع برشت قطعة من الخبز في يد الشاب وقال :

— خذ هذه وكلها اثناء الطريق ، وسأعد لك شيئاً عند تناول الشاي

التي رالف قبعتها على رأسه وخرج . وكان ناظر المزرعة يقطن منزلاً صغيراً بجانب الطريق في الناحية الشمالية ، فاخترق رالف الغابة وهو يقضم كسرة الخبز في ملل ، ولكن كانت شهيته كما قال قد فقدت ، فوضع الجزء الأكبر من الخبز في جيبه

وكان رالف لا يفكر طول الطريق بشيء الا بكبرياء فيرونیکا وترفعها ، فوصل الى منزل ناظر المزرعة وهو لا يزال مقطب الجبين . فوجده مفتوحاً فقرعه فامرهم بالدخول ، فسار في دهليز طويل الى الغرفة التي انبعث منها الصوت الذي امره بالدخول فرأى شيخاً نحيف الجسم اشيب الشعر ، جالساً أمام مائدة ، منكبا على بعض الاوراق ، فلم يرفع الشيخ رأسه وقال بصوت رقيق ينم على الحزن :

— من انت ؟

فاجابه رالف قائلاً :

— المستر هوتستون ؟

التي الشيخ القلم من يده والتفت فجأة بحالة غريبة ادهشت رالف ثم قال مرة

اخرى بصوت متهدج

— من . . . من انت

والظاهر ان الرجل تملك عواطفه قبل ان يجيبه رالف ، فقام ولكنه ظل

همسكا بالكسرسي ليستند عليه ، فقال الشاب :

— أنا حارس الصيد الجديد يا مستر هوتستون وقد جئتكم بخطاب من

الفلود لنبرو

حول الشيخ عينيه في بطة عن وجه الشاب ثم تناول الخطاب وقرأه ثم
تمم قائلاً

— نعم ، نعم . لقد ذكرت هذا الامر لفخامته منذ مدة مضت ولكنه لم
يصدر أمره لابد من اجراء هذه الاصلاحات . . .

فقال رالف بلهجة الاحترام

— في الوقت المناسب ، اى ليس الآن بالطبع يا سيدى

وقف الشيخ كأنه يصنى الى صدى صوت الشاب وأخيراً قال كأنه يبذل مجهوداً

— كلا . كلا بالطبع نعم في الوقت المناسب . لم ارك من قبل . نعم اخبرنى

المستر برشت انه استخدمك ولكنى لم ارك . ما اسمك ؟

كتم رالف ابتسامة كادت تتجلى على ثغره ، إذ خيل اليه انه قضى الوقت

منذ قدومه الى المزرعة في مقابلة اناس مختلفين وذكر اسمه وتاريخه لهم ، ولما
ابلقه اسمه تهدهد وقال :

— رالف فارنجدون . كلا . لم اسمع بهذا الاسم من قبل

— هذا محتمل جداً يا سيدى لاننى جئت من استراليا

تجملت على وجه الرجل دلائل الاهتمام ولكنها تلاشت في الحال وقال
بصوته الخافت

— استراليا . نعم . نعم ، كثيرون يهاجرون الى هناك اراك قوى الجسم ..

ان حياة حارس الصيد هنا شاقة متعبة لكثرة اللصوص

فقال رالف

— هذا ما علمت به . اننى اعثر دائماً على شباك لصيد الطيور ، ويلوح لى

ان بعض الرجال جربوا الغابة في المدة الاخيرة

كان ناظر المزرعة لا يزال يصنى الى صدى ، بعيد ، فأولماً برأسه وهو شارد

الفكر ثم قال

— اذن لا تعرف هذه الجهات مطلقا ؟ كلا انك لا تعرفها طبعا ، ارجو أن تكون مستريحا في عملك فقال رالف :

— نعم ، شكرا لك . لا بأس بحالتي فسأله الشيخ في الحال قائلا :

— أليس لديك ما تشكوه ؟ هل تقطن مع المستر برشت ؟ هل تستطيع معاشرته ؟ ليس من السهل معاشرته . كلا . ولكنه احتمل كثيرا من التجارب . هل اخبرك ؟

نم ألقى نظرة سريعة على الشاب ، فقال رالف في تودة — كلا لم يخبرني شيئا

على انه ذكر كلمات برشت الاخيرة فقال

— لم يخبرني شيئا ولو انني ادرت من احواله انه احتمل شيئا من التجارب فقال الشيخ وهو شارد الفكر

— تجربة مريعة . نعم احتمل تجربة مريعة بحيث يحق له الاعتماد على تجلده وطول أناتك يا فارس نجدون ، هل تذكر ذلك ؟ فاجابه رالف قائلا

— سأذكره ، ولو أن المستر برشت احسن معاملتي الى الآن . نعم ليس

الرجل من الذين يقابلونك بالابتهاج والسرور ولكني اعتدت معاشرة جميع الرجال على اختلاف اطوارهم ياسيدى

أوما الناظر برأسه ولكنه لم يتكلم لانه كان يحدق النظر الى وجه رالف حتى رافقه هذا العمل على ما يظهر وارتاح اليه اخيرا قال رالف

— اظن ليس لديك رد ياسيدى ؟

افاق المستر هوتستون من ذهوله على صوت الشاب فقال

— كلا كلا . سأكتب الى نخامة اللورد فيما بعد . عم صباحا
ثم التي نفسه على مقعده ولكن لم يلبث أن حول رأسه ثانية وقال
— تعال الى من وقت الى آخر . نعم اترك كل شيء يتعلق بالصيد للمستر
برشت ، ولكنني اروم الوقوف من وقت الى آخر على مجرى الاحوال
فقال رالف

— كما تريد . عم صباحا ياسيدي
لم يكذب يصل رالف الى منتصف الدهليز حتى ذكر السدوالاعشاب التي تنمو
في البركة الجنوبية فعاد مسرعاً ثم قال بلهجة الاعتذار
— اسألك المذرة ياسيدي

وكان المستر هوتستون منكبا على صورة مصغرة داخل علبة مفتوحة على
المكتب امامه فلما سمع صوت رالف ارتجف قليلا وغطى الصورة بيده في الحال
ثم التفت وقال متلعثما
— آه ، هذا أنت ؟ ما الخبر ؟

ذكر رالف الغاية من رجوعه ، فقال المستر هوتستون وهو شارد الفكر
— سأنظر في الامر .. نعم . نعم . عم صباحا
عاد الشاب الى الكوخ من الطريق الذي جاء منه ، ولكن ذكر أنه يريد
شراء بعض الاسلاك من القرية فعرج الى الطريق العام
على انه لم يكذب يقطع مسافة وجيزة حتى رأى رجلا رايا بين الاشجار في
الغابة على مسافة بضعة خطوات من السياج ، فسار رالف في صمت وحذر الى أن
وضع يده على منكب الرجل ، فوثب هذا واقتنا على قدميه وحول الى الشاب
وجها دميما ينم على الخبث العظيم والشر ، ثم زجر في خوف وجراءة معا ، فسأله
برالف قائلا

— ماذا تعمل هنا ؟

التي الشاب هذا السؤال ، ولو انه كان من السهل أن يدرك من حالة الرجل

انه جاء ليمسرق الارانب التى كانت كثيرة فى تلك المنطقة . والواقع لاحظ رالف
أن الرجل يحمل فى يده البنى عصا غليظة ، ولو أن ذراعه اليسرى كانت معصوبة
بضماد قذر ملوث بالدم ، على حين اجابه الرجل فى حدة قائلاً

— ماذا افعل هنا ؟ ماذا تظن اننى اعمل هنا ؟ كنت اريد النوم قليلا ، هذا
ما كنت اعمله ياسيدى ،

فقال رالف فى رفق

— اننى آسف لاقلاق راحتك ، ولكنك جئت الى هنا بدون حق . وفوق
ذلك يجب أن لاتأتى هنا لتنام فقد تغط فى نومك فتزعج الارانب من غطيئك
— ها . ومن تكون انت ؟ أرى من حديثك انك تملك كل هذه المزرعة
رأى رالف ان الرجل يختلف عن لصوص الصيد الذين عرفهم الى الآن فى
انكلترا ، وان حالته تدل على انه اجنبى من المستعمرات فخاره فى حديثه وقال
— كلا . لست صاحب المزرعة ولكنى احد الذين يتولون حراسة مافىها ،
هل فهمت ؟

فقال الرجل

— نعم فهمت ، ولكن لماذا لاترتدى بذلة رسمية ؟ ثم ماذا تقصد من
تبخترك على هذه الحال كما لو كنت سيداً على كل هذه المنطقة ؟ أخبرنى لمن هذه
المزارع ايها السيد ؟

فاجابه رالف فى تبرم قائلاً

— للورد لينبرو . والآن اذا كنت قد فرغت من جميع الاسئلة التى تريدها
فيجدر بك ان تذهب الى الناحية الاخرى من السياج

شجر الرجل بانقه ونظر فيما حوله ثم قال

— هل لديك شئ من التبغ ياسيدى ؟

لم يستطع رالف أن يرفض طلب الرجل فاخرج كيس التبغ وقال

— خذ ماتريد

وفيما كان الرجل يملأ غليونه ، اذ سمع صوت دوكار يسير في الطريق ، فرفع رالف عينيه فرأى ان الراكب هو المستر تلبوت دنبي فادرك انه في طريقه الى المحطة بلا مرأى .

رفع الرجل عينيه أيضاً ولم يلبث أن انسل الى احدى الاشجار فتوارى خلفها ووقف يحدق النظر الى تلبوت دنبي بعينين تجأت فيه دلائل الحقد والشر بحالة ادهشت رالف ثم قال بصوت مبجوح
- من من هذا ؟ من هو ؟ امرع سيذهب . قل لى ما اممه تبا لك

فقال رالف فى حزم

- احسن كلامك . اجتز هذا السياج فقد كفانى مالقيته منك

وصل الدوكار الى نقطة مقابلة لهما ، فتجاهل الرجل وجود رالف معه وانزوى خلف الشجرة وجعل يرمق تلبوت بعينين حادتين متقدتين الى أن مر من أمامه وبعد ذلك مسح بيده المعصوبة العرق الذى تصبب من وجهه ثم تحول الى رالف وقال
- اسألك المَعذرة أيها الزميل . لقد خطر ببالي أننى رأيت الرجل من قبل ولكنى وجدت اننى مخطئ . ان كل انسان عرضة للخطأ ، اليس كذلك ؟ هل هناك ما يمنع من سؤالك عن هذا الرجل العظيم ؟

رأى رالف أن خير وسيلة للتخلص من الرجل أن يجيبه على سؤاله فقال
- هذا المستر تلبوت دنبي ابن أخى اللورد لينبرو ووارثه . اعطنى كيس التبغ ... شكراً . والآن ...

- صدقت ، صدقت يا سيدى . اننى شاكر لك فضلك على الدخان وجوابك

الرقيق على اسئلتى

وقف رالف يراقب الرجل وهو سائر في الطريق فرآه يحدق النظر مرة أخرى نحو الدوكار وقد شدد الضغط بأسنانه على غليونه بحالة وحشية

الفضل الثامن

لم ينس رالف السمكة التي « امر » بارسالها الى آل ماسون ، فاخذها وذهب الى الكوخ عند ما بدا طوافه في المساء . وكان ينوى ان يتركها مع « تمنيات الآنسة فيرونیکا الطيبة » ولكن جاءته فاني تجرى في ممر الحديقة وقابلته بوجه متورد وابتسامة ترحيب على ثغرها الجميل ثم قالت بانفاس متقطعة

— يجب أن تدخل لتشكرك أُمى على هديتك يا مستر رالف . أن أعراضك يسوءها ، وفوق ذلك لست على عجل

دخل رالف الكوخ ، فجاءته الفتاة بكرمى ثم أخذت قبعته وعلقتها على حمالة الملابس ونادت أمها فجاءت وأعجبت بالهدية ، فقال رالف — ولكن يجب أن تشكري مس دنبي . ان السمكة لها — أو على الأقل

للورد لينبرو — وقد امرتني باحضارها الى هنا

تبسمت فاني ابتسامة تنم على الشك والارتياب في صحة ما يقول وقالت — كل هذا حسن يا مستر رالف ، ولكن في وسعنا أن نعرف من الذي وضع هذه الفكرة في رأسها . اننا نعرف انكم معشر الرجال لا تريدون شكراً على مكرمة ، اليس كذلك يا أماء ؟ أما وقد جئت الى هنا فيجب ان تتناول شيئاً من الطعام . لقد شرعت في اعداد الطعام ووضعت غطاء المائدة . يجب ان يتعشى معنا يا أماء والاقلنا انك لا تريد ان تأخذ السمكة ، اليس كذلك ؟ لعمري من دواعي السرور أن يجد الانسان من يتحدث معه لا سيما في هذه الحياة التي نقضيها دائماً في العمل

اذعن رالف لالحاح الفتاة وقال

— حسن ، ولكن يجب أن لا أمكث طويلاً

شرعت الفتاة تهتم باعداد الطعام ولما فرغت طلبت الى رالف ان يتقدم بكرسيه الى المائدة ففعل ، وعندئذ وجد الشاب فرقاً عظيماً بين حالته الان وبين حالته أثناء

تناول الطعام فى صمت وسكون مع المستر برشت ، فانهز الفرصة وتمتع بالطعام اللذيذ البسيط ، وبابتسامات الفتاة العذبة وضحكاتها الرقيقة

أخيراً قالت فانى عند ما أخذت امها ترفع ادوات الطعام عن المائدة — لقد رأيتك صباح اليوم تصيد السمك ، أنت والآنسة فيرونیکا . . . اشعل غليونك . . . أظن أنك كنت تعلمها الصيد ؟ ما اعظم مهارتها ، اليست ماهرة ؟ ثم الا ترى انها جميلة ؟ هذا رأى

فاعترف رالف قائلاً

— أى نعم ، أظن ذلك

— هل تظن فقط ؟ انها جميلة . . . وأنت تعرف ذلك . بل هى مليحة رقيقة القلب

فقال رالف فى جفاء

— حقا ؟ أقول اننى لم ألاحظ ذلك ، ولكنك تعرفينها خيراً منى فقالت فانى

— اننى ذاهبة الى القصر غدا ، وفى عزمى ان ابلغها ما قلت فضحك رالف وقال

— افعل . لعمرى انها لا تهتم برأى فيها

— آه ، لا أدرى . ان الآنسة فيرونیکا لا تهتم بكل انسان ، لذا أعدك سعيداً جداً يا مستر رالف

فقال الشاب

— شكراً لك ايتها الانسة ، ولو اننى لا أرى من أين تأتى هذه السعادة

فاه رالف بالجملة الاخيرة وهوى ذكر ما أصابه فى الصباح وأخيراً قال

— الان يجب أن أقوم للطواف حول المزرعة

فقالت الفتاة فى الحاح

— ليس ثمة ما يدعوك الى الامراع . لم يحن وقت طوافك بعد

فقال رالف على الفور فى دهشة

— من اين علمت ذلك ؟

تورد وجه فانى ، لانها لم تجرباً على الاعتراف له بانها تراقب جميع حركاته
وسكناته ، وقالت فى حياء

— هذا ما خمنته لاننى اردت ان استبقيك قليلا . امكث خمس دقائق اخرى .

حتى تفرغ من تدخين غليونك

اذعن رالف لدعوة الفتاة طبعاً ، وفيما كان مضطجماً فى كرسيه الى الوراء ،
جاءت فانى بقطعة من القماش ثم جلست فى الناحية الاخرى من المائدة وأخذت
تشتغل بتطريزها ، او تتظاهر بذلك ، لانها جعلت تنظر من طرف خفى بعينها
العسليتين الذابلتين الى الوجه الجميل الذى تجلت عليه دلائل التفكير العميق ،
الى ان قالت بعد قليل

— إذن عاد المستر تلبوت دنى الى لندن . يا له من شاب جميل ، اليس كذلك ؟

فقال رالف وهو شارد الفكر

— نعم انه شاب جميل الخلقة

فقال الفتاة وهى لا تزال تراقبه

— وهو من العظماء أيضاً

فأمن رالف على قولها للمرة الثانية قائلاً

— نعم ، أى نعم

— لا أدرى هل حقاً ما يقولون وهو انه سيقترن بالانسة فيرونيكا

رفع رالف عينيه فى الحال ولكنه تظاهر بخافة بعدم الاكتراث وقال

— هل هذا ما يقولونه ؟

فهزت فانى رأسها الذهبى وقالت

— نعم ، فانت ترى أن زواجهما صفقة رابحة لكليهما . فستكون الانسة

فيرونيكا كونتس ، على حين يحصل المستر تلبوت على مال اللورد و ثروته . آه ،

كان يجدر بي ان لا أقول هذا القول لان وصية اللورد وترك أمواله للانسة فيرونیکا لا تزال سرّاً من الامرار . وقد سمعت هذا النبأ من المستر ولفورد احد رجال اللورد ، ولكن ليس هناك ضرر من افشاء هذا السر لك يا مستر رالف فقال الشاب بلهجة التأكيد

— كلا ، مطلقا ، لاسيما وان مثل هذا الامر لا يهمني . ثم من عادتى ان انسى كل شيء لا يعنينى أو لا يهمنى

فتمتعت الفتاة وقد تورد وجهها فجأة ، قائلة
— أرجو ان لا ينطبق هذا القول على أصدقائك ؟

فضحك رالف واجابها قائلاً

— ماذا ، كلا بلا ريب . ان كل انسان يهتم باصدقائه اما الانسة فأتى ويذكر دائماً جميلهم

فقالت الفتاة فى عدم اكرات ظاهر

— اذن سأذكرك دائماً

فقال رالف

— ان الجميل جميلكم ، فانتم اول أصدقاء لى فى هذه المنطقة كما تعلمين

ارتاحت الفتاة الى قوله هذا وقالت بوجه يتلألاً ابتهاجا

— ما أجمل قولك هذا يا مستر رالف . اننى واثقة من انك سوف لاتنسانا او

تستبدلنا بأصدقاء آخرين

فتبسم رالف وقال

— على الان ان أغادركم لاننى أريد مراقبة دقيقة ، فقد علمت ان بعض

الصوص حاولوا زيارتها فى المدة الاخيرة

قامت الفتاة ورافقتة أثناء الطريق الذى يجتاز الحديقة ، فقال رالف

— ما أجمل رائحة الزهور

فقالت الفتاة

— حقاً ؟ انتظر قليلا

ثم هرعت وقطفت زهرة جميلة وعادت اليه قائلة

— هذه لك . دعني اضعها في عروة سترتك ، هل تسمح ؟

كانت الفتاة على مقربة منه بحيث كان في وسعه ان يحس بأنفاسها الحارة على خده ، وفيما كانت ترشق الزهرة في مكانها وترفع وجهها اليه وهي تتمم قائلة « كذا » كانت وجنتاها الورديتان على مقربة من شفتيه بحيث كان يلتمس له المماذير لو مالت شفاته هذه المسافة الوجيزة والتقت بشفتيها الرقيقتين اللتين رفعتها اليه بحالة تدعو الى الاغراء الشديد

على ان رالف لم يكن رجلا شديد الاحساس والتأثر ، ميالا الى المداينة ، فلم يدر بخلده ان يقبلها ، وانما قال في ابتهاج

— أشكرك شكراً عظيماً . يا إلهي ما أجل هذه الرائحة ! مساء الخير

أيتها الأنسة فاني

وقفت الفتاة تراقبه ، وكل قلبها في عينيها ، الى ان اختفى عن عينيها فعمضت الشفتين اللتين تجاهلها ثم تنهدت من اعماق قلبها ودخلت المنزل .

عاد رالف الى الكوخ قبيل الفجر ثم ذهب الى فراشه . ومع انه كان خائراً القوي غير ان هذا لم يحل دون احلامه ، فرأى في المنام انه واقف على شاطئ النهر ، وان المستر تلبوت يضره بعضا ، وان الأنسة فيرونيكا تنظر اليهما وتضحك ، فلم يكن حالما سارا فاستيقظ رالف من نومه وهو يصيح صيحة ملؤها الغضب والعار لبست فيرونيكا في تلك الليلة سوارا ثقيلا من الذهب غطت به الجرح الصغير في معصمها ولم تخلعه الا بعد ما انصرفت وصيفتها لتنام ، فنظرت فيرونيكا عندئذ الى البقعة الصغيرة الحمراء على معصمها نظرة طويلة ماؤها التأمل والتفكير

قالت فيرونيكا في نفسها ان تسمم الدم أمر خطر جداً ، وهو يدرك هذه الحقيقة بلا سراء والا ما تجرأ على . . . على ما فعل

(م - ٦ حكم الهوى)

تورد وجه الفتاة عندئذ وتولاها خجل خائى ، ولكن لم تلبث أطوارها ان تغيرت فقالت ، هل فى عمله خطر عليه يأتى ؟ اذا اتفق وكان فى شفتيه جرح صغير او خدش - وهذا ما يصيب حراس الصيد عادة - فمن المحتمل ان ...

صاحت فيرونيكا فى حيرة قائلة

- ويحى من غبية حمقاء ! ماذا دهانى ؟

أخيراً لما ذهبت فيرونيكا الى فراشها قالت

— يلوح لى ان عيشة البذخ والرفاهية قد سلبت قواى الفكرية التى عهدتها

دائماً صحيحة قوية . سأخذ سالى (جوادها) لاقطع عليه رحلة طويلة غدا

جىء بالجواد بعد فراع فيرونيكا من تناول الفطور فى صباح اليوم التالى ،

فركبت الفتاة وشرعت فى رحلتها الطويلة التى ارادت ان تطردها السحب المظلمة

التي خيمت على أفكارها . وكانت فيرونيكا تتوق الى العزلة والانفراد ، فصرفت

السائس بالرغم من حداثة سن الجواد وميله الى الجموح . على ان الفتاة كانت

تحسن الركوب فضحكت من مناورات الجواد الذى سار فى هدوء بعد ان اطلقت

له العنان بين المروج الخضراء

أخيراً لوت فيرونيكا عنان جوادها نحو الغابة ، ولكن لم تكد تقطع مسافة

طويلة حتى رفع الجواد اذنيه وجفل ، وعلى أثر ذلك ظهر رالف من خلال

الاشجار الى الممر الضيق الذى يخترق الغابة

رفع الشاب قبعته ، ولكن تجاهلت فيرونيكا تحيته لا لسبب اللهم الا ان

قلبا خفق بشدة عند رؤيته وظلت تحدد النظر الى اذنى الجواد . على انها لم

تكذ ثمر من امامه حتى أحسست بسورة غضب على نفسها وقالت فى تألم

- لماذا لم أجبه على تحيته باشارة صغيرة من رأسى . سيظن الرجل اننى اعلق

أهمية على ... تجاوزه حدود الادب

هز رالف منكبيه وهو ينظر خلفها ثم سار فى طريقه ، ولكن شاءت

الاقدار ان تداعبها كما فعلت فى اليوم السابق ، اذ لم تمض ساعة أخرى حتى

سمع رالف وقع حوافر الجواد فنظر خلفه فرأى الفتاة تنهب الارض نهبا بجوادها الذى اطلقت له العنان وسط الحشائش

نظر الشاب نحو الغابة التى كانت فيرونيكا تتجه نحوها ، فلم يسمعه الا التفكير بالاخطار التى استهدفت اليها من جراء الاغصان المعلقة فوق الرؤوس والارض الملساء التى يركض الجواد فوقها ، فالتكأ على بندقيته ووقف ينتظر

بذلت فيرونيكا جميع قواها حتى استطاعت ان تجذب أعنان جوادها عند حافة الغابة وعلى مقربة من رالف ، فاستطاع الشاب أن يرى انها راكبة على سرج بلجام واحد . وكان فى نيته أن يتجنب مخاطبتها ولكن هذه الحقيقة قضت على استيائه فتقدم اليها وخاطبها فى احترام ولكن بتلك الصراحة التى وجدتها فيرونيكا مرهقة لها ، فقال

— اسألك الممذرة يامس دنبي . واسألك هل من الحكمة ان تركبى جوادا حديث العهد بلجام واحد ؟ ان الجواد صغير جموح على ماأرى فقالت فيرونيكا فى امتعاض

— لقد تعودت دائما ركوبه على هذه الحال . وإذا كنت تعرف شيئا عن الجياد ...

رأت فيرونيكا فى تلك اللحظة على ثغره ابتسامة عقدت لسانها عن اتمام جملتها وقالت .

— ولكن اظنك تعتقد المعرفة مثل غيرك من الرجال فقال رالف

— لقد اشتغلت بتربية الخيل فيما مضى ، والآن أقول لك أن من الخطر أن تركبى مثل هذا الجواد الجموح بلجام واحد ، ولو كنت سائس جوادك ماسمحت لك بركوبه على هذه الحال

فرفعت فيرونيكا حاجبيها وكررت قوله قائلة

— لا تسمع لى

— كلا . لاننى اعده مسئولا . يجب أن يكون هناك لجامان لجواد صغير كهذا . انه جميل وقد اعجبت به ذلك اليوم ولكن لا يمكن الاعتماد عليه . ولممرى لو استمر يركض فى طريقه الى الغابة — وقد آنست منه هذا الميل — لحديث مالاتحمد عقباه

فقال فيرونيكا

— ولكن فى وسعى أن اجذب العنان وقد فعلت
— فى هذه المرة نعم ، ولكن قد لاتستطيعين ذلك فى كل مرة ، ان
حياتك غالية ...

صعد الدم الى وجه فيرونيكا ، وكان رالف قد وضع يده على عنان الجواد وهو يخاطبها ، فقالت الفتاة فى برود
— هل لك أن تدع عنان الجواد ؟
تورد وجه رالف الاسمر وابتقت عيناه وقال
— اسألك المذرة ، وانما أردت أن اقول ان حياة كل انسان اغلى من أن
تعرض لمثل هذا الخطر

أرخى رالف يده عن العنان ثم رفع قبعته وتحول وسار الى الغابة
وصل الشاب الى الكوخ ، وفيما كان يخرج الخرطوش من بندقيته ، اذسمع
شيئا يندفع وسط ممر الغابة فخرج ليرى ماهناك فالتقى فجأة بالجواد يركض
مضطربا ، فوثب نحوه وقبض عليه من عنانه المقطوع ثم تتم قائلا
— هذا ما حسبته

شد رالف الجواد الى احدى الاشجار ثم اخذ يتتبع اثره بقاب مضطرب
الى أن وصل الى فيرونيكا فوجدها جالسة على جذع شجرة بين الحشائش ، تميل
الى الامام وقد غطت وجهها بيدها . وكانت قد فقدت قبعتها فتدلت خصلات
شعرها الجميل على منكبيها وسترت جانبها من وجهها
سمعت فيرونيكا وقع قدمى رالف خاوات القيام ولكنها لم تستطع فرفعت

عينها اليه في عجز واستياء وتحد معا ، ثم قالت في ترفع وغطرسة

— لقد اصابني حادث

على انها فاهت بهذه الكلمات بصوت مضطرب متهدج خن قلب رالف لها وقال

— هذا ماأراه ، هل اصابك اذى ؟

فاجابته قائلة

— كلا . لاظن ذلك . لقد اضطرب جوادى من جراء ارنب فر من تحت

اذنه فجمح وقد انقطع العنان فوقعت على الارض

ثم ضحكت ضحكة خالية من الابتهاج وقالت

— لاظن اننى اصبت باذى ، ولكن اصطدم رأسى واشعر ... بدوار ...

فهز رالف رأسه وقال

— اعرف ذلك

— اذا وصل جوادى الى القصر ... فقد يسمع اللورد لينبرو بالحادث فيضطرب

— لا تخافى ، فقد امسكت الجواد . هل تظنين أن فى وسعك المشى الى الكوخ

اتكأ على ذراعى

استندت فيرونيكا الى ذراعه ثم قامت وترنحت بضع خطوات ، فقال رالف

— اتكئى على . حسن . ان الكوخ قريب هل تشعرين باغماء ؟

فقالت الفتاة وهى تناضل ضعفتها النسأى

— كلا . كلا . اظن اننى اصبت قدمى ، لانى اشعر بآلم شديد

فقال رالف مخاطباً نفسه اكثر من مخاطبتها

— رض ! يجب أن لا تسيرى عليها . ضعى يدك على منكبى

فسأله قائلة

— ماذا ... ماذا تنوى عمله ؟

فاجابها فى ايجاز قائلاً

— احملك

اندفع الدم الى وجهها وقالت

— ولكنى انهاك !

فاجابها في هدوء قائلًا

— لا فائدة . من الحماقة ان تمشى على قدم مرضوضة . قفى ساكنة بالله

لم تجد فيرونيكا من كبرياتها الشجاعة على مقاومته فاستسلمت وأذغنت على كره منها فحملها بين ذراعيه ، وفيما كان يسير بها كاد الالم يسلبها حواسها فاغمضت عينيها ومال رأسها شيئًا فشيئًا الى ان استند الى منكبه

وصل رالف بالفتاة الى الكوخ فوضعها على كرمى ، وقلبه يخفق بشدة ، لا من المجهود الذى بذله بحملها — ولو أن فيرونيكا لم تكن خفيفة الوزن — بل لاضطراب حواسه حتى رأى الوجه الشاحب الجميل من خلال سحابة خيمت على عينيه . على أنه نبذ سلطان ملاحظتها جانبًا ثم ذهب وجاء بكوبة من الماء وضعها على شفتيها

شربت فيرونيكا جرعة صغيرة وهى تتنفس فى ببطء وتألم ، ثم مسحت شفتيها بمنديلها وهى لا تدري ماذا تفعل ، فتناول رالف من يدها وغمسه فى الماء وبلل جبينها ، وفيما كان يقوم بهذه العملية جذبها اليه وهولا يشعر الى أن أسند رأسها الى جسمه ، وعندئذ ذهب عنها اغماؤها ففتحت عينيها ونظرت اليه كأنها فى حلم ثم قالت بصوت خافت

— اين أنا ؟ .. اى نعم ، لقد تذكرت . . . شكرًا لك

وكانت دلائل الحياء تتجلى فى عينيها ، ولكن التقت عيناها بعينيها كأنما لم

تستطع أن تحولها عنه ثم قالت

— يحزننى ان تتحمل هذه المتاعب

حاول رالف ان يقول « لا شيء » ولكن خافه صوته وبج

تحركت فيرونيكا فتضجرت ، فقال رالف

— قدمك ؟ دعينى انظر اليها

— كلا . كلا . . . فى وسعى أن امشى
وضعت فيرونيكا قدمها على الارض ، فرأى رالف شفيتها تتقلصان ومعهما
تقول فى تألم
— اواه ، كيف استطيع الوصول الى المنزل ؟
فقال رالف
— سأذهب لاحضار عربية ، ولكن يجب ان اريحك اولاً
فقال الفتاة بصوت خافت
— يلوح لى اننى ولدت لافلاكك
ارتجف رالف وظن نفسه فى حلم من الاحلام . ولا عجب فقد ذهب ضعفها
الفجائى بروح الاستياء التى تولدت فى نفسه من جراء معاملتها الماضيه له ، وتوجع
قلبه حناناً عليها وبعاطفة اخرى جمعت بين السرور والالم ، فقال بصوت مبسوح
— كلا . كلا . من حسن الحظ اننى كنت على مقربة منك . الآن دعينى آتى
بكرسى آخر . . . ولكن لا ، هناك متكأ
حاولت فيرونيكا القيام ولكنه منعها ثم طوقها بذراعيه ورفعها — ولو انها
ناضلت قليلاً وحملها الى المتكأ ثم قال بلهجة الامر
— ارفدى ولا تتحركى . هل ستحاولين القيام بعد خروجى ؟
فاجابته الفتاة بصوت خافت وقد أرخت عينيهما قائلة
— كلا . هل تغيب ؟
— سأجربى . كلا . بل سأركب الجواد
على انه لم يكده يصل الى الباب حتى التقى ببرشت فقال رالف على الفور
— اصيبت الالة فيرونيكا بحادث وسأذهب لاحضار عربية
قطب برشت جبينه ثم نظر الى الفتاة هنيهة وقال .
— امكث هنا . سأذهب بنفسى . الجواد ؟ نعم رأيت
عاد رالف الى الغرفة ، ففتحت فيرونيكا عينيهما وقالت بصوت ضعيف خافت

— هل عدت بمثل هذه السرعة ؟

فاجابها قائلاً

— لقد ذهب برشت . سأذهب الى الخارج اذا ... اذا كنت تريدن ...

فقال فيرونیکا

— نعم امكث معى . لا أريد ان تغادرنى منفردة



الفصل التاسع

وقف رالف بجانب المتكأ ، ينظر الى لاشىء وقد حار لأول مرة فى حياته ، لا يدرى ماذا يقول . وكانت فيرونیکا راقدة مغمضة العينين ولكن أفكارها كانت تشتغل من وراء اجفائها ، فدهشت من الاقدار التى القتها مع هذا الرجل ، والتى اصرت فى عناد على ان تجعلها مدينة له . وكانت دهشتها هذه أكبر من ان تدعها تشعر باستياء أو تأفف . وفوق ذلك لا تستطيع المرأة ان تقاوم روح الاعجاب بقوة الرجل وشجاعته

أخيراً وجد رالف من نفسه القدرة على الكلام فقال

— هل تشعرين بألم فى قدمك ؟

فتحت فيرونیکا عينيها ونظرت اليه ملياً ثم قالت

— نعم اشعر بألم شديد . هل تظن انها تبرا سريماً ؟ انى أكره الرقاد وعدم

الحركة كثيراً

فاجابها رالف قائلاً

— عليك ان تريحيها . أظن ان شفاءك يتوقف على سكونك وراحتك يوماً أو

يومين . لقد أصيب كعبي برضوض مرة اثناء اشتغالى بأحد مناجم الذهب فخرجت

مدة طويلة لاننى لم استرح ومكثت اخرج هنا وهناك

فقلت فيرونيكا فى شىء من الدهشة

- مناجم الذهب ! أيلوح لى انك قتت باعمال كثيرة

- نعم جربت جميع ضروب الاعمال

فقلت الفتاة وهى شاردة الفكر

- ومع ذلك وجدت وقتا للذهاب الى المدرسة

فقال رالف

- نعم

ثم جذب كرسيها وجلس خلفها قليلا بحيث يستطيع مشاهدة وجهها

وكان وجه الفتاة لايزال شاحبا تبدو عليه دلائل التعب ، ولكن لاحظ

رالف ملاحظتها الفتاة الى درجة لم يشعر بها من قبل . وربما كان السبب فى ذلك

خلوه من امارات العظمة والكبرياء ، أو ربما لان فانى لفتت نظره الى ملاحظة

الانسة فيرونيكا . على انه سواء كان هذا السبب أو ذاك فقد أحس الشاب بعاطفة

لم يشعر بها من قبل وهو ينظر الى قوامها الرشيق امامه ، وشعر بقلق غريب لاعداد

له به ، ولكنه استجمع قواه وأجابها قائلاً

نعم كانت امى تهتم كثيرا بتربيتى وتعليمى ، وأظن انها ذات افكار أرقى من

افكار طبقته كما تقولون ، وأذكر انها قالت لى ان من السهل على الانسان ان

يكون رقيقا دمث الاخلاق . ولا أدري ماذا تعنى الالهم الا اذا ارادت ان تقول

ان فى وسع كل رجل ان يكون «جنتلمان» وكانت كثيرة المطامع من نحوى

فسأله فيرونيكا فى شىء من الاستياء قائلة

- لماذا تقول « كما يقولون » ؟

فضحك رالف ضحكة قصيرة قائلاً

- لاننى أعدك من طبقة العظماء

تورد وجه الفتاة قليلا وسألته بصوت خافت قائلة

— هل تقول هذا لانك تظن اننى ذات كبرياء وترفع نحو الذين هم ... دونى
فقال رالف فى برود

— اى نعم ، ان هذا حق . اذ لديك ما يدعو الى الكبرياء . فن دواعى
العظمة والالفة ان يجد الانسان نفسه رفيع الحسب والنسب ... غنيا ذا جاه
وسلطان . ولعمري لو كنت ابن لورد أو نبيل لما كنت اقل منك ... او من
امثالك ، كبرياء وعظمة

وضمت فيرونيكا يدها تحت ذقنها ثم تحولت للنظر اليه وقالت :
— هل لك ان ترشح كرسيك من مكانه لكى أراك ؟

جذب رالف كرسيه الى الامام ثم حدق النظر الى الحائط المقابل له ووجد
فى مكانه كأنما جلس لتؤخذ صورته الفتوغرافية ، على حين قالت الفتاة :
— شكرا . . اذن تظن اننى ذات كبرياء وغطرسة ؟ ولكن هل تدري اننى
لم اكن دائما غنية ذات جاه وسلطان كما تقول ؟ هل تدري اننى كنت فيما مضى
— منذ مدة ليست بعيدة — فى فقر مدقع ؟

خول رالف عينيه اليها فى اهتمام شديد وقال :
— كلا ؟

— نعم كنت . لقد كان أبى فقيرا جدا بحيث لم نجد دائما حاجتنا من الطعام
تجلبت دلائل العطف والحنان فى عينى رالف على حين اغرورقت عيناه فيرونيكا
بالدموع واستطردت فى حديثها بصوت خافت قائلة

— نعم كنا فى فقر مدقع ، نعيش فى حى ضرب بلعنة الفقر ومع ذلك تعذر
علينا العيش هناك وكنت أشتغل بالتطريز . ولعمري مضت شهور على وصولى
الى القصر قبل ان تذهب آثار الابرة من اصابعى

ثم مدت يدها الى الشاب ، فتحولت عيناه الى اليد البيضاء التى اطال اليها
النظر مليا ، وأخيرا استطردت الفتاة فى حديثها فقالت
— وكنت ارتدى ثيابا رثة ، وأسير فى الطريق مبللة القدمين لان حذاءى

كان باليا ، وأضطر الى السير الى المصنع حاملة شغلى لاننى لم اكن اطيع تفقات
عربة الامنيوس

خيل الى رالف ان فى كلماتها تهمة مريعة ضد العالم الذى هو منه ، فتمتم قائلاً
— رحماك يا إلهى !

— على اننى كنت اعزى نفسى طول الوقت بفكرة واحدة وهى اننى من
اسرة دنبي . ولم يستطع شىء ان يسلبنى هذا العزاء الذى شدد عزيمتى وقواتى
فى اشد الاوقات محنة . سنقول ان هذا كبرياء ، وأقول انه كذلك ، فكثرة
آلامى وشدة شقائى هى التى ولدت فى نفسى روح الكبرياء والانتفة

فقال رالف بصوت خافت

— ولكن كان لديك عزائك وعونك على كل حال فقد كنت تعلمين انك
ستصعدين يوماً ما الى عرشك . . . وقد كان . أما نحن فليس لدينا مثل هذا العزاء
ولا مثل هذه المعونة فى نضالنا وكفاحنا فى الحياة . اننا من التراب ولا بد أن
نبقى تراباً . . .

سكت رالف هنيهة ثم عاد فقال

— ولكن هذا قول سخيف ، اليس كذلك ؟ لعمري قرأت فى أحد الكتب
أن نصف اعضاء مجلس اللوردة رجال ارتفع ابائهم — او ارتفعوا هم — من بين
طبقات العامة

فقال فيرونيكا

— نعم تجد المرأة فى بلادنا هذه فرصاً لا يجدها فى غيرها من بلدان العالم
للصعود الى اسمى مكان

لمعت عينا رالف ثم ضحك وتهدد معا وقال

— نعم لا اجهل كل هذا . كنت أروم فيما مضى الكفاح والنضال الى ان اصل
الى القمة أو الى ما يقرب منها ولكن ... ولكنى شبه حيوان كسول سهل الرضا
والاقتناع . فاعطى طعامى وجليونى ، والبقعة التى أتناول فيها طعامى وأدخن

غليوني ، أكن قانعا راضيا . وقد تعودت أُمى ، كما أخبرتك ، ان تعطنى درسا
عن مستقبلى وتبث فى نفسى روح الآمال والطمع ، فلوماشت ربما . . . ولكنها
ماتت ، ولست الآن ، الاحارسا للعبيد

ذكر رالف على ما يظهر من حديثه عن نفسه انه أطلق لنفسه الحرية فى مخاطبة
السيدة الشابة خول مجرى الحديث قائلا

— لقد تأخر برشت . أظن انه وجد مشقة فى الحصول على عربة
فقال فيرونيكا

— لا يستطيع ان يعود الآن . هل لك ان تتكرم بوضع شئ لين تحت قدمى
لان المتسكك صلب ؟

تناول رالف سترته وكانت معلقة بمسار ، ثم طواها ورفع القدم الموضوعة
فى رفق ما استطاع ووضعها عليها ، فقالت فيرونيكا
— شكرآ لك

فنظر رالف اليها وسألها فى تألم قائلا
— هل تشعرين بألم شديد ؟

فتبسمت الفتاة واجابته قائلة

— كلا . لا أشعر بألم الان ، ولكن أشد آلامى من الجوع

نظر الشاب حوله فى لهفة وعجز ثم قال

— ليس لدينا شئ غير خبز وجبن

— اعطنى قليلا منهما بالله

وثب رالف الى المائدة وجاءها بما طابت ثم قال

— كنت أود ان اصنع لك فنجانا من الشاى ولكن ليس ثمة وقت . لقد تأخرت
العربة كثيرا

تناولت فيرونيكا الطبق ثم قالت

— جبن مع شاى ؟ أظن انها لا يصلحان معا

وجدت الفتاة مشقة في حمل الطبق، فتناول رالف من يدها ثانية وامسكه امامها قائلاً

— ليت لدينا خيراً من هذا

— او اه ، لا تعتذر . لقد مرت بي أيام كنت اعد فيها كسرة من الخبز وقطعة

من الخبز طعاماً فاحراً

فسأله رالف على كره منه قائلاً

— لماذا تخبريني انك ... انك ذقت مراراً الفقر فيما مضى ؟

رفعت فيرونيكا عينيها — وكانتا على مقر من عينيها وهو يميل نحوها حاملاً

الطبق — ابتسمت في تفكير وقالت

— لا أدري السبب بالضبط . ربما من لا أريد ان تظن انت او غيرك اننى ذات

كبرياء غريب نسبي وثروتى . او ربما لاننى ... او اه لا أدري . ما أجل هذا الطعام ،

ولو انه من الصعب ان آكل وأنا على هذه الحال

همت فيرونيكا ان ترفع جسمها فوق المتكأ الصلب ، فوضع رالف الطبق في

الحال وأسرع فوضع ذراعه حولها وساعدها على الجلوس بالهيئة التى ارادتها ،

فقالت بصوت رقيق

— شكراً . انك قوى . والان أريد أن أعرب لك عن أسفى لاننى عاملتك

أمس بخشونة وفظاظة

وكانت فيرونيكا تنظر الى عينيها وهى تخاطبه فارختها الان . ولكن نظرتها

كانت ساحرة ، خفق لها قلب الشاب وتلعثم قائلاً

— انت ... فظة ... !

فقالت الفتاة فى شىء من الحزن

— نعم . لا أدري ماذا اصابنى وقتئذ ولكن اظنها سورة نفسية

على ان الشاب قال بلهجة الاحتجاج العنيف

— انت ! كلا . كلا ...

فتمتت الفتاة قائلة

— اننى . . . سيئة الطباع هذه طباعى دائما . اشعر بظما شديدا من الجبن والخبز

فقال رالف فى ارتياب

— لدى شىء من الجمعة

ولكنها اجابته فى رفق قائلة

— اعطنى ماء بالله . أو اه ، شكرآ لك ولكن أرانى ناكرة للجميل ، جافة الطباع

بعد كل ما اظهرته نحوى من شفقة وحنان

فتورد وجه رالف بالرغم من سمرته ، وتلعثم قائلا

— اسألك . . . اسألك المезде . لم افكر فى الامر ، وانما فكرت فقط . . .

ان تسمم الدم أمر خطر جدا كما تعلمين ، ولكنى استبحت لنفسى .. حرية عظيمة ..

فتجلت فى عينيها الجميلتين ابتسامة رقيقة وقالت

— نعم ان قولك هذا يذكرنى بالنديم الذى ترك ملك اسبانيا حتى كاد يموت احتراقا

لانه رأى أن التقاليد المرعية تمنعه من أن يخبر الملك أن النار اشتعلت بسترته

ضحك رالف ، ولكنها كانت ضحكة انفعال ، على حين قالت فيرونيكا

بصوت خافت

— وهل استهدفت لاي خطر ؟

فاجابها على الفور قائلا

— كلا . كلا مطلقا . ومع ذلك اذا كنت

ضبط رالف عواطفه ونظر من خلال النافذة ولكن حركت فيرونيكا رأسها

زيادة فى راحتها كأنها لا تشاظره ملله ، ثم سألته فى رفق قائلة

— وماذا قال لك المستر تلبوت حتى اثار غضبك ؟

فتورد وجه رالف وقال

— لا ادرى . لقد كان يحاول ... هل رأيت اذن ما حدث ؟ ... اننى آسف

خذرت فيرونيكا بلهجة عذبة قائلة

— يجدر بك أن تضبط عواطفك

فقال رالف في وداعة

هو ماتقولين

ساد السكوت هنيئة وأخيراً قالت فيرونيكا

هل اخذت السمكة الى ... الى مسز ماسون ؟

ارتاح رالف لا تنتقلها الى موضوع خال من دواعي الارتباك واجابها قائلاً

— نعم ، وهى ممتنعة كثيراً

فقات فيرونيكا

— ان ابنتها جميلة جداً

فأمن رالف على قولها دون اقل حماسة قائلاً

— نعم ، اى نعم

فخلعت الفتاة عينها دهشة وقالت

الا تظن ذلك ؟

— نعم ، هذا ظنى ، لم افكر فى الامر على كل حال . نعم اظن انها جميلة صدقيني

لم اتعمد ملاحظتها

فتبسمت فيرونيكا — هل ارتياحاً ياترى ؟ — على انها قالت غناها مستاءة

— لا اظن انك سليم الذوق

— ربما اظن اننى لأميل الى هذا الضرب من الملاحظة

— حقاً ؟ ومع ذلك فانه محبوب — محيا جميل ، وشعر ذهبي

فسلم رالف وهو شارد اللب قائلاً

— نعم لا اجهل ذلك

فقات فيرونيكا فى عدم اكتراث كأن الموضوع لايهمها كثيراً

— أى ضرب من الجمال تعجب به ؟

لو القت فيرونيكا سؤالها هذا على امرأة مثلها فاتها الغرض الذى يرمى اليه ،

ولكن رالف سقط فى الفخ الذى نصبت له ، فاجابها على الفور قائلاً

— اننى أميل الى الفتاة ذات الشعر الناعم الاسود ، والعينين الرماديتين اللتين
تضربان الى اللون البنفسجى والوجه العاجى .. والاهداب الطويلة .
وكان رالف يحدق النظر امامه كأنما يجهد نفسه فى وصف الصورة التى طبعت
على صفحة مخيلته فلم ير تورد « الوجه العاجى » ولا الالبتسامة التى ارتسمت على
الشفقتين الرقيقتين

قالت فيرونيكا بصوتها المذب
— ولكن هذا وصف للطراز العادى
أفاق رالف من ثباته ثم وثب واقفا على قدميه وقال
— اننى اسمع صوت العربى . اظن انهم لا يستطيعون الوصول بها الى باب الكوخ
وكان رالف يقف جامدا فى مكانه انفعالا ، فقالت الفتاة
— فى وسعى ان أمشى او أحجل . . . اذا اعطيتنى ذراعى
مد رالف اليها ذراعه ، فوضعت يدها عليها ثم مشت تعرج الى الباب حيث
لقيتها وصيفتها جودوين ، فصاحت قائلة
— أواه ايتها الانسة فيرونيكا
— اننى بخير . لا تخافى
على حين صاح رالف بلمهجة التحذير قائلا
— حذار . حذار أن تصطدم قدمك . انك لا تستطيعين الوثوب الى العربى
فقالت الفتاة فى تألم
— نعم لا أستطيع . ساعدنى بالله
لم تكن هناك غير وسيلة واحدة لمساعدتها ، فرفعها بين ذراعيه القويتين
مرة أخرى ، وحملها الى العربى حيث وضعها فى رفق ، فاضطجعت الفتاة الى الوراء
على مهل وجعلت تمظر اليه من خلال اهدابها الطويلة ، ثم قالت بصوت خافت :
— أشكرك شكراً عظيماً

ارتد رالف الى الوراء وهو يشعر بدوار وذهول من جراء الانفعالات النفسية

التي نارت سورتها في قلبه ، ثم قالت بصوت مبجوح ، ولكن بصوت الامر الناهي
- مر على مهل !

وقف رالف يحدق النظر خلف العربة هنيهة ثم مر بيده على جبينه ، كأنما
اراد أن يزيل السحب التي خيمت في رأسه ، ودخل الكوخ
وجد الشاب قطعة صغيرة من القماش مبللة بالماء ملقاة بجانب المتكأ ، فتناولها
فاذا بها منديل فيرونيكا ، فوقف يحدق النظر في ذهول وأخيراً رفعه الى شفتيه
ولكن يظهر أن طراوة الماء ردت الشاب الى صوابه فضحك ضحكة جافة وقال
- ويحي ، هل اصابني مس من الجنون ؟

ثم ألقى المنديل بعيداً عنه
على انه خيل اليه ان المنديل يؤنبه في صمت من حيث هو ملقى على الارض ،
الى ان التقطه - بعد أن تمشى في أرض الغرفة ذهاباً وجيئة وهو ينظر اليه في
كل مرة - ثم دسه في جيب صدره

لما وصلت فيرونيكا الى القصر اتكأت على ذراع وصيفتها وأخذت تمجّل الى ان
وصلت الى غرفتها بشق النفس . وكان قد ارسل في طلب الطبيب فجاء على اثر فراغ
فيرونيكا من خلع ثوب الركوب واستبداله بثوب رقيق

صعد اللورد لينبرو مع الطبيب ، فتأثرت فيرونيكا لما أظهره الشيخ من القلق
عليها . والواقع سألهما اللورد بلهجة شديدة قائلاً

- هل كنت بدون سائس ؟ هل تشعرين بألم شديد ؟ هل أنت واثقة انه
رضوض فقط ؟

فأجابته فيرونيكا في خضوع قائلة

لقد أمرت السائس بالعودة لانني لا أطيق في بعض الاحيان ان أراه يتسكّم خلقي
ولعمري أتمتع بنزهتي متى كنت منفردة

- نعم تراح نفوسنا في أغلب الاحيان عند ما لا يكون هناك خدم يضايقونا

(م - ٧ حكم الهوى)

ولكن ...

هز اللورد منكبيه! ونظر اليها وعلى ثغره ابتسامته المعهودة ، على حين قال
الطبيب العتيق

— انه رضوض فقط . لم أجد كسر لحسن الحظ ، وأقول انك سلكت سبيل
الحكمة بعدم محاولتك المشى أيتها الانسة دنجي

لم تشأ الفتاة ان تنكر جميل رالف ، فاعترفت على كره منها قائلة
— لم أكن انا التي فكرت بذلك بل ... فانجدون ، حارس الصيد . فهو الذى
امسك الجواد ... وأخذنى الى الكوخ ... وأرسل فى طلب العربة و ...

فقطب اللورد جبينه وقاطعها قائلاً
— يلوح لى ان ذلك الشاب امامك دائماً ولكن أظن انك كافأته . اذا كنت لم
تفعلى فسأرسل فى طلبه ...

فصاحت فيرونيكا على الفور قائلة
كلا . كلا . لا تفعل شيئاً من هذا القبيل . أريد ... أريد ان أقول انه لا يريد
شيئاً من ذلك

فقال اللورد
— أى نعم ، اذكر انه رفض الجنيه الذى عرضته عليه ذلك اليوم . ياله من شاب
غريب اعلى انه يسرنى ما ظهره من الصواب والحكمة ، ولا بدلى ان ارسل اليه وأشكره
فقال فيرونيكا وهى تحاول الكلام بدون اكتراث

— لا أرى ما يدعو الى ذلك . فقد شكرته بنفسى
فقبل اللورد قولا وقال

— حسن . أرجو ان يكون هذا درساً لك فلا تخرجين بعد الان منفردة
وكان الطبيب يضع على قدمها ضماً بارداً فنظرت اليها وقالت
— نعم ، ان الدرس مائل امام عيني جيداً . أرجو ان لا أمكث غرماً مدة طويلة
يادكتور ثورن

هال الطبيب ان تصف الفتاة نفسها بهذه الكلمة فقال
— عرجاء ! كلا يا عزيزتى . ولكن الامر يتوقف عليك . فالراحة ، والراحة
فقط هى انجع دواء للعضو المروض . سأعودك فى المساء لا أرى كيف حالك .
أرجوك مرة أخرى ان تحرصى على الراحة التامة
لما انصرف اللورد لينبرو والطبيب ، تخلصت فيرونيكا من وصيفتها فى أقرب
فرصة ، ثم اغمضت عينيها واضطجعت الى الراء ، ولم تلبث ان عادت اليها ذكري
الحوادث التى مرت بها فى الصباح . ولم تكن قدمها وحدها هى التى تتألم بل
كان جسمها كله يتقد بنار العار والتأنيب

لقد سمحت لراف فارنجدون ان يحملها — ان يحملها بين ذراعيه مرتين فى
هذا الصباح ! ولكن الادهى — اذ لا فائدة من الانكار — انها أخذت تتجاذب
معه اطراف الحديث كما لو كان ندا لها . ثم أمر من هذا وذاك انها استخدمت
حيلها النسائية لتثير فى قلبه روح الإعجاب بها
نعم لم تدرك فيرونيكا معنى الخطة التى سلكتها وهى تحت تأثير آلامها
وشعورها بجميله ، ولكن الآن ، الآن وهى بعيدة عنه . . . سلمت فى نفسها
بأنها لم تشعر باستياء عندما طوقها بذراعيه ، وانها أحست بسرور لوجودها معه ،
وانها لم تكن شديدة الرغبة فى وصول العربية ، وانها حزنّت فى الواقع لما وصلت
العربية فعلا بالرغم من آلامها ، لانها دعتة او بالحري اكرهته على ان يحملها بين
ذراعيه ثانية

اعترفت فيرونيكا بكل هذه الحقائق فى نفسها ولم تلبث ان تأوّهت قائلة
— او اه ماذا دهانى ؟ هل فقدت كل شعور بالتعقل والكرامة . وهل مسنى
خبل أم اصابنى جنون ؟ نعم اننى مجنونة ، جنونا مريعا بلا مرء
كانت وجنتاها لايزالان ملتهبتين عند ما دخلت عليها جودوين ، تمشى على
اطراف أصابعها ، فانتهرتها فيرونيكا بلهجة حادة لم تعهدها الفتاة من قبل قائلة
— بالله لاندورى حولى كما لو كنت على فراش الموت

فقال الوصيفة المسكينة

— أسألك المَعذرة أيتها الآنسة . انها فاني ماسون وقد جاءت هذا الصباح

فقال فيرونيكا

— حقا ، دعها تدخل

وقم اسم فاني على مسامح فيرونيكا مثل « دوش » بارد فعادت الى حواسها

دخلت الفتاة مسرعة وقالت في شيء من الاهتمام والقلق

— انها مكرمة منك أيتها الآنسة ان تدعيني الى غرفتك فلعلك بخير . لقد

قابلت المستر رالف الان فاخبرني انك اصبت برضوض وانه كان لحسن الحظ على

مقربة منك ، ولعمري أخبرته ليلة أمس انه شاب سعيد الحظ

فقال فيرونيكا في برود

— ليلة أمس ؟

— نعم ايتها الآنسة ، فقد جاء بالسمة التي تكرمت فارسلتها اليها ومكت

عندنا قليلا وتناول شيئا من الطعام . يلوح لي انه شديد القلق عليك ايتها الآنسة

وقد اخبرني ما ظهرته من الشجاعة بالرغم من الالم الشديد الذي . . .

كانت كل كلمة شديدة الوقع في نفس الفتاة فقاطعتها قائلة :

— نعم . نعم ... لدى ثوب وضعت له جانبا يا فاني . سلى جودوين عنه

أرادت الفتاة ان تطلق لسانها بالشكر ولكن حالت فيرونيكا دون رغبته

وأسرعت ففالت

— يسرني ان يأتى رالف فارنجدون اليك ويراك لانك تشعرين عادة بوحشة

وعزلة . ولعمري اعد عطفك عليه مكرمة منك . استودعك الله . ارجو أن لا

يحتاج الثوب الى إصلاح كثير لان قوامك يشبه قوامي تقريبا

رقدت فيرونيكا على المتكأ ساعات طويلة وهي تحاول ان لا تفكر برالف ،

أو إذا فكرت به تحاول ان تجمع بينه وبين فاني ماسون ، الى ان تولاه الضجر

في النهاية ولم تطق البقاء في الغرفة فأصرت على ان تحمل الى تحت وتجلس في التراس

ولكن وأسفاه !

لقد ارتكبت فيرونيكا بعملها هذا شر ممل اذا كانت قد أرادت بعملها هذا ان تطرد عنها فكرة رالف لانه لم يمض عليها بضع دقائق حتى جاء اللورد لينبرو ثم نظر اليها وقال :

— لقد جاء الشاب بقفازك ، وهو يريد ان يسأل عن حالتك يا فيرونيكا فهزت الفتاة منكبها وقالت

— قل له اننى بخير . ما الفائدة من احضار القفاز الذى تمزق عند سقوطى؟ فقال اللورد فى تراخ :

— لقد اصاب فى صملة . لا بد لى ان اشكره وأصرفه

— نعم ... ولكن لا تعرض عليه نقودا بالله

فتبسم اللورد ابتسامة ذات معنى وقال

— اذا كنت لا تثقين بى فخير لك ان تشكره بنفسك

ثم التفت الى الخادم الذى يرافقه وخطبه قائلاً

— ارسل فارنجدون الى هنا

حركت فيرونيكا شفيتها لتمنعه ، ولكنها احست بعمى وانقلبت الى جنبها الآخر ثم رقدت مسندة خدها بيدها وأخذت تناضل لتحول دون صعود الدم الى وجهها

لم ترفع الفتاة عينها عند ما جاء رالف ولكنها اضطرت الى تحويل رأسها عند ما خاطبها اللورد لينبرو قائلاً

— ان مس دنى تريد شكرى يا فارنجدون على الخدمات التى قت بها فى هذا الصباح . وقد علمت انه لولا مبادرتك الى مساعدتها وما اظهرته من الحكمة والدراية لساءت حالتها الى درجة خطيرة

وكان اللورد قد جلس على مقعد حجري ومال الى الامام ، وكلتا يديه على رأس عصاه الذهبى ، يحدق النظر بعينيه الحادثتين الى وجه رالف ، على حين اجابه

الشاب قائلا

— لقد شكرتني مس فيرونیکا من قبل يامولاي

فقال اللورد بلهجة رفيقة

— بلاريب ، ولكنها تريد ان تزيد في شكرك ، وفوق ذلك انتهز الفرصة

وأضمر شكرى الى شكرها

وكانت فيرونیکا قد رفعت عينيها ، فخيل الى الشاب ان نظراتها تجذب عينيه

اليها بالرغم من مقاومته ، غنى رأسه اليها وقال

— لم اصنع شيئا يستحق الشكر يامولاي ولو كان الجواد ملجأ بلجام متين

مزدوج ماوقع هذا الحادث ولأأصيبت الآتسة بضرر

فقال اللورد

— ماذا ؟ هل هذا صحيح يا فيرونیکا ؟

حاولت الفتاة ان تتظاهر بعدم الاكتراث فقالت بعد هنيهة

— نعم ، وسأطلب الى براون السائس ان يصلح كل شيء . امانت يا فارنجدون

فانى اشكرك على عنايتك واهتمامك بى

كانت هذه أول مرة خاطبته فيها باسمه دون كلفة ، وقد فاهت به بصوتها

العذب الرقيق وهى لا تدري ، فاندفع الدم الى وجه رالف ونظر جانبا وهو يحنى

رأسه اعترافا بشكرها

وكان اللورد يحدد النظر الى الشاب فسأله قائلا :

— هل لديك انباء عن الصيد يا فارنجدون ؟

فأجابه الشاب قائلا

— كلا يامولاي ان الطيور الصغيرة تتكاثر لوتركها للصوص

فقطب اللورد جبينه وقال

— لصوص ! زعمت ان ليس بالمرعة كلها أحدهمهم

ولما كان الحديث قد تغير الان الى موضوع عملى ، فقد أجابه رالف دون

ارتباك قائلا

— يوجد لص أولصان فقط يعرف من هما . ولكن يوجد بعض غرباء يأتون
من المزارع المجاورة ، ومن لندن نفسها . وهم ينزلون في منزل سيء ، السمعة ، على
الطريق العام في طرف المزرعة ، يدعى « الكلب والبوم »
فقال اللورد في سهولة

— يجب ان نغلقه

— انك لا تستطيع يا مولاي

فقال اللورد بلهجة جافة

— ألا أستطيع؟

— نعم يا مولاي لانهم يقيمون في صمت وهدوء ، ويقول رجال البوايس
انه لم يشكهم أحد ، مع ان الذين يستخدمون هذا المنزل هم الذين يضايقوننا
أكثر من غيرهم

فقال اللورد في استياء

— اذن راقبه ؟ راقبه !

فأجابه رالف باللهجة عينها قائلا

— سأفعل

دهشت فيرونیکا للهجة الشاب . والظاهر ان اللورد لاحظ ذلك أيضا فخدق
النظر في وجهه مليا ثم قطب جبينه وقام ، وعندئذ سقطت عصاه فبادر رالف الى
التقاطها ثم ناولها اياه فأخذها اللورد منه وجعل يتفرس في وجهه وأخيرا قال
بصوت خشن

— شكرا ، شكرا . لك ان تذهب الان

سار اللورد نحو الباب ، على حين هم رالف بالذهاب ، ولكن استوففته الفتاة

نحركة من يدها قائلة

— انتظر ،

تحرك الشاب نحوها خطوة ثم وقف ينظر اليها في انتظار ، فقالت الفتاة في
تراخ وبدون اكتراث .

— لقد اتيت بقفازي ، ولكنني نسيت منديلي في الكوخ فهل رأيته ؟
وهل هو هناك ؟

اخذت الفتاة رالف على غرة منه ، فرفع يده الى جيب صدريته ، ولكنه
تردد ثم ارخى ذراعه قائلاً

— كلا... كلا ، ليس هناك

فحملت فيرونيكا في وجهه وظلت تحقق النظر اليه إلى أن ارخاها ،
فتمتمت قائلة

— حسن ، شكراً لك . ارجوك اذا وجدته ان ترده الى وصيفتي



الفصل العاشر

فادر رالف القصر وقد نارت سورة غضبه على نفسه ، واخذ يسائلها قائلاً :
لماذا لم يرد المنديل اليها مع القفاذ ؟ ولماذا تحمله غباوته على ان يلتجئ الى
الكذب ؟ لاريب انه كان من السهل عليه جدا أن يخرج المنديل من جيبه
ويرده اليها ؟

التي رالف على نفسه هذه الاسئلة وهو سائر في طريقه ، ومع ذلك احس
انه لا يستطيع ولن يستطيع أن يستغنى عن منديلها ، وقال ماذا يهمهم الاستردته
أو تركته ؟ لاريب انها تملك مناديل عديدة فلا يضيرها ان تفقد واحدا منها
شعر الشاب بقلق غريب وارتيابك من جراء حوادث الصباح ، فقطع اميالا
عديدة حول المزرعة ، يجد السير كأنما يريد التخلص من افكاره فلم يصل الى
الكوخ الا قبيل الغروب

لزم برشت الصمت اثناء العشاء ، وبعد فراغه منه جلس يدخن كما لو كان
فارقا في لجة عميقة من افكاره . وقد اظهر رالف ايضا عدم ميل الى الكلام
ولكنه لم يلبث أن خاض في حديث السد الذي يراد اقامته في النهر ، وقطع
الاشجار القائمة عند طرف المزرعة . فقال

— أرجو ان لا تظن اننى اخذت شيئا كثيرا على عاتقي ؟ ان الامر من شئونك
كما اخبرت المستر هوتستون

فقبل برشت هذا العذر ، على حين قال رالف في تأمرو وتفكير
— ان المستر هوتستون رجل غريب . فانك تراه دائما شارد الفكر
مشغول البال . وقد احسن معاملتي كثيرا ، ولكن تلوح عليه دلائل الهموم
التي شيدت شعره

نظر برشت الى غليونه وهو مقطب الجبين وقال

— صدقت ايها الشاب . لقد كان سدنى هوتستون فيما مضى من اعظم الرجال
مرورا وابتهاجا . نعم هى الهموم والاحزان
لزم الرجل الصمت هنيهة ، شئت فيها افكار رالف وعادت الى الاشتغال
بفيرونيكا الى أن قال برشت فى النهاية
— أما اصل متاعبه فتعود الى فتاة ، كما هى العادة فى اغلب الاحيان
فقال رالف

— نعم ، ولذا يقول الفرنسيون متى وجدوا مشكلة أو مصيبة : « فتش
عن المرأة »

فتنهذ برشت طويلا وقال

— آه ، نعم المرأة دائما . لقد وقع سدنى هوتستون فى غرام فتاة كانت اجمل
امراة فى المنطقة كلها ، حتى جذبت قلوب جميع الشبان اليها ... الحر هنا شديد
ايها الشاب .

ثم مسح العرق عن جبينه ، فقام رالف وفتح الباب فدخل النسيم حاملا
عبير الزهور والورود المزروعة فى الحديقة الصغيرة . على حين وقف رالف هنيهة
ينظر الى ظلمة الليل فى الخارج ، فلم يلبث ان تمثل له وجه مليح بعينين رماديتين
فتململ قلقا ثم عاد الى مقعده

وكان برشت يتكىء فى تراخ على ذراعى كرسيه ، فاستطرد فى حديثه قائلا
— كانت الفتاة فى القصر ، تشتغل كنديمة للكونتس ، والدة اللورد لينبرو
الحالى . وقد مالت الكونتس اليها ميلا شديدا وأرادت أن تراها دائما حولها ،
لان الفتاة كانت طليقة المحيا بشوشة الوجه فوق جماها الفتان

سكت برشت مرة أخرى وحدث النظر الى أرض الغرفة ثم عاد فقال
— وكان سدنى هوتستون فى ذلك الوقت كاتباً فى لندن ، ولكنه كان يأتى
دائماً لتضية اجازاته ، لان قلبه كان معلقا بحب الفتاة لا يفكر بشئ سواها
حاول رالف أن يحصر أفكاره فى القصة التى يرويها برشت له ، فسأله قائلا

— وهل قابلت الفتاة هوام بمثله ؟

— نعم ، الى زمن ما على كل حال . لا تنس اننى لم أقف أن بينهما علاقة معينة . ولكن يظهر أنها كانت تميل اليه اكثر من غيره من الشبان الآخرين ، وتمشى معه فى المساء عند ما تفرغ من أعمالها فى القصر . وكان سدنى شبه مجنون بحبها فاراد أن يقترب منها ولكنها تدلت وماطلته كأنها لا تدري حقيقة أفكارها ، فكان يعود الى لندن بين الامل واليأس فقال رالف فى عطف دهش هو نفسه له — مسكين !

على حين استطرد برشت فى حديثه فقال

— وفى ذلك الوقت كان الزائرون يترددون بكثرة على القصر ، فال كثيرون من الرجال والنساء الى الفتاة هل اخبرتك انها كانت مليحة بشوشة الوجه ؟
أوماً رالف برأسه علامة الايجاب فقال إالرجل —
أخيراً حدث ذات يوم أن عاد سدنى هوتستون الى لندن يحمل شبه وعد منها بانها ستفكر فى الزواج به ، ولكن وقع عندئذ . . . حادث أشعل رالف غليونه ثم نظر الى وجه رفيقه فى شوق ولهفة ، فقال برشت بصوت مبجوح

— وعندئذ اختفت

فصاح رالف تائلا

— اختفت ؟ يا الهى ! هل تعنى انها . . . انها قتلت ؟ لا يكن أن تعنى هذا فقال برشت بصوت غليظ

— بل أعنى شراً من ذلك ، فقد اختفت مع رجل عظيم من رجال القصر

أحمر وجه رالف ثم امتنع وقال

— هل تعنى انها . . . انها فرت مع أحد ؟

— نعم . لقد أغريت وضلت

— ولكنكم اقتفيم أثرها طبعا ووجدتم من ذلك النذل ؟
هز برشت رأسه وقال

— تفرق الجماعة يوم هربها ولم تخلف الفتا وراءها أثراً . وقد جاء سدنى
هوتستون من لندن منسحق القلب وحاول أن يجدها . . . ما هذا ؟
وكان أحد الكلاب زجر ارتياها فذهب رالف الى الباب ثم نظر حوله ولكنه
لم ير شيئاً ، فقال

— أظنه طائراً أو أرنباً . . . استمر في حديثك . . . مسكينة الفتاة . . .
مسكين هوتستون

فتنهذ برشت من أعماق قلبه وقال

— لك أن تقول ذلك ، فقد كانت صدمة مريمة له . وقد مكث المسكين
شهوراً يبحث عنها وينقب ليلاً ونهاراً — فى لندن وباريس وكل مكان — ولكنه
لم يقف لها على أثر . ولما عاد كان قد أبيض شعره من الهموم والاحزان فأتراه الآن
فقال رالف بصوت خافت
— لا بد أنه كان يهواها

عاد الكلب فزجر ثانية ورفع صدره ، فنظر اليه رالف قائلاً

— اهدأ يا بس . مما يتألم الكلب ؟ هل يمكن ان يكون احد فى الخارج ؟
فقال برشت وهو شارد الفكر

— من تظن يكون ؟ لا يجرأ احد على الاقتراب من الكوخ حيث يملعون
ان الكلاب تسمعهم . انه فأر أو أرنب . اسكت يا بس
ربض الكلب ثانية ولكنه ظل يرمق الباب بعينيه ، على حين استطرده
برشت فى حديثه فقال

— نعم كان يهواها بالروح والجسم

فسأله رالف قائلاً

— وهل لم تعرفوا مع من فرت ؟

— كلا فقد سافر معظم الذين كانوا فى القصر يوم فرارها كما اخبرتك ،
وسافر اللورد نفسه فى اليوم التالى . وقد حزنتم امه الكونتس حزنا شديدا
لانها كانت مغرمة بالفتاة وبذلت ما فى وسعها للبحث عنها ولكن ذهبت كل
مساعدتها ادراج الرياح
فقال رالف

ولكن لا بد ان يكون بعضهم شاهدا مع احدهم ؟ ولا بد أن يكون بعضهم
لاحظ ان احدهم يهتم بها
فاجابه برشت فى كآبة قائلا
— كانت محبوبة لى الجميع ، فكانوا يتحدثون معها ويتوددون اليها
فسأله رالف قائلا

— وهل اشترك اللورد فى البحث عنها أيضاً ؟

— سافر الى الخارج . وكان فى ذلك الوقت شابا طائشا يثير الازمات

رفع رالف عينيه بسرعة ، ولكن هز برشت رأسه وقال

— كان قد خطب احدى بنات اللورد سانتسبورى

ولكنه لم يقترب منها ؟

— كلا ، فقد ماتت . وكان اللورد شديد الحزن جدا حزينا على سدننى هوتستون

وعلى الفتاة لانه ارسل بعد عودته الى القصر — بعد غياب مدة — الى سدننى هوتستون ،

وكان يتضور جوعا فى لندن ، وعينه ناظرا على المزرعة

فسأله رالف قائلا

— وهل لم تسمعوا شيئا عن حميمته ؟

— كلا فقد اختفت اختفاء تاما كما لو كانت توفيت تلك الليلة

اطرق رالف مليا وقال

— انها رواية غريبة . ولكن لم تخبرنى اسمها ، فاهو ؟

فأجابه الرجل بصوت يكاد لا يسمع قائلا

— حنة برشت

ارتجف الشاب وقال

— هل كانت ... ؟

فأجابه برشت بصوت مبجوح قائلاً

— كانت أختي

خول رالف عينيه جانباً وتمم بلهجة العطف قائلاً

— اننى ... اننى آسف جد الاسف

تنهد برشت تنهداً طويلاً مؤلماً وقال فى حزن

— انها شقيقتى الوحيدة وكنت أحبها .. لأدري لماذا اخبرتك ، آه ، كنا

نتكلم عن سدنى هو تستون

فقال رالف بصوت خافت

— رأيته ينظر الى صورة مصغرة عند مازرته

— نعم فقد رسمها من صورة فتوغرافية لها

وكان رالف جالسا حاملاً دقنه بيده ومتكئاً بذراعيه على ركبته ، فنظر برشت

اليه ملياً ثم استطرده فى حديثه فقال

— لدى من الاسباب ما يبعثنى على ان احذر من الاغنياء أيها الشاب . لوبقيت

حنة معى هنا لصارت زوجة سدنى السعيدة بدلاً من ان ... لقد أردت مغادرة

المزرعة ولكن الكونتس رجتنى ان ابقى فبقيت على أمل ان تعود حنة ولكنها

لم تأت ، وأظن انها توفيت من زمن بعيد . نعم ان شفقة الاغنياء اقسى من برودهم

فكن على حذر منها أيها الشاب . لقد رأيت الانسة فيرونىكا ...

فوثب رالف واقفاً على قدميه وقال بوجه ملتهب

— ما شأن الانسة فيرونىكا بى أو ما شأنى بها ؟

فرفع برشت حاجبيه الغزيرين وقال

— لقد شاهدت وجهها صباح اليوم وأنا واقف فى مدخل الباب ، فرأيت

كله ابتسامات وقد جلست بجانبها وهي تتغذى من هذه الابتسامات وتشرب منها ضحك رالف ضحكة خشنة مملوءة ججودا وصاح قائلاً

— لعمري انها تعدنى قذارة تحت قدميها والآن اخبرنى هل تطوف فى الناحية الغربية الليلة أو تدع المهمة لى ؟

— دعها لى ، امكث أنت هنا واسترح ، فقد تحملت متاعب قاسية فى يومك فتناول رالف بندقيته وقال فى خزم

— لاشعر بأقل تعب . استرح انت وسأذهب أنا ، هيا يابس

ونبت الكلاب فى ابتهاج ، فلأ رالف غليونه ثم غادر الكوخ الى الخارج وسار تتبعه جميع الكلاب عدا الكلب بس فانه اخذ يتلصكاً ويزجرو بعدائه نحو شجيرة قريبة ، فنادى رالف الكلب فاطاعه وجاء اليه ولكنه ظل ينظر فى قلق نحو الشجيرة

لما غادر رالف الكوخ مع كلابه وسار بضغ دقائق ، قام رجل كان كامنا بين الحشائش ومشى فى الناحية المضادة . وكان الرجل هو المتجول الممصوب الذراع اللوح وكانت تلوح على وجهه القبيح دلائل الارتياب تارة وعلامات الارتياح اخرى وأخيراً تتم قائلاً

— هو الاسم بعينه ، وهو المكان نفسه . هذا حسن بلا ريب فاذا كان هو

فقد ضمنت حظك يا جاك . وافرحته ، لقد عثرت على كنز من الذهب

سار رالف بخطوات واسعة فى الغابة . وكان الشاب غارقاً فى لجة عميقة من الافكار المتضاربة فى هذه اللحظة فلم يعر اضطراب الكلب اهتماماً ولا اظهر شيئاً من يقظته العادية

وكان أنذار برشت له يرن فى أذنيه . ومع أن رالف أنكر فى ازدراء اهتمامه العظيم بالانسة فيرونيكا ، غير أنه أحس بقلق فى نفسه ، ولدنه كلمات الرجل ، وأدرك أن ما سمعه حق وصدق ، ولذا لما حاول الضحك استخاف بهذه الفكرة لم تطاوعه نفسه وعجز عن الضحك

كاد رالف يجتاز الغابة ، فرأى الكلاب فى اضطراب وقلق ، ثم سمعها تزجر
تنداراله وتندفع الى الامام فتتبعها فرأى رجلا يجرى نحو السياج الذى يفصل
بين الغابة والطريق العام فجرى خلفه ثم ناداه أن يقف فلم يفعل وأخيرا بلغ الرجل
السياج وكاد يثب من فوقه ولكن كان رالف قد لحق به وأمسكه . من ياقته وقد
ناضل الرجل ولكنه جمد فى مكانه وهو يصخب ويتهدد لان قبضة رالف
كانت من حديد

جذب الشاب الرجل بعيدا عن ظلال الاشجار فرأى انه الرجل المتجول
الذى يعصب ذراعه ، فارتاح رالف وانتهز الفرصة لكي ينزل غضبه على شخص
آخر غير نفسه ، فسأله قائلا

— ماذا تصنع هنا ؟ هل تعلم انك معتد على املاك غيرك عنوة ؟

فضحك الرجل واجابه فى قحة قائلا

— حقا ؟ أظن انك مخطيء . ان الضوء ضعيف وأظنه خدعك . لا تهزنى
بعنف أيها السيدة ، ثم أرجوك ان ترفع يدك عني . ان تتلف ياقتي . هل تسمع ؟
دعنى أذهب والا شكوتك . ان هذا طريق للملك وليس لاحد ان يتعرض لرجل
لم يسيء الى أحد . دعنى أذهب

دفع رالف الرجل الى احدى الاشجار ثم امسكه وأخذ يتفرس فى وجهه
وأخيرا قال فى حزم

— أظن انك تسرق الصيد

فقال الرجل فى قحة

— هل تظن حقا ؟ انك مخطيء . ارفع يدك عن رقبتى فقد كدت اختنق
... اسرق ! أين بندقيتى ؟ لا أحمل ! أكثر من عصاى
فقال رالف

— ربما تحمل معك شركا . سأفتشك

فقال الرجل فى شيء من القحة والخوف

— لا تكن أحمق أيها الشاب . أعلن ان لكل انسان ان يتمشى فى غابنكم
هذه اللعينة دون ان يتعرض له أحد

فأمره رالف قائلاً

— اخرج مافى جيوبك ، واذا رفضت ابقيتك هنا الى ان يأتى الشرطى
فيضعك فى السجن كرجل مشبوه

لوى الرجل وجهه الخبيث وقال فى جراءة

— اسمع يامستر رالف فانجدون ، لا تسيء الى ولا تثر غضبى عليك ، اطلب

اليك ان تعاملنى كصديق لاننى أشعر بروح الصداقة من نحوك

هز رالف منكبيه استخفافاً بهذا القول ولكن قال الرجل بلهجة التأكيد

— نعم لدى هذه الروح من نحوك . وقد أقابل جميلك بمثله . من يدري ؟

على ان رالف أصر على طلبه قائلاً

— اخرج مافى جيوبك . اننى واحد من حراس الصيد كما تعلم

فتغيرت أطوار الرجل فى الحال وقال

— انك كلب عنيد . افعل ما تريد

اخرج الرجل مافى جيوب سترته وسرواله وهو يتمتم فى نفسه وينظر الى

رالف غضباً ولم يكن معه غير بعض النقود وأشياء عتيقة بينهم مديّة كبيرة ،

ولكن رفع رالف عينيه الى جيب صدرية الرجل وأشار اليه وقال

— وهذا الجيب أيضاً . اذا لم يكن به شيء ...

رفع الرجل يده الى جيبه فجأة فزعم رالف من هذه الحركة ان شكوكه قد تحققت ،

فد يده واخرج من جيب الرجل دفتراً عتيقاً مملوءاً بالورق ولم يكن به شيء اخر

زجر الرجل غضباً مثل كلب خطفت منه عظمة ، ثم صاح متهدداً وقال

أيها اللص ؟

انزع الرجل نفسه من يد رالف وهو فى سورة غضبه ، ثم اتى نفسه على

(م — ٨ حكم الهوى)

الشاب . وبعد نضال قصير القاه رالف على الارض ثم خاطبه فى حزم قائلاً
— قم . قم واذهب ، ولكن لاتنسى انذارى لك . اذا وجدتك فى هذه
المزرعة ثانياً سلمتك للبوليس بهمة مزرقة الصيد او دخول أملاك الغير . خذ ، هادف ترك
تناول الرجل الدفتر فى لهفة ودسه فى جيبه ثم قال فى غضب ويده على عنقه
— أيها . . . الكلاب . ستجد ان عمالك هذا شر ما جنته يداك فى حياتك ،
فقد عادت اصدق صديق لك . لابدان اسوى معك حسابى ولو كلفنى ذلك حياتى
— اذهب . اذهب واشكر ربك على خلاصك . ثم لاتنس ما قلته لك

فاجابه الرجل على الفور قائلاً

— وانت لاتنس ما قلته لك . ستندم على عمالك هذا اننى واثق من ذلك ثقتى
باننى جالك اوتواى

سار الرجل فى طريقه وهو يتمم غضبا ، على حين وقف رالف يراقبه لحظة
ثم اجتاز السياج وعاد الى الكوخ وهو يقول فى نفسه ابتهاجا
— لقد افادتني هذه المعركة . فقد كنت فى حاجة الى العراك لجاء المستر جاك
اونواى وشنى غليلى . ترى ماذا يحمله الرجل فى دفتره ؟



الفصل الحادى عشر

وفىما كانت فيرونيكا راقدة على متكئها فى غرفة استقبالتها الصغرى بعدمضى اربعة أيام على الحادث الذى أصابها ، إذ دخل اللورد لينبرو عليها حاملا فى يده تلغرافا وسألها قائلا :

— كيف حالك يا فيرونيكا ؟

فضحكت الفتاة مللا وأجابته قائلة

— ان الدكتور ثورن يصر على قوله اننى « فى تحسن » عظيم ويضطرب قلبه اذا تجرأت على مخالفته فى شىء . ثق باننى لن أرى قدى مرة أخرى ، ولعمري كان ادعى الى ارتياحى لو كسرت ساقى ، اذ لوجدت عندئذ عذرا لرقادى على هذه الحال مثل كتلة خشبية
ابتسم اللورد عطفيا عليها وقال :

— لديك كتبك

فنظرت الفتاة الى الكتاب الذى وصلها أخيراً على الارض حيث سقط من يدها وقالت :

— نعم لا أجهل ذلك ، ولكن يلوح لى اننى لا أستطيع القراءة ، وفوق ذلك فان معظم الكتب مملوءة سخافة
فقال الرجل وهو يتفرس فى الوجه المليح المتورد :

وكيف ذلك ؟

فزاد توردد وجهها ، وضحكت ضحكة أخرى اكثر مللا من الاولى وقالت :

— لا أدرى . انها كلها فى موضوع واحد . الحب ! نعم كلها عن الحب ، ولا شىء غير الحب ، كأنما الحب ليس أهم شىء فى الحياة فحسب ، بل كأنما كل ما عداه لا قيمة له ولا وزن

فقال اللورد مخاطباً نفسه تقريبا :

— ربما كان كذلك

نظرت الفتاة الى عمها فى شىء من الدهشة وقالت

— ما كنت اعتقد انك تقر بهذا رأى . كنت اقرأ فى هذا الكتاب عن

فتاة قدمت تضحيات هائلة — فنبذت مركزها الرفيع وتركت مكانتها فى العالم ،

وبالجملة تنازلت عن كل شىء من أجل الرجل الذى تهواه

— ثم وجدت انها خسرت الجواهر من أجل الصدف

— كلا ، يا عزيزى كلا ، انها رواية عن « زواج وحياة سعيدة بعده ، وهذا

هو السبب فى سآمتى منها ، لان هذا بعيد الاحتمال

فقال اللورد فى تفكير

— نعم لان عقد الزواج لا يمكن ان يكون منصفا . فتجدين دائما معشوقا

وعشقا ، والعاشق هو الذى يضحي طبعاً وأخيراً يأتى وقت يكتشف أحد العاشقين

فيه ان الضحايا التى بذلت ذهبت ادراج الرياح . وعندى ان البطلة — لان البطلة هى

التي تضحي فى الغالب — التى قرأت عنها فى قصتك رأت انها لم تجد نداها أليس كذلك ؟

اومات فيرونيكا برأسها ثم دفعت شعرها عن جبينها ، فقال اللورد وعلى ثغره

ابتسامته الباردة .

— أى نعم ، هذه هى الغلطة التى يرتكبها الناس عادة ، والتى يكتشفونها

قبل انتهاء شهر العسل . وعندئذ يعانى كلاهما الآلام والمتاعب سواء الذى تنازل

منهما من عليائه ، او الذى حدث هذا التنازل من أجله . يقولون ان الزواج

مكتوب فى السماء ، ولكنى ... ولكنى ارتاب فى ذلك كثيرا

والظاهر ان فيرونيكا رأت ان الموضوع لم يعد يهمها ، فسألت اللورد قائلة

— هل هذا التلغراف لى ؟

— كلا . انه من تلبوت . يلوح لى انه اكتشف رغبة جديدة فى عشرينا .

فسيأتى لتمضية بضعة أيام بيننا

مدت فيرونيكا يدها لتدق الجرس وقالت

يجب ان أصدر الاوامر اللازمة

— كلا ، لا تسكنى نفسك مشقة . لقد قمت بهذه المهمة من أجلك . يسرنى

ان يأتى تلبوت لتجدى فيه رفيقا ومسلما لك . أظنك شعرت بسآمة فى الايام

القليلة الاخيرة

فاجابته الفتاة قائلة

— كلا . كلا مطلقا

ثم نهدت لانها كانت فى الواقع تشعر بسآمة وملل

كان فى جود فيرونيكا ما يكفئها من الآلام ولكنها لم تكن مقيدة بالمتكا

الذى ترقد عليه او بالكرسى الذى تضطجع فيه فحسب بل كانت مقيدة فوق

ذلك بأفكارها التى لم تنفعها قراءة الكتب ولا نغمات الموسيقى فى طردها من

رأسها . وقد ثارت سورة غضبها وأحست بشئ من المذلة والعار لانها وجدت

ان أفكارها هذه تحوم حول موضوع واحد — هو رالف فارنجدون وقد وجدت

فى الكتاب الذى سقط الان من يدها قصة عن فتاة أحببت شابا دونها ، وعن

الضحايا التى قدمتها على مذبح حبها . وقد انتهت القصة — كما شكت فيرونيكا —

بخاتمة سعيدة ولكنها كانت تعتقد ان هذا كذب ، وانه لا بد ان يعانى العاشقان

فى الحياة الحقيقية آلام التعاسة والشقاء

ولذلك ابتهجت فيرونيكا بنبا قدوم المستر تلبوت دنى وقالت انه سيحمل

معه أخبار لندن وجوها المنعش ويساعدها على نسيان هذه الافكار الجنونية

واشتغال بالها بذلك الشاب الذى تلقىه الاقدار دائما فى طريقها منذ وصل الى

المزرعة . نعم عاملت تلبوت ذلك اليوم بشئ من الخشونة ، ولكن فى وسعها

الآن ان تمحو ما ولدها أعمالها فى نفسه وتكفر عن سيئاتها السابقة له

اختارت فيرونيكا تلك الليلة ثوبا انيقا ، ولم تظهر شيئا من الضجر الذى

تمودته عند ما أخذت جودوين تصلح شعرها . وأخيرا لما نظرت الى نفسها فى

المرأة حارت في نفسها ولم تدر هل هي حقاً جميلة كما أخبرها بذلك بعض صديقاتها المتحمسات فاذا كانت جميلة حقاً فلا عجب اذن اذا كان رالف ارتبك وتولاه الخجل لانه لم يتعود مظهر السيدات ... لا ريب في ان ملاحظة فاني ماسون هي الطراز الذي ينبغي ان يقدره

جالت هذه الافكار برأس فيرونيكا ولكنها لم تلبث ان خطأت نفسها قائلة - ولكنه لم يعجب بها . ولم يلاحظ انها جميلة . آه ، هاقد عادت افكارى ثانية كأنما يعنينى هل يعتقد حارس صيد ان فتاة غسالة جميلة أم لا ! ! .. سألبس طقم اللالىء الليلة يا جودوين

فقلت الوصيفة في ابتهاج
- نعم ايها الانسة

اخيرا نظرت جودوين الى سيدتها ووقفت تطيل اليها النظر اعجابا وقالت - بالله ما أجلك في هذا الثوب ايها الانسة

ساعدت الوصيفة فيرونيكا على النزول ثم وقفت عند باب غرفة الاستقبال لترى المستر تلبوت دنبي وهو يهرع الى لقاء فيرونيكا ويرحب بها في اعجاب ، ثم وهو يقدم اليها ذراعه قائلاً

- اخبرنى اعمى بالحادث الذى اصابك ولا تسلى عن مقدار حزنى . أرجو

ان لا تشعري الان بالم

مال تلبوت نحوها ونظر اليها بعينيه السوداوين في قلق ثم سار معها الى

المتكأ فاجلسها وجلس بجانبها ، فقالت

- كلا . لا اشعر بالم ما . والواقع فى وسعى أن امشى جيداً ، ولكن الدكتور

ثورن يصر على ان اؤم السكون . والظاهر انه متشبع باراء العجائز

فقال تلبوت فى لهفة

- كلا . كلا انه على حق . يجب ان تحترسى يا فيرونيكا . لما سمعت بالحادث

الذى اصابك رأيت ان الواجب يقضى على بالحضور

فنظرت فيرونيكا اليه في دهشة ، فقال

ارسل عمى الى خطابا واخبرنى بالحادث

— ولكن هل من الملائم أن تغادر لندن ... والبرلمان ؟

فابتسم تلبوت ابتسامة أراد بها أن يظهر استخفافه بالتضحية التي بذلها وقال

اننى اعد قدومى فرضاً على واجبا مهما يكن الامر . على اننى لم اجد مشقة

فى التغيب عن البرلمان . وقد عرفت انك ستجدين الوقت مللا موحشا فجنّت

عسى أن تجدى فى عشرتى شيئاً من التسلية

ذهب الجميع الى غرفة الطعام ، فوضع تلبوت كرسيّاً صغيراً تحت قدمي

فيرونيكا ، وخصص الوقت كله فى محادثتها ، فجعل يتكلم بصوت الرجل الذى

يريد أن يجتذب اليه قلوب سامعيه

وكان اللورد لينبرو جالسا يراقبهما فى صمت لا ينم وجهه الشاحب الجامد

على شيء ، تحنى اجفانه الثقيلة نظرات عينيه الحادتين ، الى ان ارتسمت على ثغره

ابتسامة صغيرة عند ما رأى تلبوت يثب واقفا على قدميه ليقدم ذراعه الى

الفتاة لتسير معه الى غرفة الاستقبال

لما عاد تلبوت الى غرفة الطعام كان اللورد قد ذهب الى غرفته ، فجلس على

كرسى ثم صب لنفسه كاسا من الخمر وأشعل سيجارة ولم يلبث ان غاص فى لجة

عميقة من الافكار

رفعت فيرونيكا عينها عند ما دخل تلبوت عليها فى غرفة الاستقبال وتبسمت

فى وجهه ابتسامة لم يشك فى انها ابتسامة سرور وترحيب لان الفتاة كانت

تحاول ان تقول لنفسها انه جميل وماهر ، وانها لا بد ان تتغلب على كراهيتها

القديمة له وعدم الثقة به

جلس تلبوت بجانبها وأخذ على عاتقه تسليتها وادخال السرور الى قلبها—وقد

نجح ، لان المستر تلبوت دبنى نديم حلو الحديث اذا أراد . فاخبرها عن العظماء

الذين قرأت عنهما او سمعت بهم من قبل من آل سانتسبورى وغيرهم من الاصدقاء

وأخذ يمدحها عنهم كما لو كانت من طبقتهم . ولما انتقل الى الكلام على الشؤون السياسية اقنعها انه من أركان حزبه وانه ليس ألعوبة في يد الزعماء ، ولم يلبث ان انتقل بمهارة فائقة الى الكلام على المسائل الشخصية

شعرت فيرونيكا وهي لا تدرى باهتمام شديد لانه ليس أحب الى المرأة من ان تجد نفسها موضع اسرار رجل له مكانة عالية في نظر الجمهور أخيراً قالت الفتاة وهي مضطجعة في كرسيها اللين ، وتروح على وجهها - اظنك كبير المطامع ؟

- نعم . اظننى كذلك ، وهذا في اعتقادى حال معظم الناس ويلوح لى فى بعض الاحيان ... ولكن أخشى ان ترمينى الانانية يامس فيرونيكا فقالت الفتاة متجاهلة تواضعه - ماذا تريد قوله ؟

- اردت ان أقول اننى ربما فزت بغايتى ... اذا كانت الغاية تستحق النضال فسألته الفتاة قائلة

- اليس تستحق ؟ اظن ان نفس كل انسان تطمح الى السمعة والنفوذ دائماً فتعمت تلبوت قائلاً

- نعم هو ماتقولين اذا ... اذا كان لدى الانسان رفيق يشاطره اياهما . أما اذا كان منفردا يعمل لنفسه فقط ... وأنا وحيد منفرد ، كما تعلمين يا فيرونيكا مال تلبوت الى الامام ، وقد عقد أصابع يديه حول ركبته ونظر الى عينيها فلم يفتها غرضه وادركت ما يرمى اليه وكاد يتورد وجهها لولا ان تملككت عواطفها وقالت - ولكن يوجد عدد كبير من المعطاء الذين اصابوا فوزا عظيما فى الحياة ، من غير المتزوجين هذا ما تعنيه ، اليس كذلك ؟ وهم يجدون فى حياتهم لذة عظيمة تستحق ما يكابدونه لاجلها من عناء

فقال تلبوت بصوت خافت

- انهم يختلفون عنى مزاجا وطبيعة . فلا نجاح يروق فى عيني مالم أجد رفيقا

هتم به يجعل فوزى حلوا بتشجيمه اياى ، فاذا اعطيت هذا الرفيق فاننى واثق من
ندرتى على بلوغ اسمى الدرجات . ولعمري لا انصور سعادة الذواهنأ من السعادة
التي أشعر بها عندما أضرم فوزى وانتصارى عند قدمى المرأة التي أهواها
طوت فيرونیکا مروحها على مهل وتظاهرت بالاشتغال باصلاح طياتها
وأخيرا قالت

— أظن ان لا بدلى من الصمود الى غرفتى الآن اذا تكرمت وقرعت

الجرس لوصيفتى

فقام تلبوت على كره منه وقال

— بمثل هذه السرعة ! آه ، ولكن نسيت انك تعب . حسن ، هل لك ان

ترافقيني غدا للطواف حول المزرعة فى المركبة ؟

فأومأت الفتاة برأسها فى رزاة وقالت

— شكرا ، هذا من دواعى مرورى

مدتلبوت ذراعه اليها وأسندها حتى وصلت الى وصيفتها ، ثم ضغطت اصابعه

الطويلة على يدها ، وهو يحجبها تحية المساء فعرتها هزة بالرغم من تملكها المعواظفها

رقدت فيرونیکا تلك الليلة مدة طويلة تحاول ان تثير فى قلبها روح الاهتمام

بتلبوت ومستقبله ، وان تحمل نفسها على انها تميل اليه . وقد نجح تلبوت على كل

حال فى تحويل افكارها عن الاشتغال ... باشخاص آخرين فأحست بشيء

من الامتنان

تناولت فيرونیکا فطورها فى غرفتها الخاصة ولما نزلت ترتدى ثياب الخروج

كان تلبوت فى انتظارها خياها وسألها عن قدمها فى اهتمام

وجدت الفتاة دوكارا منخفضا فى انتظارها عند نهاية سلم التراس ، على حين

قال تلبوت

أمرت باعداد هذا الدوکار لكي يسهل عليك ركوبه . هل تسوقين الجواد

أوهل تدعين هذه المهمة لى ؟

— كلا . سأسوق أنا ... هذا اذا لم يكن عندك اعتراض ، لاننى أكره ان اساق
ناولها تلبوت العنان وصرف السائس باشارة فقالت فيرونيكا

— الا تريد ان يأتى جريمز معنا ؟

— هل من اللازم ؟ فى وسع الانسان ان يتكلم بحرية اذا لم يجد خلفه أحدا

يسمع مايقول

قبلت فيرونيكا حجته فى صمت فسار بهما الدوكار بعد هنيهة . وكان الجواد
قويا فاشتغلت فيرونيكا بامتلاك قياده ، على حين جعل تلبوت وهو جالس الى جانبها
ينظر الى وجهها الجميل خلسة بعين المحب القلق المرتاب ، ولو انه كان فى الوقت نفسه
يريد التحقق من هل اختار الوقت المناسب لمفاتحتها أم لا

لما هدا الجواد وجعل يسير بهما بخطوات هادئة منظمة ، أخذ تلبوت يتكلم
عن المزرعة وشئونها كما كان يحدثها ليلة أمس ثم لزم الصمت فبدأت افكار فيرونيكا
تشت فى وجهتها العادية ، ولكن لم يلبث ان عكر تلبوت صفو السكوت فجأة فقال
بصوت ينم على الجذ

— فيرونيكا ، لى غرض من دعوتك هذا الصباح ، فقد أردت ان أخطبك فى
موضوع يهمنى جدا ... أو بالحرى يهمنا كلينا

زعمت فيرونيكا انه يريد استشارتها فى أمر يتعلق بالمزرعة ، فنظرت اليه هنيهة
على حين استطرد تلبوت فى حديثه باللهجة عينها قائلا

— هل تذكرين ماقلته ليلة أمس ؟ هل تذكرين اننى اخبرتك ان لى مطامع
عظيمة اذا وجدت رفيقا اهتم به ؟

فقالت فيرونيكا فى شىء من الدهشة ولو انها لم تشك فيما سياتى
— نعم اذكر

على حين عاد تلبوت الى حديثه فقال

— كنت اخطبك مسيرا غير مخير فقد كان هناك عامل يدفعنى الى الكلام بلا
مراء ، وهو ما تكرمت فظهرته من الاهتمام بمستقبلى . ولكن اذا كنت قد خاطبتك

مدفوعا بشعورى فى ذلك الوقت فقد اخبرتك الحقيقة . فاعلمى يا فيرونيكا اننى
أشعر بوحشة مريمة وقد زادت هذه الوحشة شدة منذ زيارتى الاخيرة للقصر
هل تذكرين اننى اخبرتك انك تحسنت كثيرا ؟ نعم لأجهل ان فى هذه الكلمة
ما يفضبك ولكنى لأجد غيرها . لقد مضت مدة طويلة لم أرك فى خلاها فهل ...
تعلمين يا فيرونيكا انك ترعرت وصرت امرأة فتانة ؟

تورد وجه الفتاة ونظرت اليه فى شئ من الدهول ، وقالت فى نفسها ماذا يريد
قوله ياترى ؟

سكت تلبوت هنيهة ثم عاد فقال

— لا يراك رجل دون ان تجذبه ملاحظتك ورقة طباعك . ولا عجب اذا كنت
قد أدركت فجأة اننى أعجب بك من زمن بعيد واننى تعلمت ان أحبك منذ مدة
طويلة دون ان ارتاب فى ذلك

شدت يد فيرونيكا الضغط على العنان ونظرت امامها مباشرة . ولا عجب فقد
كانت هذه أول مرة تودد اليها فيها رجل ، ومع ان كلماته لم ترسل فى جسمها نشوة
الابتهاج والفرح التى تشعر بها فى كل امرأة تصنى الى تودد الرجل الذى وهبته
نفسها ، فقد خفق قلبها بشدة

لاحظ تلبوت تورد وجهها وارتعاد شففتها فاستطرد فى حديثه قائلا

— اننى اهوأك يا فيرونيكا . لقد عشقتك منذ شهور دون معرفة ، اما الان

فقد باح قلبى بما يكره لك ، اذ يجب ان اتكلم

سكت تلبوت وهو يشمر بخوف ووجل والواقع احسن بث غرامه لها وخاطبها
بزلاقة لسان لا تتفق مع حالة العاشق الصادق لذى يتكلم فى نودة مخافة ان يزل لسانه
على حين كان صوته خافتا فيه شئ من البرود ، ولوانه كان كافيا للدلالة على ما يشعر
به من الهوى

مكث تلبوت هنيهة يتفرس فى وجهها الجميل وأخيراً رضى عينيه السوداوين

مكثما شعر بخوف وارتباب قائلا

اخشى ان ترمينى بالتهور والاندفاع يا فيرونيكا ... واننى انتهزت فرصة غير ملائمة ، ولكن حبي لك خير شفيع لديك . ولا ريب ان الانسان لا يستطيع ان يختار دائما الزمان والمكان لانه خاضع لاحكام الهوى وما يمليه عليه الفؤاد لم تفه فيرونيكا بكلمة ولم تلتفت اليه وعلى وجهها ذلك التورد أو تلك الالبتسامة التى يحق له ان يتوقعها منها ، على انه كان يعلم كبرياءها ويعرف انها لا تخضع بسهولة فاوصى نفسه بالصبر والتريث ، وعاد الى مناجاتها فى تواضع قائلًا — نعم لا اطمع ان تقابلنى حبي بمثله يا فيرونيكا ولكنى ارجو أن افوز بقلبك فيما بعد ، فقط اتوسل اليك ان تصغى الى دفاعى عن قضيتى امامك . لست غريبا عنك يا فيرونيكا بل نحن من لحم واحد ودم واحد . نعم قد لا يكون هذا من فائدتى ولكن ارى لى حق الحرص على مصلحتك . لا أخالك تجهلين مطامعى يا فيرونيكا فاذا كنت الى جانبى تشجيعينى ، ففى وسعى ان ابلغ أرفع الدرجات فى البلاد . وقد كان هذا الامل سرا مكنونا فى صدرى ، ولكن لم اجد من نفسى الجرأة على أن اخبرك بانه يحتمل ان اصير زعيم حزبى اذا ساعدنى الحظ وتهيأت لى الفرصة . انه منصب رفيع ، فهل تساعديننى على بلوغه وهل تشاطريننى إياه ؟ لا تظنى يا فيرونيكا اننى اعتمد فى طلب حبك على هذا ، ولا تحسبى اننى أخدعك أو أرشوك . كلا ، فانما طلبت اليك الزواج بى لاننى احوالك

خفت صوته الى غمغمة ثم مال الى الامام ونظر اليها فرأى شفقتها جامدتين وحاجبيها مستقيمين ، على حين طبعت على وجهها صورة تنم على القلق والشك معا ، فقد كانت فيرونيكا تحاول ان تتمثل المستقبل الذى صورته لها تلبوت بمهارته الفائقة ، ولكن لم يتحرك قلبها بالرغم مما أحس به كبرياؤها من المداينة حاد تلبوت الى الكلام فقال بصوته الهادىء المغرى :

— ولكنى اعرف ما يكره قلبك يا فيرونيكا وأعرف كبرياءك . انك لا تقنعين بمستوى دون المستوى الذى ولدت فيه ، ولكن فى وسعنا أن نبلغ معاً ما نشتهى ونزيد لا تدعينى اذكر شيئا آخر عن مطامعى ، واكتفى بان اقدم حبي لك . أما

الباقى فسيأتى فيما بعد ، ولكنى اقدم اليك حبي أولاً وقبل كل شيء
حاولت فيرونيكا ان تفكر وزن كلماته ، حاولت أن تتمثل نفسها زوجة أول
رجل فى اوروبا كلها ، ولكنها لم تجد من قلبها ملبيا . فتملكها الملل واستولت
عليها السآمة من نفسها وأحست بفتور وعجز ، وأخيراً هزت عنان الجواد بعنف
وحولت الدوكار فى طريق ضيق يؤدى الى الطريق العام بجانب النهر
اخيراً تتم تلبوت قائلاً :

— نعم يا فيرونيكا ، ألا تعطينى شيئاً من الرجاء على الأقل ؟ لست أنا الوحيد
الذى سيسعد بقولك « نعم » لاننى اظن — بل أؤكد — ان عمى يود قراننا
عرت فيرونيكا هزة صغيرة إذ ذكرت الشرط الذى يجب أن توفيه لثرت
مزرعة « ويفنورد » وأموال عمها الخصوصية ، فهل فكر اللورد بزواجها
بتلبوت من قبل يا ترى ؟ نعم ان هذا أمر طبيعى ، اذ يجب ان يحرص اللقب والمال
والاملاك كلها فى دائرة واحدة

فغرت فيرونيكا فاهاً وتنهدت ، فادرك تلبوت تأثير السهم الذى صوبه اليها
عن دهاء ومهارة ، فمال نحوها وهمس فى اذنها قائلاً :

— ستقولين « نعم » يا فيرونيكا ؟ ستجعلين كلينا سعيداً بل وستجعلين نفسك
سعيدة ايضاً

تضايقت فيرونيكا من كلماته وزادت وساوسها ، ولكنها أخذت تناضلها
واستنجدت بكبريائها . وقد كاد كبرياؤها يتفوز إذ حولت وجهها المضطرب نحوه
فى بطء ولكن اتفق ان تحول الدوكار وقتعذ الى طريق النهر ، وسمعت اصواتاً
عكرت صفو السكون فنظرت فيرونيكا حولها بسرعة فوقعت عينها على جماعة
من العمال يشتغلون ، على حين شاهدت فوق السد شاباً طويل القامة يحمل فى يده
سوطاً ويلوح بالآخرى آمراً ناهياً بين العمال

كان الشاب هو رالف ، وكان منهمكاً فى عملة نلم يلاحظ الدوكار ولا راكبيه ،
ولكن استطاعت فيرونيكا رؤية وجهه الجميل وهو يلعب فى جد ، وفى طرفه عين

خفق قلبها ونار احتجاجا على العمل الذى كادت تقدم عليه ، ولم تلبث ان داعمتها روعة قاسية كالتي تملك الانسان عندما ينتبه فجأة فيرى نفسه على حافة هوة سحيقة ارتجفت يداها وأغمضت عينيها هنيئة ، ولما فتحت وجدت ان رالف قد رآها ، وان يده سقطت بجانبه ، وانه يحدق النظر اليها فى جود وقد نسي رجاله وأهل العمل الذى كان منهمكا به منذ هنيئة

رفع رالف يده فى بطء الى قبعته فرفعها . وكان الدم يتغلغل فى قلب فيرونيكا ولكنه لم يصعد الى وجهها الذى ظلت عليه دلائل الرعب من جراء ورطتها الرهيبة ، على انها لم ترد التحية وظلت تحديق النظر الى الامام وهى تواصل السير بدو كارها

وكان تلبوت قد رأى رالف فحول نظره عنه الى وجه الفتاة الشاحب وتمم مرة اخرى قائلا :

— نعم يا فيرونيكا ؟

ارتجفت الفتاة قليلا اذ كادت تنسى وجود الراكب بجانبها ثم قالت بصوت خافت رائق

— اننى آسفة . كنت افكر واحاول ... ولكن لا استطيع . اننى اسفة فقال تلبوت وهو يحاول الكلام فى رفق بالرغم من صلابة صوته وبروده — هل تعنين ... لاريب انك لاتعنين انك ترفضين طلبى ؟

فعضت فيرونيكا على شفها وقالت

— نعم ، اننى شاكرة ممتنة . وقد كنت اود ... ولكن هذا مستحيل — مستحيل ! هل تعنين انك لاتهتمين بى ؟ نعم فى وسعى أن ادرك انك لاتستطيعين ذلك فى الوقت الحاضر ، ولكن .

فقاطعته قائلة

— كلا . كلا لافائدة . لن استطيع ... أو اه ، هذا مستحيل ... مستحيل !

بالله لاتخاطبنى فى هذا الامر ... ولا تدعه يخطر لك على بال مرة اخرى

امتقع وجه تلبوت على قدر ما سمحت به صفرته ، وتقلصت شفته كما تقلصان عند ما يشتد عليه الضغط في البرلمان ... أو عند ما تصيبه خسارة فادحة وهو جالس حول مائدة القمار في « سوهو » وأخيراً قال بلهجة السخرية — ربما كان هناك شخص آخر ؟

تحولت فيرونيكا اليه وعلى خديها صبغة الغضب ، وفي عينيها الرماديتين دلائل النفيظ وقالت — كيف تجرأ ... ؟

على انها كبرت جماح عواطفها وتظاهرت بالهدوء وقالت — ليس لك ان تلقى على هذا السؤال ولكنى مع ذلك سأجيبك عليه فاقول ... لا يوجد

فتوسل تلبوت اليها بصوت خافت قائلاً — اسألك المَعذرة .. التمسى لى عذرا . نعم ليس لى حق ولكن يسرنى ان اسمع ...

لزم تلبوت الصمت هنيهة . وقد أرخى عينيه والتوت شفته ثم قال فى برود — اظن أن هذا لا يجعل بيننا فرقا يا فيرونيكا ؟ اعنى انه ليس نعمة ما يدعوا لى اخبار عمى حتى لا تتغير علاقتنا الودية

فهزت الفتاة منكبيها وقلبها يخفق ارتياحا وشكراً ، والواقع ألا يشكر الانسان ربه ويفيض قلبه امتنانا اذا نجا من الهلاك بعد أن كان على حافة هوة سحيقة ؟

قالت فيرونيكا بلهجة التأكيد — سوف لا اخبر اللورد لينبرو ولا غيره . وليس لما جرى أن يعكر صفو صداقتنا سأحاول نسيان ما جرى كما انك ستحاول نسيانه طبعاً فتنهد تلبوت على كره منه وقال — كلا . سوف لا انسى ما جرى

فتبسمت فيرونيكا واجابته على الفور قائلة
— آه . اظن انك ستفعل

وكانا قد وصلا عندئذ الى طريق القصر فلم تمض لحظة حتى وقف الدوكار عند
نهاية السلم فساعد تلبوت الفتاة على النزول ولكنها جذبت يدها ووضعتها في
ذراع وصيفتها جودوين ، ثم خاطبته قائلة دون أن تنظر اليه
— شكراً جزيلاً على فسحتنا

صعد تلبوت الى التراس واشعل سيجارة ، ثم جلس بوجه جامد وعينين
ساجدين . ولا عجب فانه لا يوجد رجل يرضى الخذلان ولو لم يكن قلبه يصبوا
الى من أراد أن يخطبها لنفسه ولكن تلبوت كان يقامر ليرنج ما هو ارفع من القلوب
على حين لم يخطر بباله أن فيرونيكا سترفض يده ، قائلاً في نفسه انها جاءت الى
القصر يتيمة فقيرة وتكفل اللورد بالاتفاق عليها . نعم تغير مركزها ولكن كيف
ترفض يد شاب تستطيع بزواجه ان تصير كونتس !

على أن جرحه لم يكن بسبب مازل كبرياه من مذلة وهوان ، ان المستر
تلبوت دني « رجل المستقبل » كان في مركز رهيب حرج ، على حافة الخراب
والدمار ، والواقع كشر له الحظ انيابه في المدة الاخيرة ولازمه سوء الطالع ،
فضارب في الاسهم والسندات المائية كما قام سرا في مأخورة « سوهو » فكان
نصيبه في كليهما البوار والخسران ، ثم اضطر الى الالتجاء الى المرايين وعقد قرضا
بضمانة ماسيؤول اليه من مزارع لينبرو ، على حين استهلكت الارباح الباهظة
الجزء الاكبر من الالفى جنيه التي اخذها من عمه اثناء زيارته الاخيرة فلو تم له
الزواج العاجل بفرونيكا لاستطاع ان يثبت على قدميه ويبرز مركزه في نظر
المرايين — ولكن فيرونيكا قد رفضته !!

ارتجفت يد تلبوت فسقطت السيجارة من بين اصابعه النحيله فوطئها بقدمه
صاخبا ثم قام كانه لم يستطع البقاء في مكان واحد ، وسار على غير هدى فنزل سلم
« التراس » ومشى في الطريق بين الحشائش ولما بلغ الابواب الحديدية الخارجية

اجتازها الى الطريق العام ثم مشى مطرقا وقد عقد حاجبيه فى تأمل وتفكير الى أن سمع خلفه وقع اقدام فبسط اسارير وجهه فى الحال وتكلف الظهور بمظهر السرور .

اشتد وقع الاقدام خلفه فجأة ، ولم يلبث ان احس بيد على كفته فدار على عقبه فى اضطراب لان اعصابه كانت متوترة ، فوجد نفسه وجها الى وجه مع رجل خبيث الصورة دميم الخلقة ينظر اليه فى قجة وجرأة قائلا
- المستر تلبوت على ما اعتقد ؟

فاجابه تلبوت فى ترفع قائلا

- نعم انا المستر تلبوت دنبي ماذا تريد منى ؟

- فقال الرجل

- آه ، اراك لا تذكرنى ايها السيد ، اما انا فلدى من الاسباب ما يجعلنى اذكرك دائما ولا انساك

ثم رفع ذراعه المعصوبة وهزها فى وجه تلبوت

كان فى اطوار الرجل وحالته ما أثار فى نفس تلبوت شيئا مألوفاً ولكن بحالة غامضة . ولا عجب فان المتقاصر لا يستطيع الاهتمام بشيء عدا مائدة القمار وما عليها من النقود والاوراق . ولكنه ذكر الآن أن الرجل هو اللص الذى حاول سرقة فى مأخورة اسحق اليهودى فامتقع وجهه على أنه قابل نظرات الرجل فى ثبات وخطبه قائلا

— انك مخطيء . لم أرك من قبل مطلقا . افسح الطريق

احمر وجهه جاك أوتواى غضبا وقال

— آه ، هذه حجتك ، انا مخطيء ، اليس كذلك ؟ هل تظن ان هدا محتمل

ولدى الدليل الذى لا أنساه — ولوح ذراعه المعصوبة مرة أخرى — آه ما مهرك وما أقدرك على لعب دورك . هل نسيت ان قبعتك سقطت عن رأسك ليلة

(م — ٩ حكم الهوى)

ضربتني تلك الضربة القاسية التي اعجزت ذراعى ؟

فقال تلبوت هادئاً

— آه ، هل انت الرجل ، هل انت ؟ نعم لا أنكر أن لديك من الاسباب ما يملكك على أن تذكرنى ، على اننى لا اهتم بقوة ذا كرتك فقف جانبا ودعنى اسر فى طريقى

فسخر اوتواى من زجرة تلبوت وقال

— لحظة واحدة . اريد مخاطبتك بضع كلمات يا مستر تلبوت دنبي
— شكرا ، ولكنى لا اهتم بمخاطبتك والآن أرجوك ان تكف عن مضايقتى
والا اضطرت الى تسليمك للبوليس بتهمة التسول
فد الرجل وجهه نحو تلبوت وقال فى جراءة

— افعل ، افعل ما تريد . سلمنى لرجال البوليس اتهمك امام القاضى بانك اعتديت على فى حانة اسحق فى « سوهو » . انظر الى هذه اليد

تملك تلبوت عواطفه وقلبه يتقد بنيران الغيظ لعجزه عن مقاومة الرجل .
والواقع ماذا يصنع لو نفذ الرجل تهديده ؟ أخيرا قال تلبوت فى هدوء
— اصغ الى ايها الرجل . انك لا تجنى فائدة من وراء اتهاك اياى بهذه
التهمة المضحكة ولا تسبب لى غير بضع ساعات تتضايق فيها نفسى ، وفوق ذلك
ليس هناك من يعتقد صحة كلمة واحدة مما تتقوله على . . . اننى لم أرك قبل اليوم
هل فهمت ؟ هيا اسرع . فكر فيما تراه لانى ارى رجل البوليس على مقربة
نظر اوتواى اليه شذرا ثم قال صاحبا

— اراك لا تقل عن غيرك شرا . ولعمري فى عزمى ان اعود اليه
— اذن اسرع . وسترى هل يقدرון كلمتى أو كلمتك . فانت شبه افاق ، اما
انا فالمستر تلبوت دنبي ، وارث اللورد لينبرو . . .

ضحك اوتواى ضحكة وحشية وقال هازئاً
— انت وارث اللورد لينبرو ! نعم هذا ما تظنه طبعا ، ولكن فى وسمى

ان اثنيك عن هذا الطريق ايها السيد العظيم ولا بد لي من ان اثنيك عنه اذا اذا لم تخفف من غلوائك . ها قد جاء رجل البوليس فسلمني اليه لكي انادى على روءس الاشهاد بما اريد ان اسره اليك على انفراد

تردد تلبوت اذ شاهد الرجل يتكلم في تعقل ورزانة وثقة ، على حين جاء الشرطي ، وأدى التحية ثم رمق الرجل وسار في طريقه . اما تلبوت فقد لزم الصمت ولم ينفه بكلمة فضحك اوتواى ضحكة ارتياح جافة وقال

— هذا حسن . سنتحدث الان معا يا مستر تلبوت ، فهيا بنا الى تلك البوابة لنجلس على ذلك المقعد ونتحدث بضع دقائق ، ولا تظهر هكذا بمظهر الكبرياء والعظمة ، مع انك تتلهف شوقا لمعرفة ما سأقوله

فقال تلبوت في برود

— لقد عاملتك بشيء من القسوة تلك الليلة بحيث لا يسعني الا الاعتراف باننى مدين لك بتمويض كبير . سأحدث معك خمس دقائق فقط

اجتاز الرجلان الباب الخارجى للمزرعة فوق جذع شجرة ملقاة على الارض بعيدا عن الطريق العام ، فجلس تلبوت وجلس اوتواى بجانبه وهريتم ارتياحا ثم قال في قحة

— هل لديك سيجارة ؟

اخرج تلبوت علبة السجاير من جيبه ودفعها اليه فقال الرجل

— وكبرت ... آه ما أجل هذه العلبة ! سأحفظها كتذكار منك

ثم دسها في جيبه وأخذ يرسل الدخان في وجه تلبوت ، وأخيرا قال وهو يراقب دلائل الاستياء على وجه رفيقه

— ارانى تسرعت الان بذكر الحقيقة اذ كان يجدر بى ان اريث قليلا ،

ولكن ما قيل قد قيل ولا يسعنى الان الا ان اكرر ما قلته لك وهل انك لست وارث اللورد لينبروا اكثر منى

فتبسم تلبوت ونظر الى ساعته وقال

— اراك تريد التسلية ايها الرجل ، ولكن لديك اربع دقائق فقط
خملت الرجل في وجهه وقال

— حقاً ؟ اذر على ان اسرع ، أليس كذلك ؟ هل انت ابن أخى اللورد
لينبرو ، أليس كذلك ؟

فاوماً تلبوت برأسه وهو لا يزال ينظر الى الساعة ، فقال اوتواى
— وانت وارثة واللورد العتيد ، لانه لم تزوج ولم يلد ولدا ؟
فقال تلبوت

— هو ما تقول . لانتس ان الدقائق الخمس كادت تنتهى
مال اوتواى الى الامام ، ويداه مشبكتان على ركبته ، وسيجارته فى زاوية
شفتيه الغليظتين ثم نظر اليه فى استخفاف وقال
— انك على خطأ ، فقد تزوج اللورد ، وله ولد !
وقف تلبوت وقال

— أظن انك كنت على أحد المسارح أيها الرجل ؟ اذا كان الامر كذلك فى
وسمى ان ادرك السر فى فشلك خذ هذا الجنيه لاجلك . . . لاجل ذراعك .
والان خير لك ان تغادر هذا المكان بسرعة ما استطعت
التقط اوتواى الجنيه ودسه فى جيبه قائلاً

— هذا هو الاول من كثير . هل تظن اننى الفق لك حكاية ؟ لا . اننى
استطيع ان اقدم اليك البرهان على ما قلت . اننى أعرف زوجة اللورد ، واعرف
ابنه — ابنه الشرعى ووارثه

فاجابه تلبوت صاحبا هارماً

— اذن انصحك ان تأتى به . اسرع لقد اصغيت مدة طويلة الى هذيانك وترهاثك
فردد اوتواى صدى قوله قائلاً

— ان آتى به ؟

ثم سكث وانصت قليلاً ، ولم يلبث ان وثب وافقاً على قدميه وجذب تلبوت ،

الذى تملكته الدهشة على الرغم منه ، الى ان وقف معه خلف احدى الاشجار ثم
تتم بصوت مبجوح قائلاً
- تريد ان آتى به ؟ هذا أمر سهل ... انظر الى هناك
وكان بعض النملة قادمين فى الطريق ، يسير رالف فارنجدون فى وسطهم ،
على حين قال اوتواى
- أنظر الى هناك . هذا هو وحق السماء

الفصل الثانى عشر

لم يرتجف تلبوت دنبي وانما لمعت عيناه السوداء وان خبثا وهو يراقب رالف .
نعم لم يساوره أقل ارتياب من ان الرجل صادق فى ما يؤكده ولكن من الاتفاق
الغريب المدهش ان يكون حارس الصيد هذا هو المقصود . وكانت قصة زواج
اللورد لينبرو ولادة طفل له ، أشبه شئء بمحادث غريب فى رواية خيالية بحيث
لا يستطيع الانسان ان ينظر اليها بعين الجذوم مع ذلك ...
لما مر رالف ورجاله نظر تلبوت الى وجه الرجل الخشن الواقف بجانبه فرأى
عليه دلائل السخرية وقال
- لا أدرى أى الرجال تعنى ...

فقاطعه اوتواى قائلاً
- الشاب . . . الشاب الجميل . كان فى وسعك ان تعرفه بسهولة لاختلاف
شكله عن الآخرين . اننى اعنى الشاب الذى تلوح عليه دلائل الدعة والرقعة
فقال تلبوت فى غير اهتمام
- أى نعم . ولكن لا أهمية لافوالك هذه ولا حاجة تدعونى الى التول

بأننى لا أصدق كلمة من هذيانك وقصتك هذه الخرافية . والان لايسعنى الا أن أقول لك : استودعك الله

وضع اوتواى يده على منكب تلبوت وقال فى هدوء
- اجلس . لم أتوقع ان تأخذ كلمتى قضية مسامة لان هذا شئ كثير . ولكنى
سأخبرك الحقيقة كلها وستصدقها متى سمعتها
جلس تلبوت ثانية على جذع الشجرة فى استسلام وتبرم ثم قال
- اختصر فى قولك ما استطعت لاننى سئمت منك
فاجابه اوتواى على الفور قائلاً

- سترداد سأمتك منى متى فرغت من قصتى . والان اصغ الى ... لما كنت
فى استراليا منذ عدة أعوام التقيت بامرأة شابة كانت الملاحه بعينها فتوددت اليها .
وكان لها ولد صغير وتد أخبرتنى انها لقيت خطأ سيئاً ، ولكنها لم ترفضنى لاننى
لقيت حظوة عندها ، وأخيراً تزوجت بها بالرغم من رفضها مدة
من الرجل بيده على ثغره ثم احدثق النظر الى الامام مباشرة كأنما تعود به
ذكراه الى الماضى واستطرد فى حديثه فقال

- عشنا مدة فى سلام وأخيراً دب الشقاق بيننا والنزاع . وربما كان الذنب
ذنبى ، وربما كان الذنب ذنبها ولكن يظهر اننى شعرت بغيرة من الصبي لاننى
آنسنت منها . ميلا شديدا اليه ، فقد أحبته حباً لم يشعر به قارب امرأة نحو ولدها
فكنت بجانبه لا أقل من شئ قذر مع ان كنت فى ذلك الوقت نظيف الثياب .
لقد مضى وقت طويل على ذلك . . .

تحرك تلبوت مللاً . وكان لا يزال مرتاباً فى قول الرجل ، ولكن كان من
المستحيل عليه ان لا يتأثر بلهجة الرجل الجدية ، على حين عاد اوتواى الى حديثه فقال
- ... وكان هناك كثير من المعجبات بى فساءت حياتنا ، وأخيراً استقر الرأى
على ان يفرق كل منا عن الآخر . وفعلنا تم ذلك فلما حزمت امتعتى - وهذا أمر
طبيعى ياسيدى أليس كذلك ؟ - أخذت خطأ - لا تنس ان ذلك حدث خطأ -

بعض أشياء عتيقة لها ... الا تصدق قولى هذا ! على كل حال حصلت عليها فى ذلك الوقت أو بعد ذلك . وكان بين هذه الاشياء بعض أوراق كانت تخفيها فى صندوق ، فلما استقر بى المقام قرأتها فإذا كانت تلك الاوراق على ما تعتقد ؟ مال الرجل فى خبث نحو تلبوت وقال

— كانت الاوراق عقد زواج وشهادة ميلاد . لم تكن المرأة قد أصيبت بسوء طالع بالمعنى الصحيح ، بل كانت زوجة شرعية كما كان ولدها ابنا شرعيا لايه كما تقولون

فقال تلبوت

— لاريب ان هذا يهكم ولكنى لأرى ...

فقاطعه اوتواى قائلا

— سترى كل شىء الآن . كان العقد يقرر زواج حنه برشت بالجرنون

ادوارد ... ولقبه على ما ذكر ... دبنى

فقال تلبوت وهو يبتسم

— ليس هناك غير الجرنون ادوارد دبنى واحد ، وهو اللورد لينبرو

فقال اوتواى ابتهاجا

— الاسحقا لى ، ألم أقل ذلك ؟ ان الامر واضح جلى . وقد تزوج الاثنان

فى احدى كنائس باريس الانكليزية ؟ وامام ... من تسمونه ... فنصل . ثم هناك شهادة ميلاد الولد وقد كتبت بصورة منظمة صحيحة . نعم من دواعى الدهشة ان تخفى عنى هذه الشهادات ولكن هذه حال معظم النساء . على اننى لم أكرث بهذا الامر كثيرا اذ كانت لدى مشاغل أخرى . فقد كان لدى أحد أقاربى مشروع يتعلق بطبع الكتب وكان قريبا هذا فرانسويا فسافرنا الى اوروبا وذهبنا الى باريس . وعندئذ خطر ببالي ذات يوم ان أقف على حقيقة مسألة الزواج هذه ، فذهبت الى الكنيسة والتفصلية فرأيت عقد الزواج وشهادة الميلاد صحيحين هل فهمت ؟ لدى صورة من هاتين الوثيقتين . والان قدساء طالعى وأصابنى الفقر . والحقيقة

يامستر تلبوت اننى اطانى ماتمانيه أنت ... هل فهمت ؟ وأخيرا غادرت باريس بمساعدة رجل غنى ووصلت الى لندن . ولكن ساء حظى مرة أخرى . وكنت فى حالة يرثى لها ليلة التقينا معا فى حانة اسحق وجرى بيننا ماجرى . وقد مللت الإقامة فى لندن بمدتك الليلة فأخذت أنتقل وأجوب البلاد ... غريبة هى طرق الله ؛ اليس كذلك ؟ فقد ارشدتنى الى هذه المزرعة وكان يحيدنى بعض تقودفسرت فى طريقى الى هنا الى ان زلت بذلك المنزل المعروف باسم منزل «الكلب والبوم» وفيما كنت أتجول فى هذه المنطقة اذ شعرت بذلك الشاب يقبض على عنقى ، فلما وقعت عيناي عليه رأيت فيه شيئا مألوفا لاسيا فى صورة وجهه . نعم لم أره منذ كان طفلا صغيرا ولكن الشبه بينه وبين امه عظيم بحيث ...

فقاطعه تلبوت فى احتقار وملل قائلا

— هل هذا كل مالدريك ؟ لقد اصغيت اليك طويلا وفى جلد يامستر ...

فقال الرجل فى جراءة

— يامستر اوتواى ... لا تتعجل ، لم أفرغ من حديثى بعد ... وفيما كنت أتمشى تلك الليلة فى الغابة وصلت الى كوخ حارس الصيد ، فسمعت رجلين يتحدثان معا وهما رالف فارنجدون وحارس الصيد وقد اردت ان اقضى وقتى فانسلت الى الكوخ وجلست اصغى الى حديثهما ، فسمعت برشت يقص على الشاب كيف اختفت اخته حنه مع احد عظماء القصر ... ان هذا شىء عادى كما تعلم ولكنه جعلنى افكر وفيما كنت اشتهل لاستخلاص رأى جلى اذ جاء الشاب وقبض على وأساء معاملتى رفع الرجل يده الى حلقه ثم زجر قائلا

— ولكنه تفعلك بعمله هذا لانه لو أحسن معاملتى لا خبرته بما ذكرته لك الان

وعندئذ ماذا يكون مركزك يامستر تلبوت دنبي ؟

فقال تلبوت فى رباطة جأش

— حيث هو

أراد اوتواى ان يرفع صوته ، ولكن رفع تلبوت يده فى وجهه وقال

— انتظر . لاشك فى ان زوجتك تزوجت قبل ان تزوج بك وما انها تزوجت
لورد لينبرو

— هذا ماثو كده ، اليس كذلك ؟ — فان هذا قول يدعو الى السخرية ...
فقاطعه او توائ قائلًا

— لقد ذهبت بنفسى الى الكنيسة ورأيت شهادة الميلاد مسجلة ووجدت
الاسماء كما هى مدونة فى الوثائق ، فماذا تقول ؟
فقال تلبوت ساخرًا

— هذا تلفيق رجل مثلك والواقع لو طلبت اليك ان تبرز الوثائق — وهذا
مالا انوى عمله فستقول انك فقدتها وانها اتلفت اتفاقًا

فخملق الرجل فى وجهه وقال بلهجة الفوز
— ليس الى هذا الحد يا سيدى . لست جاهلًا الى هذا الحد . لقد تشبثت بهذه

الاوراق وتمسكت بها وهى الان معى

ثم اخرج دفتر جيبه وضربه بيده القذرة وقال :

— ها هى فى حرز وأمان

فمز تلبوت منكبه وقال :

— ولكنك سترفض ان تطلعنى عليها

فقال الرجل على الفور :

— كلا ، مطلقًا

ثم فتح الدفتر وأخرج منه بعض أوراق دفعها الى يد تلبوت. وقال فوحشية

— لست خائفًا ، فى وسعك ان تمزقها اذا شئت . حاول اتلافها اخمد أنفاسك

حيث اتت

تناول تلبوت الأوراق وجعل يتفرس فيها فى دقه واهتمام غفيل اليه وهو
يقراها أن دقائق قلبه وقفت عن الحركة ، وقال فى نفسه ان هذه الاوراق اذا لم
تكبر، مزورة بمهارة دونها مهارة او توائ بمراحل، فانها صحيحة تثبت تمامًا زواج

لورد لينبرو بحنه برشت كما ثبت ولادة الطفل . فاذا كان الشاب الذى مر بهما الآن هو الطفل الذى يحمل تلبوت شهادة ميلاده فى يده فانه الفيكونت دنى - لورد لينبرو العتيد . أما هو ، تلبوت - ؟

لم يتحرك عضو واحد من اعضاء وجهه ، ولكنه كان يحس بالدم يجرى فى عروقه بارداً . وكان اوتواى يراقبه فى اهتمام ، فسأله قائلاً :

- الآن ما قولك ايها السيد ؟ وماذا تنوى عمله ؟ ماذا تقدمه الى ، اوبالجرى كم تعطينى لاجل الاوراق ولكى أزم السكوت ؟

أفاق تلبوت من سباته العميق فدفع الاوراق الى الرجل ؛ ثم قال متظاهراً بالاستخفاف وعدم الاكترات

- لا شئ

فردد الرجل صدى كلماته قائلاً :

- لا شئ !

- بلا ريب . اذا كانت هذه القصة حقيقية وإذا كانت هذه الوثائق صحيحة - وهو ما ارتاب فيه - فمن المحتمل ان عشرين شخصاً آخرين عرفوا هذا السر أيضاً - كلا . كلا . اقسم بذلك . لقد كانت هذه الاوراق سرها ، وقد أحرصت على كتمانها كل الحرص ولا أدري لماذا . اقسم ان ليس فى العالم كله احد سواى يعرف انها كانت متزوجة او يعرف من هو الصبي . ماذا ؟ هل تظن انها كانت تجرأ على ان تطلعننى على هذا السر ، انا الرجل الذى تريد الزواج به ؟ لقد كنت اسخر منها دائماً وأشير إلى « سوء الحظ » الذى اصابها فلم تشر بكلمة واحدة الى انها كانت متزوجة . ثم هل تظن انها باحت بمنثل هذا السر الرهيب لأحد من الناس ؟ كلا ، يا سيدي . كن واثقاً ان هذا السر لا يعرف احد سواى بل لا يعرف أحد عنه شيئاً غيرى وغيرك

لزم تلبوت الصمت لحظة ؛ ولكن فى لحظة واحدة يستطيع الانسان ان يفكر كثيراً ، فقال لماذا لم يتزوج عمه يا ترى ؟ ولماذا ترك اللقب والمزرعة

والاملاك تتول اليه - اى تلبوت - الذى لا يميل اليه ؟

رأى تلبوت انه لا يعرف شيئاً عن ماضى عمه ولا عن حياته الاولى ، وانه يجهلها تماماً كما يجهلها الجميع على ما يظهر ؛ والواقع كان هناك نقاب كثيف لم يلاحظه تلبوت الا الآن ، يحجب ماضى اللورد . رحماك يا الله ! هل عقد اللورد لينبرو حقاً هذا الزواج وولد له ابن ؟ وهل يمكن أن يكون ولده ذلك الشاب الوقح الذى تحداه - والذى يشتغل فى المزرعة حارساً للصيد ؟

جالت هذه الافكار برأس تلبوت وأخيراً قال :

- أظن انك تعتقد صحة هذه القصة التى رويتها ، أما انا فلا بد لى ان ادرس المسألة وأفكر فيها طويلاً حتى ...
فقاطعه أوتواى قائلاً :

- يموت الجواد جوعاً والحشائش تنمو . والآن لا بد لى من الذهاب الى الوارث الحقيقى نعم اكرهه ولكن المصلحه قبل كل شىء
فتبسم تلبوت وقال :

- ولكن هذه أسوأ وسيلة تخدم بها مصلحتك ؛ فان اول كلمة تذكرها له تساعد على اقتفاء اثر نفسه ؛ وإذا ذهبت الى اللورد زجك فى السجن بتهمة الاحتيال على اخذ نقود منه ثم يتولى بنفسه بحث الامر
فقال أوتواى

- انك حاذق ماهر

فقال تلبوت فى رباطة جأش

- نعم اننى ماهر بلا ريب بحيث أستطيع رؤية مواطن الضعف فى مشروعك.

لا أدري هل أستطيع ان احذو حذو اللورد فى مثل هذه المسألة

فقال الرجل هازئاً :

- ولكنك لا تستطيع !

فسلم تلبوت بمعجزه قائلاً

— هو ما تقول . لا أريد أن اثير فضيحة بل لا بد لي من درس المسألة . تعال الى هنا داخل الغابة في الساعة العاشرة من مساء الغد وسأقابلك اذا وجدت هذا ملائماً لي وأعطيك قرارى
قام تلبوت في ترائخ ثم قال

— انتظر هنا الى ان ابتعد في الطريق . الى الملتقى
ثم دس يديه في جيوبه وسار مرفوع الرأس جامد الوجه كعادته ، ولكن كان رأسه يدور بالافكار وقلبه يخفق بشدة وهو يقول في نفسه كيف يطيق أن ينتزع هذا الشاب ، حارس الصيد ، منه اللقب والمزارع ! وكيف يطيق ان يجد نفسه تحت رحمة رجل من أسفل العامة

وصل تلبوت الى القصر فصعد الى غرفته الخاصة حيث تناول كأساً من الكونياك استمد منه شيئاً من الشجاعة ، ففكر في مقابلة عمه وجس نبضه بان يشير عفوا الى حياته الماضية ، وفعلوا ابلاغه احد الخدم أن اللورد في المكتبة فذهب اليه ، ولكن تلاشت شجاعته الصناعية بمجرد ان وقعت عيناه على الوجه الجامد عندما رفع الشيخ عينيه ونظر اليه ، على حين رأى تلبوت ورقة كبيرة منشورة على المكتب امامه كما لاحظ أن الخزانة مفتوحة ، فقال

— اسألك المعبدة ياسيدى . جئت لاجل كتاب فعسى أن لا اكون
اقلقت راحتك

فقال اللورد لينبرو

— كلا ، كلا . خذ ماشئت كنت انظر الى هذه الوصية التى ارسلها المستر بلتون الى توى . من الغريب ان الانسان لا يستطيع ان يعرب عن رأيه بصورة جلية دون الالتجاء الى اللغة الاتينية . هل تسمح أن تضع هذه الوصية فى الخزانة وتعلقها ؟

طوى اللورد الوصية فتناولها تلبوت منه ووضعها فى الخزانة ثم اغلقها ورد اليه المفاتيح فقال اللورد

— شكرا . ارجو أن تكونا سررتما بنفسحتكما بالدوكان
وكان تلبوت واقفا بجانب دولاب المكتب يبحث بينها عن كتاب فنظر الى
مه من فوق منكبته وهو يدس المفاتيح في جيبه ، وقال
— نعم ... ليس كما يجب . الواقع ياسيدى اننى طلبت الى فيرونيكا الزواج
نم

رفع اللورد عينيه في الحال وأوماً برأسه ارتياحا قائلاً
— اظن انك سلكت سبيل الحكمة يا تلبوت ، لانك لاتجد امرأة مثل
فيرونيكا بين الف . ولعمري لاتستطيع ان تجد زوجة خيرا منها
فقال تلبوت

— يسرنى أن توافق على زواجنا ياسيدى ، ولكنى لم استطع للأسف ان
افوز بجواب مرض منها
رفع اللورد لينبرو حاجبيه وقال
— هل رفضت يدك ؟
فاجابه تلبوت في تردد قائلاً

— لاستطيع الجزم بانها رفضتني ولكن يظهر اننى اخذتها على غرة منها
وفاجأتها مفاجأة والآن لايسعنى الا الاعتراف باننى لم اشعر بميل اليها الا في
المدة الاخيرة

ضغط اللورد على شفتيه لانه كان يعلم ان قلب تلبوت لم يمل الى الفتاة الا
في اللحظة التى علم فيها بالوصية التى كتبت لاجل فيرونيكا ، على حين استطرد
الشاب في حديثه فقال

— لم تشأ أن تعطينى جوابا جازما ولكن لم يتسرب اليأس الى قلبي ياسيدى
بان لا زال أرجو أن افوز بحبها ، وعلى ذكرى ذلك اخبرك اننا اتفقنا على أن
لاتعرف شيئا عما جرى بيننا
اوماً اللورد برأسه ثم اطرق ملياً وأخيراً قال

— هو ما تقول . اننى اقدر رقة عواطفها ، ولممرى لاتستطيع كل امرأة
ان تقاوم ما يظهره الرجل نحوها من العناية المستمرة ، والآن ارى من الصواب
أن نمكث هنا ما استطعت ، وان تأتى لزيارتنا كلما سحت لك الفرصة . لا اظن
انك جدير بها طبعاً

فتمتم تلبوت قائلاً

— لا يوجد احد جدير بها

— اصبت . ولما كان الامر كذلك فلك أن تحتمل ما يصيب غيرك . ولكن
من حسن حظك ان قلبها لا يميل الى احد . نعم لديها خطاب كثيرون — مثل
سانتسبورى الشاب ولكنى لا اعتقد انها تميل الى احد منهم
فقال تلبوت

— ان هذا من دواعى سرورى ياسيدى ، وسأواظب على التقرب منها
والتودد اليها .

اشار اللورد لينبرو برأسه موافقة ثم اضطجع فى كرسيه الى الوراء واغمض
عينيه كأنما أراد أن يقول ان الموضوع انتهى ، فاخذ تلبوت كتاباً كيفا اتفق
ثم غادر الغرفة وسار بخطواته الثقيلة البطيئة ، فلما بلغ الرحبة الخارجية ادرك
ان شجاعته خانته فلم يجبراً على ان يستدرج عمه ليحدثه عن « حياته » الاولى



الفصل الثالث عشر

اصيبت فيرونيكا بعد ظهر ذلك اليوم بتلك المحنة الغريبة التي تسميها السيدات « نوبة القلق » ، فقد ضايقها عرض تلبوت الزواج عليها وما شعرت به من التأثير عند ما وقعت عينها على رالف رانجدون وعدوها فجأة عما كان قد استقر عليه رأيها ، فلم تطق البقاء في الغرفة ، فاستدعت وصيفتها جودوين من غرفة الخدم وخاطبتها قائلة

- اريد الخروج يا جودوين . مري ماثوى أن يعد لي الدوكار الصغير مع السيسى لاننى لا أريد أن يرافقنى احد ، هل فهمت ؟

بلغت جودوين الامر ثم عادت بعد قليل لتساعد سيدتها على ارتداء ثيابها ، قائلة - اخبرنى ماثوى ان السيسى بطيء الحركة ايتها الانسة

فقلت فيرونيكا

- لا بأس . انما أريد أن أسير على مهل حول المزرعة لاستنشق الهواء الطلق

اذ يخيّل الى ان هواء الغرفة خانق . هل خرج اللورد في عربته ؟

- كلا ، وانما يلوح لى انه وجد من نفسه القوة على المشى فخرج للتنزه بين

الحقول قليلا . امشى على مهل ايتها الانسة واتكئى على ذراعى

فقلت فيرونيكا وهى تهبط السلم

- فى وسعى أن أمشى جيداً

ساعد ماثوى وجودوين ، فيرونيكا ، على الركوب ، فجلست الفتاة على مقعد

الدوكار وهى تتنفس الصعداء ثم تناولت العنان وسيرت الجواد خبياً ، فارتفعت

من دماغها سحب الافكار عند ما أخذت تتوغل وسط الغابة ذات الظلال الوارقة ،

والواقع كان السكون الخيم حولها مثل بلسم ، خفت اضطرابات روحها المتألمة

ولم تلبث ان انبسطت أسارير وجهها ولمعت عينها بنور السرور والابتهاج

أرخت فيرونيكا العنان للجواد وتركته يسير على مهل وسط الغابة الى أن وصلت الى سندی الخيام النباتية التي أمر اللورد بإنشائها وسط اشجار الصنوبر فجذبت العنان ثم اضطجعت الى الورا ونظرت فيما حولها ثم نهدت. نعم وجدت العزلة التي كانت تنشدها - ولكنها مع ذلك لم تشعر بالراحة التامة
اخيرا سمعت فيرونيكا فجأة وقع خطوات ثابتة فرأت رالف فانجدون بجانبها دون ان تحول رأسها فصعد الدم الى وجهها ، ولكنها لم تلبث ان تغلبت على عواطفها ونظرت الى الشاب في هدوء ظاهري يدعو الى الاعجاب ، على حين رفع رالف قبعته وحياءها قائلاً

- مرحبا ايها الانسة ، ارجو ان تكوني بخير .

فاجابته في رباطة جأش قائلة

- شكرا ، اننى بخير . شفيت قدمي تقريبا وسأستطيع المشى عما قريب

- هذا من دواعى سرورى . لقد علمت من آل ماسون ان حالتك فى

تحسن مستمر

فقالت الفتاة فى شىء من الاستياء

- آه ، اذن هذا هو السبب الذى منعك من القدوم الى القصر لتستفسر عن

حالى ؟ لقد مللت الجاوس هنا ، فهل لك ان تساعدنى على النزول لاجلس فى المظلة

اسند رالف بندقيته الى عمود المظلة ثم ساعدها على النزول من الدوكر .

فاتكأت على ذراعه فى ثقل ، فصعد الدم الى وجهه عند ملامستها ولكنه

خاطبها بصوت هادىء قائلاً

- انتظرى حتى انقض الغبار عن المقعد الذى يلوح لى انه لم يجلس عليه احد

منذ شهور . هذا حسن

جلست فيرونيكا على المقعد ثم مالت الى الورا ونظرت الى الامام مباشرة وقالت

- اراك تعيش عيشة مملوءة بالسرور والابتهاج ! ولعمري يكفيك ان تسير

وسط هذه الاشجار البديعة دون ان تعمل شيئا . . .

فقاطمها الشاب فى حزم قائلا

- ولكن هل نسيت مطاردة لصوص الصيد ؟ لا انكر ان الحياة هنا لذيدة

ولكن يحزننى اننى مضطر الى تركها

رفعت فيرونيكا عينها اليه لحظة ثم حولتها عنه فى الحال قائلة

- مضطر الى تركها ؟ زعمت انك راض كل الرضى عن . . . مركزك . ولعمري

رأيتك صباح اليوم عند السد تلوح عليك دلائل السعادة

نظر رالف اليها ثم حذق النظر الى عمر الغابة المفتوح وسط الاشجار امامها وقال

- نعم كنت . . . آه ، حسن . انك لا تدري

قاجابته على الفور قائلة

- لم لا استطيع ؟ انك تعنى انك سئمت الاقامة هنا كما قلت ذلك اليوم

فاجابها فى رزاة قائلا

- نعم تولانى الملل وقد حان وقت الرحيل والانتقال

فسألته فيرونيكا بصوت خافت قائلة

- والى اين تنوي الذهاب ؟

فهرز الشاب كتفيه وقال

- لا أدري . هذا ما اتركه للاقدار . ان الاقدار هى التى تقرر معظم شئوننا

تظاهرت الفتاة بعدم الاكتراث وقالت

- ومتى ؟

- فى الحال . متى وجد برشت حارسا يقوم مقامى ، وهذا امر سهل

شهقت فيرونيكا شهقة طويلة وقالت

- يحزننى انك لم تكن سعيدا هنا

فقال رالف بعد هنيهة

- كلا . بل كنت سعيدا جدا

(م - ١٠ حكم الهوى)

كررت الفتاة قوله بلهجة الارتياح قائلة

— سعيداً جداً !! ومتى قررت السفر

فاجابها الشاب وهو شارد الفكر

— في هذه اللحظة فقط

لثمت فيرونيكا الصمت وهي مطرقة تفكر في جوابه . نعم لم تعد تشعر بملل
أو سأمه وأحست بروح السلام والسعادة ترفرف في قلبها ولكن هذه الروح لم
تلبث ان ذهبت وتركت خلفها قشعريرة عند ما ذكرت انه . . . ذاهب

اخيراً لم تطق فيرونيكا الصمت فقالت

يجب ان اذهب . . . آه ، هل وجدت منديلي ؟

فقال الشاب — نعم

وكان رالف واقفا خلفها على استعداد لمساعدتها على الوقوف ، على انها شاهدهة

وهو يرفع يده الى صدره فقالت على الفور

— شكراً لك . احضره غداً فسامر من هنا في مثل هذا الوقت

فقال رالف

— حسن

كان في وسع فيرونيكا ان تمشي منفردة الى الدوكار ، ولكنها اتسكت على
ذراعه وسألته عن اسم احدى الزهور البرية وبذا ابقتة بجانبها الى ان وصلا الى
طرف الغابة فقالت

— سأكون هنا في مثل هذا الوقت

ثم رفعت عينيها الرماديتين اليه وعادت فقالت

— هذا اذا لم تكن لديك أعمال أخرى

فاجابها على الفور قائلاً

— كلا . كلا . بل سأكون هنا

سارت فيرونيكا بدوكارها في الطريق الى القصر ، على حين مشى رالف في

فى طريقه بعد وقف هنيهة ينظر الى الارض وهو مقطب الجبين
بعد خمس دقائق من انصرافهما قام اللورد لينبرو من مقعد خلف المظلة وسار
الى القصر بخطوات ثقيلة ورأس مطرق . ولما عادت فيرونيكا الى المنزل وجدته
جالسا فى القاعة امام المدفأ فابتدرها الشيخ قائلاً
— عسى ان تكون . قد تمتعت بنفسحتك يا فيرونيكا
فاجابته الفتاة قائلة

— أى نعم ، وقد نحسنت حالتى كثيراً بحيث استطيع المشى او اكا
اوماً اللورد برأسه ولكنه لم يجر جواباً ، فصعدت فيرونيكا الى غرفتها .
وقد ظلت فكرة واحدة عالقة بفكرها وهى ان رالف قرر غادرة المزرعة على
أثر رؤيتها بعد ظهر ذلك اليوم ، ولازمتها هذه الفكرة طول النهار ثم استقرت
فى قلبها عندما غلب عليها النعاس رنمت بعد ساعات طويلة قضتها فى التفكير العميق
استميتظت فيرونيكا فى صباح اليوم التالى فخيّل اليها ان الوقت يسير بخطوات
مثقلة بالسلاسل والاغلال ، أو مثل ثعبان مقصوم الظهر ، وكانت فكرة ذهاب
رالف تلهبها من وقت الى آخر كسوط العذاب على الرغم من وعده لها بأنه سيلقاها
ثانية . ومن الغريب انها لم تجرباً على ان تسأل نفسها عن معنى اهتمامها به وانما
أحست كأنها تهوى على حافية هوة دون ان تكون لديها القوة على اتقاء هذا
الطريق القتال

وبينا كانت تجتاز قاعة القصر الى الدوكان ترددت لحظة وحاولت الرجوع
فبحشت عن عذر تلتمسها لنفسها وأخيراً التفتت الى رئيس الخدم وخاطبته قائلة
— هل لك ان تخبر فخامة اللورد اننى ذاهبة الى الخارج وتسأل هل يريد مقابلتى؟
فكان جواب الرجل ان قال

— لقد خرج اللورد منذ مدة أيتها الآنسة
ركبت فيرونيكا الدوكان وهى تشعر بارتياح وروعة معا ثم سارت فى طريقها .
على انها لم تسلك الطريق الذى سلكته أمس بل طافت حول المزرعة وأخيراً

هزت رأسها في عدم اكتراث ومجازفة وحولت عنان الجواد نحو المظلة في الغابة وكان رالف قد سبقها الى هناك فرأت على وجهه دلائل الذبول والضعف كأنه لم يذق طعم النوم ، تخفق قلبها عطفاً عليه وتورد وجهها قليلاً ، بعد ان كان منذ هنيهة ، وصار بعد لحظة ، شاحباً مثل وجهه

تقدم رالف الى جانب الدوکار وقال

— لقد جئت ...

فقاطعته فيرونيكا في سكون قائلة

— أظن ان لا بد لي من النزول لانني اتضايق دائماً من الجلوس في العربات

الصغيرة ... شكراً هل جئت بالمنديل ؟

اخرج رالف المنديل لا من جيب صدره بل من مخلاة الصيد ، فقالت الفتاة ثانية

— شكراً

ثم تناولته ونظرت اليه ثم تظاهرت بعدم الاكتراث ودسته في صدر سترتها ،

وعندئذ شاهدت من خلال اهدابها الطويلة وجهه يتورد قليلاً

أخيراً اضطجعت فيرونيكا على المقعد وهي تحمدق النظر الى الارض ثم قالت

فكرت في أمرك منذ أمس فرأيت ان من دواعي الالف ان تغادر المزرعة

قلت انك تحب المسكان والمزرعة ...

وكان رالف ينظر الى عينيها نظرة العاشق المذهول ، نظرة الحب التي لا تعجز

أية امرأة عن ادراك معناها ، فاوماً برأسه ، فقالت الفتاة

— ثم أظن انك تصلح جداً ... لمهمتك ، لانك تدرك أشياء كثيرة ، وقد

ارتبطت هنا مع كثيرين برابطة الصداقة ... مثل آل ماسون .

فأمن الشاب على قولها قائلاً

— نعم ، ولكن ...

رفعت الفتاة عينيها الى وجهه وقالت بلهجة الاصرار

— ولكن ماذا ؟ هل يوجد شيء . . . شخص مالا تريده ؟ لا بد ان

يكون هناك شيء

نظر رالف إلى ناحية أخرى مثل عصفور يحاول الإفلات من الشراك ،
وأخيراً قال بصوت مبسوح

— نعم هناك شيء . لا أهمية ... لا أهمية له ... أعني أنك لا تستطيعين إدراكه

وكان قلبها يخفق حزناً وخجلاً ، حزناً على ذهابه وخجلاً من اهتمامها بابقائه ،

على أنها قالت

— ربما لا تستطيع إدراكه ، والآن هل قررت إلى أين تريد السفر ؟

— نعم فكرت في الأمر وسأعود إلى استراليا . فهناك كل رجل طيب كالأخر

أما هنا ...

فرددت صدى قوله قائلة

— هنا ؟

— أما هنا فالأمر يختلف . فالإنسان هنا ليس رجلاً ، بل خادماً وضيع

— ليس لديكم في استراليا أسياد وخدم

— نعم ، ولكن الفرق ليس عظيماً كما هو الحال هنا . فالسيد والمسود كلاهما

رجل من لحم ودم ، وقد يصير المسود سيدي ، أما هنا ... أواه ، لا ريب أن الله

خلق السيد من طينة تختلف عن طينة الخادم

فقالت فيرونيكا

— قول هراء . بل هذا قول أثير

فتبسم رالف ابتسامة تنم على الحزن وقال

— صدقت ولكنه صحيح . لقد استقر رأيي على السفر غداً

ارخت فيرونيكا عينيها وقالت بصوت خافت

— هل أخبرت برشت بعزمك على السفر وهل أطلعت على أسباب سفرك ؟

— كلا ولكن هناك وقتاً كافياً ثم لا اظن أنه سيكون أسوأ حالاً بعد رحيلي

مما كان عليه قبل قدومي

فسألته بنعمة عذبة رائقة قائلة

— ثم الا تخبرنى ؟ قد استطيع ازالة العراقيل التى تعترض سبيلك وتحول

دون اقامتك فنستطيع البقاء

وكانت عينها الساحرتان تنظران الى وجهه ، وقلبها يخفق بشدة ، فرأت

صدره الواسع يعلو وينخفض تحت تأثير العبء الملقى عليه ، ولكن لم تكن

لديها رحمة ، اذ ليس عملها هذا تعذيبا له ؟ والواقع اجابها الشاب فى شىء من

الخشونة قائلا

— كلا . ليس لك أن تسألنى ...

فاجابته فى وداعة وحلم قائلة

— نعم ليس لى حق ، ولكنك احسنت معاملتى ونحن معشر النساء لانجحده

جميل احد ولو انكم ترموننا بالكبرياء فى بعض الاحيان . لقد القتنا يد الاقدار

معا ... تخبرنى

لم يكن رالف الا رجلا من البشر ، يشعر ويحس مثل غيره من الناس ، فاجابها

بصوت مبجوح قائلا

— انك تكرهينى ، بل ترغمينى ارغاما ! رحماك يا الله ، لماذا لاتدعينى

اذهب دون ... دون كلمات اخرى ؟ أريد ان اذهب احاملا معى ذكرى حسن

نيتك ، لا ذكرى سخريتك واحتقارك . ولكنك لاتريدين . الا تقنعين حتى

تنتزعى سرى من قلبى ؟ اذن هاهو نخذه ! اعلمى اننى ذاهب لاننى لا اطيق البقاء

هنا بعد الآن — على مقربة منك . ان ذكراك لاتبرح مخيلتى لحظة واحدة . اننى

افكر بك نهارا واحلم بك ليلا . نعم انا حارس الصيد ! نعم انا مجنون طبعاً .

لماذا لاتضحكين ؟ اننى انتظرها . هل تريدين سماع القصة كلها ؟ لك ماتريدين

فعندئذ لك أن تضحكى ملء شديك . اننى مجنون بحبك ، وقد زاد جنونى منذ

اليوم الذى حملتك فيه بين ذراعى حتى تملك الآن جميع حواسى واستولى على

مشاعرى . لقد احسنت معاملتى وطاملتنى فى رفق ، ولكن يعلم الله هل كنت

تقصدين من وراء عملك هذا مجرد التسلية ...
توردت وجنتا فيرونيكا ولكن لم يلبث أن امتقع وجهها ثانية وارتعدت
شفتاها ، على حين استطرد رالف في حديثه فقال
— ربما كان الامر كذلك . انه امر محتمل ، نعم حتى عندما خبرتني انك كنت
فقيرة مثلى ، لا يبعد أن تكوني قد اردت من وراء قولك هذا استدراجي ولكن
لا يجب أن لا اقول ذلك لم يخاطر ببالك شيء من ذلك ، والواقع من اين لك أن تدركي
مثل هذا السر . من أين لك أن تعلمي اني ، انا حارس الصيد ، الحقير ، اعشق ابنة اخي
سيدي وولي نعمتي ! ان هذا جنون لا يمكن أن يخاطر لاحد على بال ، ولكنه
والاسفاه هو الحقيقة لقد طار قلبي وهو في يدك . . . اواه ، معذرة وصفحاً ! . .
لماذا اكرهتني على الكلام ؟ .. عجباً . لماذا لأراك تضحكين مني ، بل لماذا لا تسخرين ؟
فاه رالف بكلماته الاخيرة في يأس وقنوط . على انه لم يكن في قلب الفتاة ضحك
بل كان هناك نشوة وابتهاج وفرح اخجلتها كما هزتها ، الى أن قالت بشفتين مرتعدتين
— انني آسفة

تغيرت اطوار الشاب فجأة الى تأنيب الذات ، فردد صدى كلماتها قائلاً
— آسفة . لماذا انت آسفة ؟ ليس ذنبك أن تكوني ما انت عليه ، فقد خلقك
الله وسواك على هذه الصورة
ساد الصمت بينهما هنيهة ، أخيراً قال رالف
— لا بد أن أقول استودعك الله . لا اطمع ان تصفحي عني
اخترقت نغمة صوته المتهدج قلب فيرونيكا كالسهم وأوحى اليها « قلبها أن
هذا سيدك » ثم تملكته روح الاستسلام والخضوع فقالت على الفور بصوت خافت
— اصفح عنك !

فقال الشاب بصوت متقطع
— هل صبحت ... عني ؟ ثم الم تسخرى مني ؟ اذن ... اذن سأذهب سعيداً
حاملاً في قلبي ذكريات سارة

سكت رالف لحظة ثم عاد فقال بصوت خافت

— هل تعطيني رمزا على صنيعك : ذلك المنديل ؟

أخرجت فيرونيكا المنديل من صدرها ومدت يدها به اليه، وعيناها تنظران

الى عينيه فلما تناوله منها مست يده يدها فقال على كره منه

— او اه ، كم يشق على الذهاب

فتمتت قائلة

— اذن ... لا تذهب !

مكث رالف لحظة لا يصدق ما سمعته اذناه ثم لم يلبث ان صاح صيحة

خافتة وضما بين ذراعيه

لم تقصه عنها ومال رأسها كالغصن كما مال يوم حملها بين ذراعيه . ولما امتدت

شفته الى شفيتها لم ترفضها فقبلها وقال بصوت مبحوح

— هل انا في يقظة ... أم في منام ؟ لست ؟ لست ...

فاضاءت وجهها ابتسامة حلوة وتمتت قائلة .

— وهل الحلم لذيق الى هذا الحد ؟ دعنى اشاطرك اياه لاننى ... اهواك

ضمها رالف الى صدره فظلت على استسلامها وخضوعها له ، الى ان جمد

جسمها فجأة وتجلت في عينيها دلائل الدهول والخوف ، فحول رالف عينيه فرأى

اللورد لينبرو واقفا عند مدخل المظلة ينظر ويرى



الفصل الرابع عشر

كانت تلوح على وجه الشيخ صورة مريمة ليس فيها دليل على الحياة اللهم
الا لمعان عينيه المتقدتين من تحت حاجبيه الغزيرين
جفلت فيرونيكا الى الوراء وحبت انفاسها. اما رالف فبعد أن تولاه الدهول
لحظة قابل نظرات الورد الرهيبة في ثبات ورباطة جأش فحول الشيخ نظره
التماسية منه الى فيرونيكا ثم قال بصوت يشبه سوط العذاب في حكمه
وازدراءه

— اسألك المَعذرة على تطفلي هذا . نعم ليس من عادتي ان استرق السمع
ولكن قد التمس لنفسى المَعاذر في هذه المرة لان السيدة التي دنست نفسها
تحمل اسمى وتميش — أو كانت تعيش — تحت وصايتي وفي رعايتي
فصاح رالف على كره منه قائلاً
— دنست نفسها يا مولاي !

فقال اللورد لينبرو

— ازم الصمت . اريد مخاطبة هذه السيدة فدعنا وشأننا

فهز الشاب رأسه وقال

— ان مكاني بجانبها يا مولاي حتى تقول لي اذهب

نظر اللورد الى الفتاة وسألها قائلاً

— هل تقبلين ذلك ؟

مدت فيرونيكا يدها الى رالف فتناوله ثم قالت

— نعم اقبله . الذنب ذنبى ، وعلى رأسى تقع التبعة

فتبسم اللورد ابتسامة مرة وقال

— اصبت ، أن الذنب دائماً هو ذنب المرأة وهى تتحمل المواقب . اما انك

شعبت هذا الشاب فليس لدى اقل ريب . وقد كنت أريد مخاطبتك وحدك ،
ولكن لما كنت قد اخترت ان يبقى الشاب معك ...

هز اللورد منكبيه وسكت هنيهة ثم استطرد في حديثه فقال
- ارى من الكلمات التى سمعتها أمس واليوم - نعم فقد كنت هنا - انك
تنازلت فخطبت لنفسك ... حارس صيدى
فقال فيرونيكا فى رباطة جأش

- هذا صحيح
- شكرا . ثم أرى مما سمعته ان هذه الدسيسة كانت تحتمر منذ مدة
- اذا كنت تعنى بقولك هذا اننى قابلته وملت اليه ثم عشقته - فهذا صحيح
انك لا تعرف كل شىء . انك لا تعرف انه انتقد حياتى ...

فتبسّم رالف قائلا

- كلا . كلا

على انها واصلت حديثها فقالت

- ... وأنه أشجع من قابلت من الرجال ...

فقاطعها عموها بإشارة من يده قائلا

- كفى تغنيا بدميحه . لا ارتاب لحظة فى افتتانك بحبه وانما دفعنى حب

الاستطلاع الى التحقق من هل فى وسعى ان أنتذك من العار الذى تهوين اليه

- حار !

- هل تريدن ان تجادلى فى هذه النقطة ؟ خير لك ان تجاسى لان جدالنا سيمطول

جلست فيرونيكا على المقعد اعياء ، وعندئذ التفت رالف الى اللورد وقال

بصوت مبجوح

- الذنب ذنبى ... وانا المسئول ...

ولكن قاطعه اللورد فى حزم قائلا

— سأخاطبك فى الحال .. والآن يا فيرونيكا سنأخذ افتتانك بحبه قضية مسلمة

ولا يسمنى الا ان أنصف هذا الشاب فأقول ان الذنب ذنبك وان على رأسك تقع
التبعة فقد سمعت كل كلمة وعلمت انه بذل جهد الجبارة لمقاومتك ولكنه غلب
على أمره وقهر - امام جيوش ملاحتك الفتانة

حاولت الفتاة الوقوف ولكنها عجزت عن القيام فلزمت مكانها ضعفا ،
فقال اللورد

— ثم لا ارتاب لحظة واحدة في انك استخدمت محاسنك الفتانة في اسر قلبه
وامتلاك حواسه لانه لا ينسى رجل مركزه يمثل هذه السرعة ما لم يكن عرضة
لتأثيرات قاسية واغراء شديد . والواقع أعطى الشيطان المرأة قوة الاغراء والرجل
ضعف الخضوع

اتقد وجه رالف وفتح شفتيه ليتكلم ولكن أشار اللورد اليه ان يلزم
الصمت ، وقال

— لقد أغريت هذا الشاب ، فلاعجب اذا كان استسلم لحبك وخضع لسلطان
غرامك ولكن هل فكرت في عاقبة أمرك ؟ أظن لا . يندر ان تنظر المرأة الى مغبة
عملها . هل ذكرت انك اذا ذهبت بعملك هذا الجنونى الى النهاية ، تركت القصر
ووصايتى ، وفقدت «وينفورد» وكل ماتركته لك فى وصيتى ، ونبتت مركزك
فى الهيئة الاجتماعية ، وبالجملة صرت طريدة شريرة ؟ هل فكرت فى ذلك ؟

صاح رالف ولكن أخذت فيرونيكا يده وضغطت عليها ثم قالت بصوت متهدج
— لا أكون طريدة شريرة اذا تزوجت رجلا شريفا أميناً . لست ناكرة
للجميل ولا جادة ...

أشار الشيخ بيده احتقارا واستنكارا ولكنها لم تعبأ بإشارته وقالت
— لن أنسى صنيعك وشفقتك ، ولن أنسى انك رفعتنى من حياة ملوؤها
البؤس والشقاء الى حياة الترف والنعيم . لقد احسنت الى ويؤلنى - وهنا اغرورت
عينها بالدموع - ويؤلنى ان أظهر بمظهر الناكرة للجميل ، ولكن ، أواه ...
ماحياتى ... لا استطيع ! انى أهواه . ليكن ، ليكن ، ولتقع على رأسى شر

المواقب . لا يستطيع هجره ولا أطيع بماده

خفق قلب رالف بشدة ، ولكن ظل اللورد على ثباته الظاهري وقال

— لقد زعمت انك ذات أنفة وكبرياء

خيل الى فيرونیکا انها تنظر الى حياتها الماضية ، الى نفسها التي أفلتت زمامها

منها الى الابد فرددت صدى قول عمها قائلة

— أنفة وكبرياء . نعم أظن اننى كنت فيما مضى ذات أنفة وكبرياء كما تقول

ولكن — وهنا تجلت ابتسامة رقيقة فى عينيها وقالت بصوت عذب — ولكن

هل نسيت يا عمها ان الحب يقتل روح الانفة والكبرياء ؟

فقال اللورد لينبرو

— ياله من احساس شريف . ليس لى ما أقوله لك ، والآن ياسيدى

حول رالف عينيه عن وجه الفتاة التى يهواها ونظر الى عيني اللورد اللتين

تجلت فيهما دلائل التأمل وهو ينظر اليه ويخاطبه قائلاً

— لابد ان تكون فيك روح غير عادية حتى استطعت ان تفوز بقلب هذه

السيدة ، وسأنسى الان انك خادى واناشدك كما لو كنا ندين

تورد وجه الشاب وانتظر ، فلزم اللورد لينبرو الصمت هنيهة وأخيراً

قال فى ببطء

— ان ابنة أخى تسخر من عواقب هذا العمل الجنونى وتستخف بها ، وانت ؟

لا اجهل انك تهواها ولكن هل تقبل التضحية التى تريد ان تقدمها هذه السيدة

عن طيب خاطر ؟ ان الرجل الذى يتزوج امرأة دونه بمراحل اوفوقه بمراحل يتحمل

اعباء قاسية ، اما المرأة التى تفعل ذلك ...

هز اللورد كتفيه وابتسم ابتسامة تم على الحسرة والازدراء

وكان رالف واقفاً مرفوع الصدر ، صاحب الوجه ، يحدق النظر الى عيني الشيخ

وهو لا يشعر بعيني فيرونیکا التى رفعتها اليه ، كما لو كانت تحاول ان تقرأ افكاره ،

على حين استطرد الشيخ فى حديثه فقال

— اذا كان الرجل غنيا كانت عقوبة الزواج بمن هي دونه قاسية شديدة ،
ولكنك شاب فقير ، فهل تطيق رؤيتها تذبل وضعف تحت محنة الشقاء الذي يكتبه
الفقر على كل امرأة — ثم هل تستطيع رؤيتها تتضور جوعا ؟ صدقنى ان كل هذا
ممكّن . انك بعملك هذا تحكم عليها بحياة ملوؤها الشقاء والبؤس ...
فقاطعته فيرونيكا قائلة بصوت خافت

كلا . كلا

على انه لم يعبأ باحتجاجها واستطرد في حديثه قائلاً

— ... ان الفقر معناه الشقاء والبؤس لفتاة مثلها . لقد ذاق طعم النعيم
والترف والاعجاب : — اعجاب الذين من طبقها . فهل تظن مع مرور السنين —
بل مع انقضاء الشهور — انك لا تدرك ماستكبدته من المتاعب والاهوال من جراء
عملها هذا الجنونى ؟ ... انتظر . انك فوق طبقتك يامستر رالف ، شخص شاذ
ولكن فكر بالرجال ... بل وبالنساء ... الذين ستحملها على معاشرتهم . انها ذات
كبرياء — وكبرياؤها الان نائم تحت تأثير حبها المخدر ، ولكنه سيستيقظ ولعمري
سيستيقظ عما قريب — وعندئذ لا نجد مندوحة من الوقوف الى جانبها لنشاطها
ندها وآلامها وعارها . تب الى رشدك أيها الرجل . اذا كان في نفسك ذرة من
النبل الذى تعده فيك فلا تقبل تضحياتها ولا تدعها تحترق نفسها وتحط من قيمتها
صرخت فيرونيكا ، ولكن قبض رالف على يدها وأمرها بالسكوت . وكان
لونه شاحبا ، يشدد الضغط على شفتيه ، فلزم الصمت هنيهة وقد عقد لسانه عن
الكلام ، على انه قال فى النهاية بصوت ثابت :

— كفى . لا أطيق المزيد . لقد خاطبتنى يا مولاي كما يخاطب الرجل نظيره ،
وسأجيبك على حديثك كما يجيب الند نده . لقد مزقت عن عيني قناعا كثيفا ،
وكل كلمة فمت بها هي عين الحق والصواب . اتقدم مثل هذه التضحية ... لى !!
لقد أصبت ... اننى لا اقبلها

فقالت فيرونيكا بصوت خافت مملوء بالتوسل :

— رالف !

فنظر إليها ، وقد تجلت في عينيه جميع آلامه ثم قال بصوت مبجوح

— انه على حق . لا أستطيع الاقدام على مثل هذا

— انت ... انت تتخلى عني ؟

— نعم . كلا . لا أستطيع هذه تضحية اكبر من ان تطلب . سيظل حبك

ساكنا في قلبي مادمت حيا . هذه حقيقة لا تجهلينها يا فيرونيكا ، ولكني لا

أستطيع ان اجذبك من عليائك او أشينك . لا بد لي من الذهاب . وسأسلك

طريقي وأكون اكثر جدارة بك . . .

خانه صوته لحظة . على انه لم يلبث ان تغلب على عواطفه ثم قال كمن يقدم

على عمل يعلم ان لا رجاء منه :

— أما انت فكوني مطلقة الحرية ، كوني في حل من كل رابطة

تعلقت فيرونيكا بذراعه بكلتا يديها وقالت وهي تن

— أواه ، هل تتخلى عني ؟ إذن ... إذن لا تهواني

وكان اللورد لينبرو قد مال الى الامام . متكئا على عصاه ، تراقب عيناه

الحادثان كل دور من ادوار التجربة القاسية التي تمثل امامه ، مخاطب الفتاة

بلهجة التأنيب قائلا :

— فيرونيكا . كوني منصنة عادلة ولا تحملي الشاب مالا طاقة له به

لم تحول الفتاة عينها عن وجه رالف وقالت بصوت متهدج

— تكلم ، اجبني

فاجابها الشاب قائلا :

- ما قلت هذا الا مدفوعا بحبك

اخيراً قام اللورد لينبرو ومس ذراع الفتاة وقال في هدوء :

— عودي الى القصر يا فيرونيكا

فرفعت الفتاة وجهها الى الشاب وهي لا تزال متملقة بذراعه وقالت بصوت

هادى، غريب :

— سأذهب ... اذا أمرتني يا رالف

لعبت عضلات وجه الشاب وقتد القدرة على النطق هنيهه ، وأخيراً امسك
بيديها اللتين تعلقتا بذراعه ثم قال فى عنف

— نعم ... اذهبي !

نظرت فيرونيكا اليه لحظة ثم تحولت فى بطء وسارت نحو مدخل المظلة .
وهناك وقفت ونظرت اليه من فوق منكبها وهى تقول فى نفسها انه يهواها
بالرغم من انه لم يجيبها على دعوتها هذه الاخيرة

تهدت فيرونيكا من قلب منسحق ثم غادرت المظلة فسار رالف خلفها خطوة
ولكن حرك اللورد يده والظاهر ان هذه الحركة ردت الى الشاب حواسه
فوقف ثم جلس على المقعد اعياء وغطى وجهه بيديه

وقف اللورد لينبرو ينظر اليه فى دهشة وأخيراً خاطبه بصوت رزين قائلاً :
— لقد سلكت سلوكاً شريفاً برهن على شهامتك . ان التجربة قاسية ولكنى
سأعفيك من تكرارها . نعم ستغادر المزرعة حالا وتسافر الى استراليا وهو
قرار حكاية . لا حاجة تدعونى الى التول بأننى سأسهل عليك سبيل السفر .
ولعمري يسرنى ان اساعدك فى حياتك المقبلة فأقرر لك راتباً سنوياً قدره ثلاثمائة
جنيه ما دمت خارج انكلترا

وقف رالف على قدميه بوجه مكفهراً ذابل ثم ضحك ضحكة مرة وقال فى رباطة جأش
— هذه هى الغلطة الوحيدة التى ارتكبتها يا مولاي ، فبينما تقول اننى
سلكت سلوكاً شريفاً أراك فى اللحظة التالية تدعونى الى ان اكون ندلاً سافلاً .
ليس من شأنك ان تعرف وجهتى واعلم اننى ارفض رشوتك ...

فقاطعه الشيخ قائلاً

— فهمت ، انك تريد التلصص حول المزرعة

فقاطعه رالف بدوره وقال فى عنف :

— ولا يوما واحدا ، بل ولا ساعة اكثر مما أستطيع . لا يساورنك أى خوف من ناحيتى . لقد أعطيتك كلمتى وقطعت لك عهدا سأحرص عليه وأبر به

فتفرس اللورد فى وجهه وقال

— لا أشك فى قولك

ثم سكت لحظة وعاد فقال

— لقد أخطأت بأن عرضت عليك مساعدتى المالية ... فاسألك المَعذرة

رفع اللورد قبعته وهو يتكلم ثم غادر المظلة بخطوات بطيئة

بقى رالف بضع دقائق بعد ذهاب اللورد لينبرو ، وقد دفن وجهه بين يديه

ثم قام ونظر وحاله فى ذهول وبلاهة كما ينظر الانسان حوله عندما يدرك فجأة

ان كل شئ عزيز عليه فى الحياة قد انتزع من يده انتراما

خيل الى رالف ان أشعة الشمس تسخر منه بلمعائها . وكانت كلمة « حار »

ترن فى أذنيه فقال نعم ان اللورد فاه بالحقيقة وليس ثمة رجاء يرجى ولا أمل ؛

فكانت هذه الفكرة اصل شقائه . نعم تكلم عن فضاله فى الحياة ولكنه كان

يعلم ان قوله هذا عقيم ، وأدرك أنه مهما بذل ومهما ناضل فإنه لن يكون جديرا

بها ، وسيظل كما هو ، رالف فارنجدون ؛ الراعى ؛ والمعدن ، وحارس الصيد

خرج رالف من المظلة ورفع يده الى حاجبيه ليتقى بها ضوء الشمس الذى

كان يهر عينيه ثم أخذ يتجول وسط الغابة التى أحس بقلبه يميل اليها — لالسبب

الا ان فيرونيكا اجتازتها من قبل

عاد رالف الى الكوخ عندما بدأ الظلام يرخى سدوله ، فشرع فى الحال

بجزم امتعته ، وفيما كان يقوم بهذه المهمة اذ دخل عليه برشت فلما وقعت عيناه

على وجهه الشاحب الذابل اضطرب وسأله قائلا

— ما الخبر ؟

فاجابه رالف قائلا

— اننى ذاهب

— ذاهب ؟ لماذا ؟

— لا تسألنى . لا أستطيع ان أخبرك

— هل حدث شئ ؟

فتبسم رالف ابتسامة مرة وقال

— نعم حدث شئ ، شئ يجعل بقاءى بعد الآن فى هذا المكان مستحيلا .

فدعنى اذهب نعم يؤلمنى ان اغادرك ولكن . . . ولكن ليس فى بقاءى هنا
امن ولا سلام

— امن ولا سلام ؟ لأأريد أن التى عليك اسئلة فيها مضايقة لك لان كل انسان

ادرى بشئونه واعلم بمصالحه ، ولكنى آسف ايها الشاب . هل هناك ما يستطيع عمله ؟
فتهد رالف وقال

— لاشئ . . . شكراً . ليس هناك ما يستطيع احداً ان يعمله . لقد حزمت

من امتعتى ما أستطيع حمله ؟ فهل تدع الباقي لديك الى أن ارسل فى طلبه ؟

أوماً برشت برأسه ثم وقف يراقب الشاب هنيهة وأخيراً أخرج كيس نقوده

من جيبه ووضعه على المائدة وقال

— خذ اجرک

احصى رالف ما فى الكيس ثم قال

— هذا اكثر مما استحق

فقال برشت فى تراخ

— خذه ، خذه ولا تفضبنى . ستحتاج الى نقود اينما ذهبت ، ولست فى

حاجة الى نقود الآن

كان بالكيس عشرة جنيهات ذهبية وبعض نقود فضية فتناول رالف منها

خمس جنيهات وهم يرد الكيس ولكنه غير فكره فوضع بقية النقود على المائدة

ووضع الكيس فى جيبه وقال

— سأحتفظ بهذا اذا سمحت ، فسيذكرني بجميلك ولو انني لست في حاجة الى مذكر
حول رالف وجهه لكي يحزم امتعته ويخفي ما تجلى في عينيه من دلائل الالام
وأخيرا دار بعينيه في انحاء الغرفة وقال
— كانت عندي مديّة ، هي صديقة قديمة

فقال برشت

— استخدمتها في فرم بعض التبغ صباح اليوم
ثم قام الى الرف وجاء بمديّة طويلة لها يد من قرن اسود نتش رالف عليها
الحرفين الاولين من اسمه : « ر . ف » ثم ناو لها الى الشاب ففتحتها وقفلتها قائلاً
— انها صديق قديم جداً فكان يحزنني ان اخلفها ورأى . ولكن خذها اذا شئت
فهز برشت رأسه وقال

— كلا . ستحتاج اليها أيها الشاب

اخرج رالف دبوساً صغيراً من الذهب من رباط رقبتة ثم قال
اود ان تقبل هذا مني فتناوله برشت وقال

— أراك تعباً . يجب ان تتناول شيئاً من الطعام والشراب قبل ذهابك
فقال رالف

— نعم اشعر بضعف شديد ، فقد لاقيت اليوم مشقة عظيمة . . .
لزم رالف الصمت فجأة لانه لم يشأ ان يفضي بسرّه او يبتش شكواه الى أحد
ولا برشت نفسه . ولم يلبث ان استطرد في حديثه فقال
— سأكون بخير متى غادرت هذا المكان ، ولو انني علم الله قضيت فيه
اسعد أيام حياتي

صنع برشت شيئاً من الشاي وضعه على المائدة مع بعض الطعام ، فشرب رالف
فنجانا من الشاي ولكنه لم يستطع الاكل وجلس حاملاً رأسه بيده ، يحدق
النظر الى المدفأ

لم يشأ برشت ان يعكر صفو السكوت ولكنه قال في النهاية بصوت خافت

— أظن ان فى وسعى ان اسألك الى أين تزمع السفر ؟
ارتجف رالف كأنما استيقظ من حلم رهيب ، ثم قام وهو يتهدتهد اعميقا وقال
— أظن اننى سأعود الى استراليا ولكنى لم أضع خطة ما الى الآن لاننى لم
أجد متسعا من الوقت للتفكير ، أظن ان لا بد لى من الذهاب الآن
حمل رالف حزمة امتمته ثم مد يده وقال بصوت مبجوح
— استودعك الله

قبض برشت على يد الشاب المرتجفة ثم نظر الى وجهه وقال فى حزن
— يحزننى ان تفارقنى أيها الشاب ، ولكن اذا كان لا بد من الذهاب فاذهب
لان الحياة ليست الالقاء وفراق
لما أوصل رالف الى الخارج نظر خلفه الى الغرفة وبرشت ثم سار بخطوات ثقيلة
واسعة ، فتبعته الكلاب فوقف لحظة يداعبها ثم أرسلها الى الكوخ ثانية
ولم يكن القمر قد طلع بعد ، ولكن كان الليل رائقا ، فسار رالف فى الطريق
الضيق الذى يجتاز الغابة نحو الطريق العام ، الى ان وصل الى نقطة يستطيع ان
يلمح القصر منها ، فوقف ثم استند الى جذع احدى الاشجار والتى نظرة ملؤه
الشوق والحنين الى المنزل الكبير — الى الصدقة التى تضم درته اليتيمة وجوهرته
الغالية — نعم درة يتيمة وجوهرة غالية جديرة بتيجان الملوك ، لا ان يضعها
حارس صيد حقير على صدر سترته القذرة البالية

وفى ما كان رالف واقفا على هذه الحال ، اذ مر شبح فتاة عند منحنى الطريق ،
هى فاني ماسون ، فلما رآته وقفت ونظرت اليه فى شوق وحنين كما وقف هو ينظر
الى القصر ثم همت بالدنو منه ولكنها وقفت فجأة اذ سمعت وقع اقدام على
مقربة منها ، فالتفتت فرأت رجلا معصوب الذراع يسير فى الطريق ، ثم رآته
يقف عند ما وقعت عيناه على الشاب الطويل الواقف بجانب الشجرة وسمعته
يخاطبه بصوت خشن قائلا

— هل وقفت تراقب النجوم أمها الشاب ؟

افاق رالف من سباته على صوت الرجل الغليظ . فنظر اليه ثم هم بمواصلة السير ولكن وضع اوتواى يده على ذراعه وسأله قائلاً
— مالى أراك مسرعاً ؟ يلوح لى انك مسافر الى بلد بعيد
دفع رالف يد الرجل عن ذراعه وقال فى هدوء
— لاتهم بغير شئونك ، وارفع يدك عن ذراعى
فقال اوتواى ساخراً

— ماذا جرى ؟ ألم تكن صديقين ؟ انك مسافر ، أليس كذلك ؟ ماذا —
وضحك ضحكة مأوفاً التهمة — ماذا ، الا سحقاً لى اذا لم تكن فى حالة يرثى لها —
وهنا حذق النظر فى وجه الشاب — لم اخطئ . فى وسعى ان أرى كل شىء
مسطوراً على وجهك . هل طردت طرداً ؟

شمخ الرجل بانفه ولعب بسبابته فى وجه رالف وقال ساخراً
— لا بد لكل انسان ان يذوق حلوها ومرها ياسيدى . لقد كنت فى ذلك
اليوم فوق وأنا دونك فانعكست الا به اليوم
وكان رالف قد سار فى طريقه يتبعه الرجل فالتفتت خفاً ، فرأت فانى وجهه
الشاحب الذابل فى جلاء فاضطربت وهرعت ثم وقفت فى نهاية الطريق على أمل
ان يمر رالف من هناك

نظر رالف الى الرجل فى ثبات دون غضب وقال
— اذهب فى طريقك أيها الرجل ودعنى أذهب فى طريقى
على ان الرجل أصر على عناده فاضطر رالف الى تركه وللمودة الى الغاية ثانية
فتبعه اوتواى وهو يضحك ضحكة مأوفاً التهمة ولكن كان رالف قد جد السير
فلم يلبث الرجل ان عدل عن متابعته وجلس على جذع شجرة ليستريح ثم اخرج
غليونيه واشعله ثم يتمم قائلاً

— انه مسافر ، فما معنى هذا ؟ هل اكرهه الشاب الآخر على السفر بطريق
الخداع والحيلة ؟ لا أريد ان يتوارى الشاب عن عيني ولو اننى ابغضه . لا بد لى

على ما يظهر ان أبحث في الامر
وقف الرجل يترنح قليلا ثم جلس مرة أخرى اعياء وجعل يتثاءب ولم يلبث
ان غلب عليه النعاس فنام

سار رالف في طريقه فاصطدمت حزمة الامتعة باحدى الاشجار لان العصا
التي تحملها كانت طويلة أكثر من اللازم فاخرج مديته ليقصرها ، وفيما كان يقوم
بهذه المهمة اذ سقطت المديّة من يده فاصطدمت بحذاءه ثم سقطت بعيدا عنه ،
فأخذ رالف يبحث عنها ولكن كانت الحشائش كثيفة فلم يستطع العثور عليها
الى ان استولى عليه اليأس فتنهد وكف عن البحث ، ولما غادر المكان قال في نفسه
- ليتني تركتها لبرشت ، انها أقدم صديق لى

انتظرت فأنى فى زاوية الطريق مدة ، ولكنها قالت فى النهاية ، ان رالف
اجتاز الغابة من الطرف الآخر فعادت الى كوخها فى تبرم واستياء



الفصل الخامس عشر

بينما كان الفصل المفجع من قصة الشاب والفتاة تمثل في مظلة الغابة ، كان تلبوت دنبي معتكفا في غرفته يحاول مجابهة الحقيقة التي وقف عليها من جاك اوتواى وكان تلبوت الى هذه اللحظة لا يستطيع ان يحمل نفسه على الاعتقاد بصحة مارواه الرجل ، وهو ان ذلك الشاب الذى يشتغل فى المزرعة حارسا للصيد هو الفيكونت دنبي ، على انه كان يدرك ان عليه اما ان يتحدى الرجل الذى يحمل هذا السر أو يتفق معه - مع رجل ربما عاش طول حياته يثقل كاهله بما يفرضه عليه من الاتاة

فكر تلبوت في مشروعات عديدة للتخلص من اوتواى وكتمان السر ، فلا يعرف أحد حقيقة رالف فارنجدون . وأخيرا رأى ان خير وسيلة لبلوغ غايته هذه هى الخضوع للرجل ودفع آتاة .

حار تلبوت فى هذه المشكلة فأخذ يتمشى فى أرض الغرفة ذهابا وجيئة الى ان حان وقت ارتداء ثيابه للعشاء . وكان قد ترك خادمه جيبون فى لندن ، لان الرجل العصامت لم يكن محبوبا لدى خدام القصر ، وكان تلبوت يعتمد فى خدمته على شاب من خدام القصر ، وعلى ذلك دهش عند مارأى جيبون يابى دعوته عند ما قرع الجرس فسأله قائلا

— أنت هنا ؟ نعم ؟

مد الخادم يده بخطاب وقال

— وصل هذا الخطاب صباح اليوم وقد كتب عليه « هام ومستعجل »

فرأيت من الملائم ان آتى به اليك

فض تلبوت غلاف الخطاب ثم قرأه فاذا به من أحد المرابين فا كفه وجهه زيادة على اكفه راره والتفت الى جيبون وقال لافى غضب بل فى قحة باردة ، هى

أقصى ضروب الوحشية

— اتمنى على الله ان تطيع أوامرى وان تبقى حيث أنت الى ان يرسل فى طلبك . ان هذا الخطاب لا أهمية له مطلقا

ارخى جيبون عينيه اللتين كانتا تنفرسان فى وجه سيده وهو يقرأ الخطاب ثم قال بصوت خال من النعمة

— اسألك المездеرة ياسيدى

ثم وضع الملابس التى كان يحملها على ذراعه وشرع يستبدل أدوات سيده فى صمت كأنه لم يشعر بكلمات التأنيب التى وجهت اليه

أخيرا لما أتم جيبون مهمته ووقف جانبا خاطبه تلبوت قائلا

— ستضطر الى البقاء حتى الصباح . لقد سمعت ان خدم القصر لا يعملون اليك

وليس فى هذا ما يدهشنى لان وجهك هذا الملعون القبيح سيلقى عليك الشبهات والتهم يوما ما . ولعمري تتولانى الحيرة أحيانا فلا أدري كيف اطبق النظر اليه، خذ أول قطار غدا ولا تأت الى هنا حتى أبعث فى طلبك

فقال جيبون

— حسن ياسيدى

ثم وقف مطرقا الى ان غادر سيده الغرفة ، فتغيرت أطواره فجأة فتورد وجهه الشاحب ولمعت عيناه بحالة رهيبية ثم تناول الخطاب الذى فركه سيده والقاه ببسطه امامه وأخذ فى تلاوته فى لهفة ولكن سمع وقع خطوات تلبوت ثانية ففركه والقاه حيث كان وتظاهر بالاستغفال بتنظيف الغرفة

دخل تلبوت وقال

— أين الخطاب ؟

نظر الخادم حوله باحثا ثم التفت الخطاب فتناولوه تلبوت وخرج ، فتمتم

جيبون قائلا

— لم تكن هذه حاله ، فاذا جرى ؟

ذهب الخادم الى البذلة التى خلعها سيده ففتش جيوبها ثم شرع يبحث فى
الغرفة بخفة ، ومع انه لم يجد مايشنى غليله فقد ظل مرتابا وتمم قائلا
— أرى على وجهه صورة تم على اليأس والمجازفة ، لقد راقبته كل هذه
الشهور الطويلة ولكنى لم أره على مثل هذه الحال السيئة ... وجهى الملعون
القبيح ... أراك تجهل يا مستر تلبوت دنى انك تثير غضبى باهانتك اياى
وجد تلبوت غرفة الاستقبال خالية ، على حين اخبره الخادم قائلا
— سيتعشى نخامة اللورد فى غرفته الليلة ياسيدى ، اما الانسة فيرونيكا
فتشكو صداا اصابها وهى ترجو ان تقبل عذرها

أوما تلبوت برأسه وكم ارتياحه ثم ذهب الى غرفة الطعام فتظاهر بالاكل
ولكنه أكثر من العراب فتجرع كأسا وراء أخرى . والظاهر ان الحمر أرسلت
الدم جارا فى عروقه بعد ان استولى عليه الضعف وخارت قواه منذ اطلعت اوتواى
على تلك الحقيقة المؤلمة الرهيبة ، فقام وهو يشمر بحمى فى عروقه وأحس برغبة
شديدة لمقابلة الرجل ثانية واستخدام مواهبه العقلية السامية فى التغلب على غباوته
ولام نفسه قائلا لماذا ضرب له موعدا فى الغد بدلا من الليلة ؟ ولماذا ترك هذا
النذل يسرح ويمرح ، ألا من سبيل الى لقائه الليلة ؟

صعدت تلبوت الى غرفته بعد هنيهة ورأسه مشبع برغبة الاتفاق مع اوتواى
والانتهاء من هذه الورطة فى الحال

وكان جييون فى الغرفة المجاورة فسمع سيد يذهب ويحىء فلما انتقطع وقع
خطواته فجأة أطل الخادم من ثقب المفتاح فرأى تلبوت يرتدى معظفا ويرفع
ياقته ويجذب حافة قبعته على عينيه ثم شاهده بعد قليل يغادر الغرفة الى الخارج
وكان الخدم فى تلك الساعة قد ذهبوا الى غرفتهم الخاصة ، فلما رأى تلبوت
الطريق امامه خاليا نزل بخطوات خفيفة وغادر القصر من باب الخلفى

على حين انتظر جييون هنيهة ثم تبع سيدة خفيفة
اجتاز تلبوت أشجار الحديقة ثم وقف هنيهة ينصت لما حوله فلما رأى السكون

شاملا سار بخطوات سريعة على طول السياج الذى يفصل بين البستان والطريق ولم يلبث ان وصل الى الطريق من الباب الخارجى الصغير وسار فى طريقه كأنما خرج للتمشى بعد العشاء

شم جيبون نجاة رائحة التبغ تنبعث من الغابة على اليسار . والظاهر أن سيده شم الرائحة ايضا اذا وقف والتى على ما حوله نظرة ملؤها الحذر ثم اجتاز السياج ودخل الغابة

أخذ جيبون يقتنى اثر سيده من شجرة الى شجرة وعيناه الرماديتان ترمقانه ، وقد تدلت شفثاه مثل كلب الصيد ، على حين قصد تلبوت المكان الذى كانت تنبعث منه رائحة الدخان ، وفيما كان سائرا فى خط منعرج وسط الحشائش اذ اصطدمت رجله بجسم صلب ، فرغم ان علبة الدخان سقطت منه فمال ليلتقطها ولكنه وجد لدهشته مدية ، فاخذها فوجدتها مفتوحة ورأى شفرتها حادة مدببة الطرف فقفلهما فى صمت ثم وضعها فى جيب سترته الخارجى ثم واصل سيره اخيراً وقعت عيناه تلبوت على اوتواى ، وكان الرجل قد نزل عن جذع الشجرة التى جلس عليها وتوسدها بعد أن التى جسمه فوق الحشائش ، على حين ترك غليونه بجانبه مشتعلا ، فلما وصل تلبوت ورآه على هذه الحال داس النار بقدمه فاطفأها ثم وقف ينظر الى الرجل النائم

ما أشد سخرية الأقدار بالإنسان ! هل يقع تلبوت دنبي تحت رحمة مثل هذا الرجل الوضيع السافل ، وهل تكنى كلمة من لسان هذا الوحش القذر للقضاء على حياة شريفة نافعة !! — لان هذا ما تصوره تلبوت دنبي عن نفسه

كان الرجل غارقا فى نومه ، فخطر فى بال تلبوت ان يحركه بقدمه كما يحرك ثعبانا نائما ، والواقع اقترب منه ورفع قدمه ، ولكن خطرت بباله فكرة نجاة فقال ألا يستطيع ان يأخذ الاوراق من جيب الرجل دون أن يقلقه ؟

نبد تلبوت هذه الفكرة ولكنها عادت اليه ثانية فقال ان الرجل اذا جرد من الاوراق صار أمره هينا وسهل الاتفاق معه ، ثم خيل اليه وهو ينظر الى

الرجل ان سحب الاوراق من اسهل الامور . وقد تملكته روح الاغراء بحيث لم يعد في وسعه مقاومتها فاخذ يتقدم من الرجل خطوة خطوة ثم جثا على ركبتيه ومد يده الى الجيب ، ولكن لم يكده يمه حتى غط اوتواى في نومه وحرك رأسه ، فجذب تلبوت يده بسرعة الى الوراء ولكنه أبقاها على استعداد ، فلما لم يستيقظ الرجل جذب سترته جانبا وكشف عن الجيب وعندئذ وقعت عيناه على طرف الدفتر فاشتدت رغبته في تنفيذ مهمته ، فامسك طرف الدفتر بأصابع مرخوة ثم اخذ جذبه في حذر ولكن تحرك اوتواى عندئذ وتثاءب في ثقل وفتح عينيه المتقدتين مكث اوتواى هنيهة لم يستطع ان يتبين فيها تماما صورة الشبح الجاثي بجانبه ، ولكنه لم يلبث ان عرف من هو ، ورأى اليد التي امتدت الى جيبه فادرك بغريزته معنى امتدادها فوثب واقفا على قدميه وألقى جسمه على تلبوت فسقط على الارض لانه لم يجد وقتا كافيا للنهوض

صاح اوتواى بصوت مبجوح وهو يتهدد ويصخب قائلا :

— أيها اللص ! هل تريد سرقتي ، أيها اللص سأعلمك كيف تسرق

ثم لكمه لـكمتين او ثلاثا وحاول ان يضع ركبته على صدره ، ولكن تلبوت كان قد جن من شدة الضرب فوثب واقفا على قدميه وهو يصخب ويتهدد كذلك

وقف الرجلان ، يحدق كل منهما النظر الى الآخر وينظر اليه شذرا ، وبعد هنيهة حمل اوتواى على غريمه وأمسك كل بتلابيب الآخر وصارا كتلة واحدة بحيث أحس تلبوت بأنفاس الرجل على خده ورأى عينيه المتقدتين يحدقان النظر الى عينيه

كانت المعركة رهيبة قاسية ، فوقف جيبون على مقربة يراقب ما يجري في ارتياح وابتهاج من خلف إحدى الاشجار . ولا عجب فقد وجد سيده ينال جزاء فحته التي عانى (جيبون) منها الشيء الكثير . وكان الخادم يتوقع في كل لحظة أن يرى سيده يسقط الى الارض ولكن استطاح تلبوت الثبات على ما

يظهر في وجه غريمه وهنا أخذ ابتهاج الخادم يضعف وتتولاه الخيبة إذ وضع
اوتواى رجله بين رجلى تلبوت والقاه على الارض وعندئذ اختل توازن الرجل
فسقط فوقه

غاب تلبوت عن رشده هنيهة من جراء الصدمة وثقل الجسم الذى سقط فوقه
فرقد ساكنا لا يتحرك . والظاهر أن اوتواى اراد أن يتحقق من الفوز الذى
اصابه فضرب تلبوت على رأسه ؛ ولكن جاءت الضربة بعكس المقصود منها
فأفاق تلبوت من إغمائه ثم تحرك على جانبه وأطلق احدى يديه فدسها في جيبه
بخفية ، ولم تمض لحظة حتى وثب اوتواى وصرخ صرخة مؤلمة ثم وضع يده على
خاصرته وخر على الارض

دهش جيبون لهذا التطور الجديد في المراك الذى كان يراقبه في اهتمام ، فخطا
خطوة الى الامام ولكنه عاد فغير رأيه وانبطح على وجهه ورقد ساكنا لا يتحرك
بعد أن رفع رأسه قليلا ليرى نهاية الرواية التى تمثل امامه

لما سقط اوتواى على الارض ، قام تلبوت يترنح والمدية في يده تقطر دما .
فوقف هنيهة يلهث ، وعيناه تحدقان النظر الى الامام كأنه لم يشعر بما حدث ، الى
أن وقعت عيناه على الجسم الملقى امامه فامتقع وجهه وتقلصت شفثاه وجعل يقلب
عينيه من المدية الى الجسم الساكن ولم يلبث ان قال في نفسه هل حقا طعن
الرجل ؟ لقد بحث عن المدية وفتحها وطعن الرجل بها ، كل ذلك وهو لا يدري .
لابد أن يكون قد جرح الرجل - ربما جرح جرحا بليغا . وهو مغنى عليه الآن
ستحدث ضجة لا محالة ، نعم ان الوحش يستحق ما اصابه طبعاً - ولكن العواقب !
ذهب تلبوت الى اوتواى وحركه بقدمه قائلاً بصوت مبجوح :

- قم . لا ترقد على هذه الحال وكفى خداعاً . قم . لقد جنيت هذا على نفسك

باعتدائك على في البداية ايها الاحق

لم يتحرك الرجل ، فقال تلبوت فوقه وهو يتألم غيظاً ثم اخذ يقلبه فرأى
لطخة كبيرة من الدم في خاصرته فارتجف وارتد الى الوراء ثم نظر الى يديه

فوجدتهما مخضبتيين — بالدماء ! خدق النظر الى وجه الرجل ... ويلاه ماأشد صفرته ، وما اعظم سكونه !

رفع تلبوت يده الى صدر الرجل ولم يلبث أن وقف على قدميه وصاح رعبا جس القلب ثانية فاحس بالدم الذى تدفق من الجرح ولم يجد حركة ... لقد مات الرجل وهو تلبوت دنبي الذى قتله ، فياله من قاتل سفاح !

احس تلبوت برعب قتال يعصر قلبه ، على حين خارت قواه واستولى عليه الضعف فسار يترنخ الى احدى الاشجار فامسك بغصونها بكف يديه اعياء ، وتد خيل اليه انه فقد نور عينيه ثم استند الى جذع الشجرة ووقف يرتجف كأنما يشعر ببرد شديد وهو يحاول أن يحول عينيه بعيدا عن الجثة الملقاة امامه ، ولكن كانت هناك قوة غريبة تجذبهما اليها ، وجعل يتمتم مائة مرة قائلا

— الذنب ذنبه ، الذنب ذنبه ! كنت ادافع عن نفسى ... لو لم يضربنى ...

الذنب ذنبه ، الا سحقا له

احس تلبوت بجمود غريب يتملكه كأنما اخذ يفقد القدرة على التحرك ، ولكنه قاوم هذه الروح واستطاع التغلب عليها بمد قليل ولا عجب فقد رأى أن عليه أن يفكر ويفكر بسرعة . وأن لا يبقى فى هذا المكان . وأن لا ينتظر حتى يقبض عليه وهو متلبس بالجريمة . ولكن ماذا يصنع ؟ لقد مات الرجل ..

اذن يجب دفنه . نعم يجب دفنه ، هذا مايجب عليه عمله الان

استجمع تلبوت قواه المشتتة بالرغم من الهزة التى عرته ، ثم نظر فيما حوله وكان جيبون الخادم جامداً فى مكانه لا يقل سكونا عن جثة القتيل نفسه ، خبس انقاسه وجعل ينتظر ويتربق

سار تلبوت نحو الجثة بخطوات خفيفة ، تلعب عيناه بالخوف الذى تملكه واستحوذ على مشاعره ، ولكن لم يكد يصل اليها حتى خائته قواه ولم يستطع النظر اليها ثانية حتى وجد مكانا يستطيع دفنها فيه . والواقع داربعينيه فيما حوله فوجد على مقربة حفرة من الحفر التى يستخدمها حراس الصيد للاختفاء فيها

لمراقبة الصيد أو اللصوص ، ثم وجد على مقربة منها كومة من الاغصان الجافة التي القيت منذ اعوام وربما بقيت في مكانها حتى تبلى ذهب تلبوت الى الحفرة ثم نظر اليها فوجد انها ليست عميقة الى الحد الكافي ، فعاد الى المكان ثم اخذ يبحث عن المدية فوجدها وأخذ يحفر في قاع الحفرة . على انه ادرك بعد قليل أن مثل هذه الاداة الصغيرة لا تنفي بالحاجة ، فقام واشعل عودا من الكبريت ونظر الى ساعته على ضوءه ثم لبس قبعته واجتاز الغابة الى القصر .

رقد جيبون في مكانه لا يبدي حراكا الى أن تلاشى وقع اقدام سيده فقام وسار في حذر الى أن وصل الى الجثة . وكان الوجه الشاحب والعينان الغائرتان تكفي لالقاء الرعب في قلب كل رجل ضعيف ، ولكن جيبون نظر الى الجثة في رباطة جأش . ولا عجب فقد كان الرجل لا يفكر بالقتيل وانما كان يفكر بالقاتل ، فارتاحت نفسه ، ثم لم يلبث أن ذكر خفاة أن المستر تلبوت كان يحاول أن يسرق شيئا عندما استيقظ الرجل وبدأ المراك ؟ فهاهو ياترى ؟

جنا جيبون في خفة بجانب الجثة ثم فتح السترة فوقعت عيناه على الدفتر ، وعندئذ فكر في الامر هنيئة ، فقال ان المستر تلبوت سيعود عما قليل فلا يجد الدفتر ، ولكنه سيعتقد انه سقط من الرجل اثناء المراك . وعلى ذلك مديده بخفة واخرج الدفتر من جيب الرجل ودسه في جيبه ثم عاد الى مكانه الاول حيث استلقى على وجهه واخذ ينتظر ويتربص

لم ينتظر جيبون طويلا ، لان تلبوت كان قد ذهب الى كوخ للآلات الزراعية في طرف الحديقة ، فجاء الان يجري وهو يحمل على كتفه معولا ، فشرع يعمق الحفرة على عجل ولما فرغ مسح الدرق الذي تصبب من جيبه ثم سار نحو الجثة فرفعها بقوة الرجل المجنون ثم دلاها في الحفرة واعد ذلك بحث عن المدية فالتقاها فوق الجثة ثم شرع يضع التراب فوقها ولما فرغ من دفنها رعى الى كومة الحطب فاخذ يجنبها كالمحموم ويكدسها فوق القبر بقوة تشبه قوة الجبارة

والواقع كان جيبون يراقب سيدة وهو يرفع حزمة الاخشاب كما لو كانت من قش ، الى ان فرغ تلبوت من مهمته فشرع يصلح الحشائش ، وقد نجح في عمله هذا بحيث صار من المتعذر على الانسان أن يلاحظ اقل تغيير او يرى دليلا ما على وقوع الجريمة

على أنه لم يكذب فرغ من مهمته هذه المريعة حتى رآه جيبون يجمد في مكانه فجأة ... آه ، لقد نسى الدفتر ، لقد دفنه مع الجثة !

اتسعت عيننا تلبوت من هول الرعب الذي تملكه ولكنه شهق شهقة عميقة وقال في نفسه انه لا يستطيع على كل حال ان ينبش القبر مرة اخرى ليخرج الجثة — نعم لا يجرأ ولا يستطيع

قوم تلبوت ظهره الذي انقله المجهود العظيم الذي قام به ثم نظر الى نفسه ، فرأى يديه ملوثتين بالطين والدم ، وشاهد لطلخة على صدر قميصه وعلى سترته على حين تلوث حذاءه وتزق فلما رأى هذه الدلائل الواضحة على جريمته تولاه اليأس وتنفس طويلا ، فقال جيبون

— انه ماهر حادق ، ولكن من أين له ان ينظف ثيابه ويزيل عنها دلائل الجريمة ؟

أتى تلبوت نفسه بجانب احدى الاشجار ثم غطى وجهه بيديه وهو يشعر بضعف واعياء تملك جسمه وفكره وروحه ، وقد مكث بضع دقائق لا يتحرك ولكنه قام في النهاية وحمل معوله على كتفه وسار الى القصر على مهل يتظاهر بعدم الاكتراث بعد ان خفت عنه وطأة المجهود

انتظر جيبون هنيهة ثم قام من مكانه وجرى في خفة الى أن وصل الى القصر قبل سيده

كان الناس يتحدثون عن شدة تأثر آل دنبي بالبرد ، وقد ورث تلبوت هذا لاحساس عنهم فكان المدفأ دائما في غرفته فلما دخل غرفته نظر الى الموقد وهو لا يدري وجذب كرسيه وضعه بجانبه ثم مال فوق المدفأ

رأى تلبوت وجه القتييل يتمثل له في النيران وسمع صرخته عند ما تروح
وسقط صريعا في الغابة . ولم يلبث ان قام وشرع في خلع ثيابه نخيل اليه ان القتييل
قتيله — لا يزال معه وانه ينزع الثياب عن جثة باردة ، ثم وقعت عيناه على لطخة
الدم التي لوثت صدر قميصه فوقف جامدا وقبليه يخفق بشدة ، وفي اللحظة التالية
كان القميص يشتعل في الموقد

وفيما كان تلبوت يراقب احتراق القميص ، سمع دقا على الباب فارتعدت
ركبتاه وارتدى جلبابه مخنفة ثم ذهب الى الباب ففتحه فرأى خادمه جييون واقفا
في احترام كالعادة ولكن تبدو في عينيه دلائل القلق ، على حين خاطبه الرجل قائلا
— اسألك المَعذرة يا سيدى فقد شممت رائحة ثوب يحترق
تكلف تلبوت الابتسام وقال

— رائحة ثوب يحترق ؟ اى نعم ، لقد اصابنى شىء من الارق فاخذت اتفقده
رسائلى وقد حرقت بعضها وهذا ما شممته الارب
فقال جييون في احترام

— حسن يا سيدى . اسألك المَعذرة وأرجو أن لا أكون اقلقتك يا سيدى
فقال تلبوت في لهجة ودية غريبة
— كلا مطلقا يا جييون

تمم الخادم اثناء عودته الى غرفته قائلا
— حرقتها ، ولكنه لا يستطيع ان يحرق كل شىء
ثم وضع يده على صدره حيث اخفى الدفتر الذى من اجله ارتكب تابوت الجريمة



الفصل السادس عشر

إذا كانت فيرونیکا قد تعشقت رالف من قبل فقد تعشقت له الآن عشرة أضعاف ، وفيما كانت تسير في غرفتها ذهاباً وجيئة غير عابثة بقدمها المصدوعة ، قالت في نفسها انها لم ترجلا في حياتها اظهر من الشجاعة وتضحية النفس ما اظهره رالف

وكان صوته يرن في أذنيها ، والكلمات التي فاه بها تملأ نفسها اعجاباً به تارة وحسرة قاسية تارة اخرى . ولا عجب فقد كانت فيرونیکا دنبي تعرف العالم ومن في العالم بحيث كان يتعذر عليها أن تخدع نفسها . فقالت أن العاشق المسكين الذي يفارق حبيبته في الروايات الخيالية في طلب الثروة والجاه اللذين يجعلانه جديراً بها ، يعود دائماً بالثروة والجاه اللذين خرج من اجلهما وتقابلهما اجراس الافراح بالتهليل والابتهاج . اما في الحياة الحقيقية فان ما يقدمه الرجل من تضحية ونضال فلا يكون نصيبه عادة إلا النشل والخذلان ، ولاغربة فان طريق الحب الصادق شاقة وعرة ، تجتاز مهاوى اليأس والقنوط

لقد قبلت فيرونیکا تضحيتها وتخليه عنها في ذلك الوقت لأنها لم تستطيع التغلب عليه ولا على ذلك الشيخ ذى القلب المتحجر القاسى ، ما الآن ، وقد فكرت في كل ماجرى في عزلة وانفراد ، فقد التهب جسمها بحمى العار وتأنى النفس فقد تركت الرجل الذى نهواه يضحي نفسه ، وغادرته يذهب إلى العالم ليكافح ويناضل في معركة يكاد لا يرجى من ورائها يقم ، ثم سمحت لنفسها بالبقاء في القصر ، ترفل في اثواب الترف والنعيم على حين يعانى حبيبها متاعب الحياة وويلاتها ، فيا لها من فتاة جاحدة أقل ما يقال عنها انها عار على بنات جنسها !! ان المرأة الصادقة لا تفكر عبثاً ، وعلى ذلك لم تمض مدة وجيزة حتى اكتشفت فيرونیکا حقيقتين : الاولى انها لا تستطيع الحياة بعيداً عن رالف .

والثانية أن عليها أن تتأمله قبل سفره ، ولو لكي تختره انها لا تستطيع الحياة بدونه...
ثم ... أواه ! هل تجد من نفسها الشجاعة على أن تتوسل اليه ان يأخذها معه ؟
وفيما كانت فيرونيكا تفكر في مشكلتها هذه العويصة اذ دخلت عليها وصيفتها
جودوين تحمل قطعة من الدنلا في يدها ثم قالت
- يحزننى ان اخبرك ان هذه الياقة تلوث بالقهوة أيتها الانسة ، فاذا أخذتها

الى مسز ماسون فى الحال فانها تستطيع تنظيفها على ما اعتقد .
حاولت فيرونيكا ان تتكلم بلهجة طبيعية وهى تصدر اليها الاهر بالذهاب ،
ثم انتظرت فى ملل الى ان مضى على خروج الوصيفة نحو نصف ساعة ، فوضعت
معطفا على منكميها وجذبت غطاء الرأس على عينها
وفيما كانت تسير بخطوات مريعة الى الكوخ أخذت تفكر فيما تقوله لـ رالف ،
ولكن كان لها ان تكفى نفسها مشقة التعب لان برشت هو الذى لبي دعوتها
وأمرها بالدخول ، ولما دخلت مسرعة وجدته منفردا

وقف الرجل ينتظر فى رزاة حتى تخاطبه وأخيراً قالت بلسان متلعثم
— تركت شيئاً فى مظلة الغابة بعد ظهر اليوم ، فهل تعلم . . هل اخبرك
رالف انه وجد شيئاً . . سوارا ؟

فاجابها برشت قائلاً

— كلا أيتها الانسة

حاولت فيرونيكا ان تتكلم فى غير اكرات فسألتها قائلة

— اين . . اين هو ؟

— لقد ذهب ايتها الانسة

— ذهب ؟ هل تعنى انه سافر ؟ الى أين ؟

— لا أدري بالضبط أيتها الانسة ، ولا أظن انه يعلم نفسه الى أين يريد السفر

لقد ذهب وهو يعانى آلاما شديدة

(م - ١٢ حكم الهوى)

— رفع الرجل عندئذ عينيه الى وجهها ثم ارخاها ثانية واستطرد في حديثه فقال
— نعم في آلام شديدة . يقولون ان القلوب لا تنفطر الا ان ولكن اذا انفطرت
تأوهت فيرونيكا على الرغم من المجهود الذي بذلته لتحبس تأوهات في صدرها
على حين حول الرجل رأسه جانبا

أخيراً قالت الفتاة عند ما استطاعت ان تضبط نبرات صوتها

— هل . . . هل تعلم ان معه نقودا ؟

فاجابها برشت قائلاً

— نعم ، معه أجرته وشيء يسير آخر من النقود

فقال فيرونيكا بسرعة تساعدك بدايتها النسائية

— اعطيته له ؟ ان هذه . . هذه مكرمة منك يا برشت . ولكنك . . .

ولكنك تميل اليه

— نعم اننى اميل اليه كثيراً . لقد أحبيته حباً عظيماً بحيث احزننى فراقه

فقال الفتاة على كره منها

— اواه ؛ ليت به بقي . برشت — وهنا تهديج صوتها — اعلم اننى الملومة . كلا .

لا استطيع ان أخبرك ولكن . . اذا ساعدتنى على معرفة مكانه .. اذا استطعت

ان ترسل اليه رسالة . هل تظن ان فى وسعك هذا ؟

— كلا أيتها الآنسة فيرونيكا . لقد ذكر شيئاً عن استراليا ، ولكن قد

يعدل عن فكرته . أما فيما يتعلق بالرسالة . . . كلا ليس لدى من الوسائل

ما يساعدنى على ذلك ، واذا كانت لدى فاننى . . .

سكت برشت سكوتاً ذا مغزى ، فتورد وجه الفتاة وقالت

— واذا كانت لديك لاتفعل ؟ اواه ، ولكنك لاتدرى . أما أنا فلا

استطيع ان أخبرك شيئاً . عم مساء

ولكنها وقفت ومادت فقال

— من دواعى سرورى انك تحبه وانك اعطيته النقود يا برشت . عم مساء

لم يتبعها الرجل الى الباب ، فسارت بخطوات سريعة فاجتازت الارض الخلاء ثم بلغت طرف الغابة المجاور للطريق الذى يجتاز المروج وعندئذ سمعت وقع اقدام، فوقفت وجذبت معطفها حول جسمها واختفت وراء احدى الاشجار ولم تلبث ان وقعت عينها على تلبوت وهو يبرز من خلال ظلال الاشجار ، فرغمت ، انه خرج للتمشى بعد العشاء فانتظرت قليلا حتى ذهب ثم واصلت السير فى طريقها الى القصر تضايقت فيرونيكا من اثاث غرفتها ورياشها الفاخرة وخالها كابوسا على حواسها واعصابها المتوترة ، وعز عليها ان ترى نفسها فى وسط هذا النعيم ورالف، الرجل الذى تهواه ، يهيم على وجهه فى العالم . كبرياء ! انها تكون أقل كبرياء من أحقر أمة اذا قبلت تضحية رالف واستمرت على الحياة فى القصر

خلعت فيرونيكا ثيابها دون ان تنتظر وصيفتها ثم ذهبت الى فراشها، ولكنها لم تستطع النوم وأخذت تتقلب فى فراشها قلقا ، الى ان شمت رائحة ثياب تحترق ، فجلست فى فراشها وانصتت فسمعت بابا يفتح بخفة ، فقالت هل اشتعلت النار بالقصر يا ترى ؟

قامت فيرونيكا من فراشها وفتحت باب غرفتها قليلا فسمعت الكلمات القليلة التى دارت بين تلبوت وخادمه فمادت الى فراشها قانعة بما قاله تلبوت ورقدت تفكر برالف ، وتتمثل وجه رالف ، دون ان يغمض لها جفن

طلع الفجر بنوره الفضى الجميل ، وبدأت الطيور تغرد بأصواتها الشجية ، ولكنها لم تخفف شيئا من شقاء فيرونيكا ولا من آلامها التى زادها ارقها شدة على شدتها ، فلم تطق البقاء بلا عمل فقالت انها ستنزل عما قريب لتناول فطورها — فطورها مع أصناف الطعام اللذيذ والاطباق الجميلة — وتقضى يومها الطويل — كم يوما !! فى الانتظار واليأس دون ان تعلم شيئا عن رالف ولا ما يؤكدها انه على قيد الحياة . وعلى ذلك تمت فى نفسها قائلة

— لا أستطيع . اننى اموت طارا ولا احتمال لمثل هذه الحياة . لعمري ان

حياتى الاولى خير من هذه وأبقى

تولدت من كلماتها هذه فكرة فوقت وقالت ماذا لا اتضع حدا لحياتها هذه التي تعد عالمة على غيرها ، حياة الاستعباد للنعم والرفاهية ، ولماذا لا تعود الى حياتها القديمة ؟ ثم خير من هذا وذاك لماذا لا تتبع رالف وتلتحق به ؟

أرسلت هذه الفكرة الدم في عروقها وارتدت ثيابها ثم ذهبت الى المكتب فكتبت خطابا الى اللورد لينبرو ثم أخذت كيس نقودها من أحد دواليبها وعدت مافيه وكانت فيرونيكا قد قبضت مرتبها منذ يومين ، وكان لديها بضع جنيهات متوفرة فوجدت معها مبلغا كافيا ولم تلبث ان قالت - في تألم - انها أحسن حالا من رالف . وقد ذكرت في هل يحق لها ان تحتفظ بالنقود ، ولكن لما كانت تستولى على هذا المبلغ كمرتب لها فقد رأت انها تستطيع ذلك وهي مرتاحة الضمير ، فقامت ووضعت بعض لوازمها في حقيبة صغيرة ثم لبست أبسط قبيلتها واسدلت قناعا كثيفا على وجهها ثم فتحت الباب وانصت

كانت جودوين تتحرك في الغرفة المجاورة وفيما عدا ذلك كائن المنزل ساكنا فنزلت فيرونيكا خفية تحمل حقيبتها الصغيرة في يدها ثم فتحت الباب الكبير في هدوء ووقفت هنيهة تنظر فيما حولها الى القاعة المظلمة . وكانت فيرونيكا تفخر بالقصر وبكل شيء فيه ، ولكن هذه الروح ماتت الآن وخيل اليها ان القصر صار سجنًا ، سجنًا مذهبا ولكنه كان في عينيها رمز القدر والمآل ، ففادرت غير آسفة عليه

هب نسيم الصباح الذليل على وجه فيرونيكا فاستمدت منه شيئا من شجاعتها المنفقودة وصارت في طريقها باقدام فاجتازت البستان الى المحطة . وكان هناك قطار مبكر فلما صعدت الى الرصيف وجدت بعض الفلاحين مع زوجاتهم في انتظاره . وقد حال احترامهم لربة القصر ان يعربوا عن دهشتهم عند رؤيتها في مثل هذه الساعة المبكرة ، فحيثهم فيرونيكا باشارة عامة وتحدثت مع واحد أو اثنين منهم لم تفكر فيرونيكا بما يفرضه عليها واجب الاقتصاد فابتاعت تذكرة في الدرجة

الاولى هزركبت عربة لم يشاركها فيها أحد طبعاً ، الى ان تحرك القطار فادركت .
وقتئذ انها غادرت حياة النعيم والترف وطلقتها الى الابد ، وانها عادت مرة أخرى
الى النضال والكفاح في سبيل الحصول على خبزها اليومى ... ولكن لا ؟ أليست
ذاهبة الآن لتلتحق برالف وتساعده في كفاحه ونضاله ؟ فما أعظم الفرق
بين الحالتين !

ضحكت فيرونیکا ضحكة رقيقة وتورد وجهها عند ما ذكرت حالته وما يقوله
عند ما تمع عيناه عليها وتضع يدها في يده قائلة
— لقد التقت بك يارالف لاننى وجدت اننى لا استطيع الحياة بدونك ،
فبالله خذنى !

قام تلبوت من فراشه عند ماذق الجرس لارتداء ثيابه ، وكان قد بات ليلته
ساعها ، يحدق النظر الى جدران الغرفة التى رهمت عليها يد شيطان مريد ،
صورة جيبون الذى ظل يحلق في وجهه يمينين رهيبتين . وقد ود تلبوت ان
يترك غرفته ولكنه كان يعلم ان كل شذوذ عن عادته يثير الشبهات حوله
دخل جيبون تلمية لدعوة سيده وقال في احترام
— لقد اعد الحمام ياسيدى

كان الخادم يفوه بهذه الجملة كل يوم ولكنه فاه بها هذه المرة في استخفاف ،
فقال تلبوت
— شكراً

ثم نظر فيما حوله عند ما شرع جيبون يجمع أدوات المساء واستطرد في
حديثه فقال

— أخشى ان تجد ثيابى وحقائى في حالة سيئة يا جيبون ، فقد وصلت الى نقطة
قدرة في الغابة وسقطت على الارض . لك ان تأخذها لك وتأتينى بغيرها
فقال جيبون ممتناً

— شكرا ياسيدى . هل تريد ان أسافر الى لندن هذا الصباح ؟

فأجابه تلبوت قائلاً

— لأدرى . ربما خير لك ان تبقى . قد اسافر اليوم فاحتاج اليك
فقال الخادم

— حسن ياسيدى

ثم حمل الثياب وحزمها كما هى دون ان ينفض عنها الغبار والقاها فى قاع حقيبته
نزل تلبوت الى غرفة الطعام لتناول الفطور فلم يجد فيرونيكا هناك ، فسأل

أحد الخدم قائلاً

— لم تنزل الآنسة فيرونيكا الى الان ؟

فأجابه الخادم قائلاً

— كلا ياسيدى ، قد تتناول فطورها فى غرفتها الخاصة . - أرسل من يسأل عنها

شرع تلبوت يأكل من الطبق الذى قدم اليه ، وحاول الطعام ولكنه أحس

بألم فى حلقه فشرب نصف فنجان من الشاي ثم حاول الاكل مرة أخرى ولكنه
لم يلبث ان دفع الطبق جانبا وشرع يفض خطاباته ، وفيما كان يقوم بهذه المهمة اذ

دخل جيبون عليه وقال

ان صاحب الفخامة يريد مقابلتكم ياسيدى

ارتجف تلبوت ونظر الى وجه الرجل الجامد وقال

— يريد مقابلتى ؟ لماذا ؟

فتح جيبون الباب وقد طأطأ رأسه وأرخى عينيه احتراماً ، فصعد تلبوت

الى غرفة عمه ، فوجده جالسا فى فراشه يحمل فى يده رسالة

قال اللورد بصوت جاف

— عم صباحاً يا تلبوت ، يحزننى ان اقلق راحتك وقت الفطور ولكن حادثاً وقع

فردد تلبوت صدى قول عمه بصوت مبحوح قائلاً

— حادثاً .. حادثاً وقع ؟

نظر الشيخ اليه في دهشة وقال

— نعم ، يلوح لى انك مضطرب فهل لى ان اسألك عما اذا كنت تعرف شيئا؟

زاد وجه تلبوت صفرة على صفرة وقال

— أنا ! من أين لى معرفة شيء ؟ لقد ذهبت الى فراشى أمس مبكرا ، وفي

وسع جيبون ان يخبرك عن الساعة ، ولكن لا ، فقد أرسلته الى فراشه على ما اذكر ... أنا ... أنا ... ولكن ماذا جرى ياسيدى ؟

فاجابه الشيخ في برود قائلا

— ليس الامر بذى بال ، لقد غادرت فيرونيكا القصر

— فيرونيكا ... غادرت القصر !

حديق تلبوت النظر فى وجه عمه فى شيء من الدهول ولكنه لا يخلو من

الارتياح ، على حين قال اللورد

— بالله لا تكرر كلمتى كالبيغاء . ان الامر كما اخبرتك ... فقد ذهبت . وقد

سافرت صباح اليوم أوليلة أمس ، ولكنى أرجح سفرها هذا الصباح . وقد

وجد هذا الخطاب مع الهدايا التى قدمت اليها على منضدة الثياب ، وفيه تعرب

عن رأيها فى صراحة تدعو الى الاعجاب . لا أريد ان أتلوه عليك لاني لا احسن

التلاوة ولكن خلاصته انها ملت حياة ترى نفسها فيها طالة على غيرها وانها تتخلى

عنها سعيا وراء حياة أخرى شريفة تكذب فيها وتعمل

وكان تلبوت قد تملك الان عواطفه فسأله قائلا

— ولماذا ذهبت ؟

— وهل لهذا أهمية ؟ فلما كانت آراء النساء ذات أهمية ، لقد ذهبت وكفى

سأغير وصيتى طبعاً . من فائدتك ان فيرونيكا غادرت القصر . وغادرتنى - فستنولى

على وينفورد والمال

تورد وجه تلبوت وقال بلسان متلعثم

— اننى ... اننى ...

ولكن رفع اللورد يده وقال
— لا أريد شكرا . اذا كنت مدينا بشكر لاحد فانت مدين لفيرونىكا التى
تنازلت عن حقها . والان هل لك ان تتكرم بارسال خادى الى ؟
خرج تلبوت وقلبه منعم بالفرح . حقا لقد اخذ نجمة فى الصعود . فلقد
ذهب اوتواى ، وتنازلت فيرونىكا عن عرشها ، واصبح هوتلبوت السيد المطلق
ضحك تلبوت بدون صوت ولكن تلاشت هذه الضحكة عندما قابل جيبون
على السلم وخطبه قائلا
— ارسل خادم اللورد اليه
فافسح جيبون لسيدة الطريق وتغم قائلا
حسن ياسيدى

مسمت فاني ماسون بسفر رالف عندما ذهبت الى الكوخ فى صباح اليوم
التالى لتنظيفه فصاحت قائلة
— سافر ! لقد رأيته ليلة امس حاملا حزمة من الثياب ولكنى زعمت انه
الى البلدة ولم يخطر ببالى...
ثم حولت رأسها لتخفى امتقاع وجهها وعادت فقالت
— ولكن ما الذى حمله على السفر هكذا فجأة يامستر برشت ؟
فاجابها الرجل فى جفاء قائلا
— هذه شئونه الخاصة لاشئونى ولا شئونك . سيدفن حب الاستطلاع
مع آخر امرأة تموت . لقد تأخرت عن ميعادك اليوم
تأملت الفتاة لما اصاب كبرياءها اكثر مما اصاب حبها ، لان من على شاكلتها
لا تعرف الحب الصادق ، فقالت فى امتعاض
— لقد تأخرت فى النوم وكانت لدى امى اشغال كثيرة
وفيا كان برشت يهم بمغادرة الكوخ اذ رأى تلبوت دنى قادما . وكانت

دلائل الارتياح بادية الآن على وجهه بعد أن ذهب عنه كابوس القلق والاضطراب
فابتدر حارس الصيد قائلاً

— عم صباحا يارشت . لقد عرجت على كوخك لكي أسألك كيف حال
الطير ، لاني افكر في القيام بحملة صيد في هذا الفصل
فاجابه برشت قائلاً

— ان الامور تجري في مجراها الحسن ياسيدى هل تريد حملة للصيد ؟ إذن
لا بد لي من الاستمانة ببعض العمال لاني فقدت احدهم
اليوم . لقد ذهب فارنجدون

لم يرتجف تلبوت ولكن صار وجهه كالقناع وقال :

— حقا ! اظن أنه لم يكن قائما ؟ اين ذهب ؟ الى عمل آخر ؟

— كلا ياسيدى . اظن أنه مسافر الى استراليا وهي البلاد التي جاء منها
خفق قلب تلبوت ابتهاجا وقال حقا أن نجمه اخذ في الصعود . وكان برشت
يريد الانصراف ولكنه وقف وخاطب تلبوت قائلاً

— اكون لك شاكرا ياسيدى اذا تكرمت ببلاغ الانسة فيرونكا انني
سأرسل اليها الزهور التي طلبتها فان في وسعي أن انقلها الآن

وكانت فيرونكا قد اعجبت من قبل ببعض زهوراتها على مقربة من الكوخ
فقال تلبوت في غير اكتراث

— لا تكلف نفسك مشقة ، فقد غادرت الانسة فيرونكا القصر وذهبت

لزيارة بعض الاصدقاء وستغيب مدة

رفع برشت قبعته وسار في طريقه . وفيما كان تلبوت يسير خلفه اذ تقدمت
فاني ماسون الى الباب ، بعد أن سمعت كل ما دار من الحديث . وكانت الفتاة
تبدو في حلة بديعة من الجمال وهي واقفة في اشعة الشمس التي سقطت على وجهها
المليح وشعرها الذهبي وقد توردت وجنتاها من جراء الانباء التي سمعتها عن
سفر رالف ، فاحس تلبوت وهو في غليانه يميل الى الاعجاب بها خياها قائلاً

— همى صباحا . هل انت فاني ماسون ؟

فقالت الفتاة وقد توردد وجهها ابتهاجا بمخاطبة المستر تلبوت العظيم لها

— نعم ياسيدى

— اى نعم ، بلا ريب . اننى اذكرك عندما كنت فتاة صغيرة ، فقد كنت

مليحة بالرغم من حداثة سنك . ان الحر شديد . اظن أنه خير لى أن ادخل

الاستريح قليلا

دخل تلبوت الكوخ ثم جلس واستمر يتحدث مع الفتاة وهى تشتغل .

وكان ارتياحه شديدا بعد أن رفع عن كاهله الكابوس المريع فاحس بابتهاج

من نفسه ومن الفتاة ، بل ومن الهواء الذى يستنشقه

طلب تلبوت قليلا من الماء ليشرب ولكن جاءت الفتاة بكوبة من اللبن

فتناولها منها وهو ينظر اليها ثم ابتسم فى وجهها ابتسامة خفق لها قلبه فانى

المسكينة وآنسها احزانها لفراق رالف فلم يكن من الصعب على تلبوت الاستيلاء

عليه فقال .

— انك أجهل وأمهز من أن تضيعى ملاحظتك فى هذا المكان الوحش يافانى

ولعمري يجدر بك أن تعيشى فى لندن فعندئذ ترين شيئا من معنى الحياة الحقيقية

انك تدفين نفسك حية هنا بين جماعة من الفلاحين البسطاء . اظن انك لم تشاهدى

لندن قبل اليوم ؟

وكان تلبوت يتكلم بدون غاية خاصة اللهم الامداهنة الفتاة ولكنها داهنته

بنظراتها وارضاء عينيها وتورد وجنتيها حياء والواقع قالت الفتاة فى جبن وحياء

— نعم لم ارها ولكنى سمعت عنها . آه ، كم اتمنى رؤيتها

— سنبحث فى هذه المسألة . سأجد لك مكانا . واظن أننى أعرف سيدة تأخذك

فقالت فاني ارتياحا

— ليتك تفعل ياسيدى . لقد مللت العيش فى هذا المكان ، وهذه ليست

حياة كما تقول ياسيدى

فقال تلبوت بلهجة رقيقة وقد اسرته ملاحظتها

— يجدر بك أن تذوق معنى الحياة . سارى ماذا استطيع عمله ولكن اظن أنه يجدر بى أن لا أقول الآن شيئاً مخافة أن ينتهى الامر بلا شيء . أريد مقابلتك مرة أخرى . اظن انك تقطنين فى ذلك الكوخ فوق التل ، اليس كذلك ؟ اذكر أن خلفه طريقاً فلنتقابل إذن هناك ذات مساء وليكن غداً بعد العشاء ، هل توافقين ؟

اومأت فانى رأسها فى لهفة . ولا عجب فقد انتهجت بمقابلة المستر تلبوت سرا ، وكاد عقلها الضعيف يذهب فرحاً بشرف لقائه . على انها كتمت انفعالها وتمتت قائلة

— هذه مكرمة عظيمة منك يا سيدى . لا استطيع شكرك يا سيدى

فتبسم تلبوت وقال

— ولكنك تستطيعين . توجد طرق استطيع الانسان أن يعرب بها عن شكره خير من الكلمات . الا تعرفين احداها ؟ دعيني اعلمك

طوقها تلبوت بذراعه ونظر اليها وهو يبتسم ثم قبلها وقال بصوت خافت — آه ، لقد نسيت . كان يجدر بك انت أن تقعى ذلك

طأطأت الفتاة رأسها هنيئة ثم رفعتة فى بطء وقبلته

غادر تلبوت الكوخ والابتسامة لا تزال على ثغره وهو يقول ان هناك وسائل اخرى للتسلية غير الجلوس حول المائدة الخضراء ، وفانى فى الواقع جميلة ليست من الطراز البارد — مثل فيرونيكا مثلاً . ولما خطرت بباله فكرة فيرونيكا سأل نفسه قائلاً الى اين ذهبت يا ترى . . . وهل لاختفائها علاقة بسفر رالف فارنجدون ؟ هل أنه نبذ الفكرة جانباً واقتنع بان ذهبت وغادرت المكان له خاليا يسرح فيه ويمرح

اما فانى فان « المكرمة » التى اسداها اليها تلبوت قد شفت الجرح الذى اصاب غرورها بسفر رالف ، وأخذت الان تفكر به فى احتقار تقريبا اذا ما

قيمته بالنسبة الى المستر تلبوت العظيم ! وقد قبلها المستر تابوت على حين رفض رالف فعلا شفتيها اللتين قدمتهما اليه من قبل

قابلت فاني المستر تلبوت مساء اليوم التالي في المكان المعين كما قابلته بضع مرات اخرى في الليالي التالية لانه تلتكأ في القصر ومع ان رؤساء حزبه أرسلوا يلحون عليه بالقدوم . وبعد اسبوع قدمت فاني الى امها خطابا من سيدة في لندن تطلب وصيفة لها

طارضت مسز ماسون في قبول ابنتها لهذه المهمة ولكن الفتاة اثقلت كاهلها بالالحاح حتى اكرهتها على الموافقة . وفي صباح ذات يوم سافرت فاني الى « مركزها »

وكان تلبوت دنبي قد غادر القصر في الليلة السابقة الى لندن

وقف تلبوت في مجلس النواب خطيبا ذات مساء . وكان قد مضى على الحوادث الاخيرة بضعة أيام . فتكلم ببلاغة نادرة دفاعا عن مشروع قانون قدمه حزبه . ولم يقف صوته الجمهوري ولا تغير وجهه الا مرة واحدة ، فقد جرد فجأة وحدثت العينان السوداوان الى الحائط المقابل ، كما لو كان الخطيب رأى فجأة شيئا مريئا رهيبا ، فذهب التورد الذي صبغ وجهه من جراء حرارة المكان والخطابة وحلت مكانه صفرة قاسية تشبه صفرة الموت ، فكاد السامعون يجلسون انفاسهم وهم ينظرون اليه

على انه مهما يكن السبب في هذا الانفعال فقد ذهب في الحال ، فعادت الى الوجه صورته الاصلية واستمر الصوت الرائق في انطلاقه وقوة اقتناعه

وكان المستر واش والمستر بوشير ، الصديقان القديمان ، قد تبادل النظرات عند ما تغير وجه تلبوت . ولما انتهت الخطبة وأخذ انصار الوزارة يهتفون للخطيب هتافا عاليا مال المستر بوشير نحو صديقه وهمس قائلا :

— ماذا أصاب دنبي الان ؟

فهز المستر ولش رأسه وقال :

— لا أدري . ياله من خطاب بديع سيساعدهم على تنفيذ المشروع . ولكن بدت على وجهه صورة مريعة عندئذ ، اليس كذلك ؟ لم أنس ما قلته عنه منذ مدة ويلوح لى مما شاهدته الليلة انك على حق فان هناك ما يشغل بال هذا الرجل أويبكت ضميره ...

فقاطعه زميله قائلاً

— قل يشغل باله ولا تقتل ضميره لان هذه الكلمة صارت اليوم عتيقة
— يلوح لى انه يعيش عيشة مزدوجة ، وقد تمثلت له الحياة الاخرى التى لا نعرفها فى تلك اللحظة . ولعمري رأيت الان على وجهه دنى صورة تمثل الرعب القتال على أنه لم يكن على وجه تلبوت اثر يدل على الخوف أو الرعب عند ما فادر المجلس بعد ان تلقى شكر رؤساء حزبه . فنادى سياره اضطجع فيها وأخذ يذخن وعلى ثغره ابتسامة تتم على الارتياح بعد الفوز العظيم الذى اصابه فى ليلته جددت السيارة السير شمالاً نحو غابة سانت جون ، الى ان وقفت به أمام منزل صغير جميل يطل قليلاً من فوق سور عال . وكان المنزل يدل بالرغم من جماله على ان ساكنيه ينشدون العزلة والاختفاء عن الجيران

فتحت خادمة الباب فصعد تلبوت الى غرفة الاستقبال حيث قابلته فانى ماسون بان القت ذراعيها حول عنقه وهى تبتسم ثم شكت قائلة
— أو اه ، لقد تأخرت كثيراً . لعمري خيل الى اننى انتظرتك اياماً بل شهوراً ، فهل ستتأخر دائماً على هذه الحال ؟ ان المكان موحش حتى شعرت كأنما قضيت اعواماً طويلة بعيداً عن وطنى

فلاطفها تلبوت وأجلسها بجانبه على المتكأ وقال :

— ما أجلك الليلة يا عزيزتى !

نظرت فانى الى ثوبها الجاهز الذى ابتاعته — بالنقود الاولى التى اعطاها إياها — ثم ابتسمت غروراً وقالت

— هذه بروق فى عينيك ! اننى فرحة . اريد الظهور بمظهر السيدة ، بل

اريد ان اكون سيدة كما يجدر بى ان اكون . نعم انه ثوب جميل اليس كذلك ؟
للاسف ان بعض القوم هناك لا يستطيعون رؤيتى . ماذا تقول سوزان بارك
اوجودوين المعتوهة التى لا ترى احداً جديراً بها ؟

فقبلها تلبوت قائلاً

— وهل انت سعيدة هنا يا فانى ؟ هذا حسن سوف لا تشعرين بوحشة بعد
قليل . يجب ان افرجك على لندن لكى تنسى الماضى
فقالت فانى فى جرأة

— الماضى القديم القذر . ولكن ليس هذا من السهل . هل تعلم اننى تلقيت
خطاباً من أمى قالت فيه انها ترجو ان اكون مرراحة فى عملى . . عملى ! انها تجهل
طبعاً أن لدى عدداً من الخدم يقومون بخدمتى ؟

فأجريت تلبوت يده برفق على شعرها الاملس الناعم وقال

— ليسوا اكثر مما تستحقين . لك ان تزيدي عددكم اذا شئت . اكتبى الى
أمك خطاباً طويلاً قومى فيه بما يجب عليك نحوها من الواجبات اذ يجب ان لا
تدع الشك يتسرب اليها أن تقف على الحقيقة كما تعلمين يا فانى . . . وماذا قالت
غير ذلك ؟

— انباء كثيرة . فالآنسة فيرونیکا لا تزال فى الخارج ، ونخامة اللورد
ليس فى صحة جيدة وقد ذهب الدكتور ثورن الى القصر ليعوده . هذا كل ما
هنالك على ما اعتقد . . . آه ، لقد نسيت . اقابل المستر جروسر ، صاحب ذلك
المنزل القذر الذى يسمى منزل « الكلب والبوم » هل تعرفه ؟

فاوماً تلبوت برأسه وقال

— نعم اعرفه

— قابل أمى وسألها هل رأت رجلاً كان قاطناً بمنزله ، رجلاً يدعى . . . لا
أتذكر . . . آه اسمه اوتواى . . رجلاً معصوب اليد

جدت يد تلبوت التى كانت تداعب شعرها ثم عادت الى التحرك ولكن

بمحالة ميكانيكية ثم قال

— حسن ؟

فاه تلبوت بهذه الكلمة بصوت جاف ، فحوت الفتاة رأسها لتنظر الى وجهه ،
ولكنه جذب رأسها اليه فاستسلمت مرة اخرى وهى تتمم دلالا ، ثم عادت
الى حديثها فقالت

— أخبر المستر جروسر اى ان الرجل مدين له بأجرة الغرفة التى كان يقطن
فيها وبيعض تقود اقرضه إياها . وقد توارى فجأة ولذا ذهب الى أمى يسألها هل
رأته ، كأنه ينبغى علينا أن نعرف من هذا الرجل الوضيع
فأمن تلبوت على قولها قائلاً

— كأنه ينبغى عليكم حقا

استطردت الفتاة فى حديثها فقالت

ولكن من الغريب اننى اعرف عنه شيئاً ، فقد اتفق ان رأيته فى الليلة التى
اختفى فيها ، وهى الليلة التى سافر فيها ... رالف فارنجدون
فقال تلبوت بصوت جاف

— حقا !

— نعم فقد اتفق ان كنت عند مفترق الطرق ، فرأيت رالف فارنجدون
وذلك الرجل اوتواى . وقد سمعت الرجل يتهدد ، والمستر رالف يتكلم فى غضب
كانما يتوعده ، ثم زعمت انهما سيدتضاربان فهرعت الى المنزل
فقال تلبوت

— حسن . اجرى دائماً كلما رأيت رجلين يتضاربان ، ولكن هل اخبرت
احداً عما رأيته ؟

فكرت فانى قليلاً ثم قالت

— نعم . اخبرت امى . وأظن اننى اخبرت المستر برشت . . . نعم فعلت .
وأخبرت جودوين ايضا عندما جاءت الى المنزل بقطعة الدنتلا .

فقال تلبوت فى خشونة

— لقد اخبرت اهل القرية كلها فى الواقع

القت الفتاة رأسها الى الوراء ثم نظرت اليه وسألته فى دهشة قائلة

— ماذا جرى يا تلبوت ؟ أرى وجهك مصفراً وصوتك مبجوحاً كما لو كانت

مصاباً ببرد أواه ، هل تشكو ألماً ؟ دعنى احضر لك كأساً من الحمر

فقاطعها تلبوت وهو يبتسم قائلاً

— لا اشكو شيئاً مطلقاً . اننى تعب ، هذا كل ما هنالك . لقد القيت خطبة

طويلة فى مجلس العموم ... آه ، ولكنك لا تفهمين ... شكراً ولكن ضعنى

شفتيك على الكأس اولا يا فانى لكى تزيد حلاوة



الفصل السابع عشر

وصل رالف الى لندن « في الوقت المعين » كما يقولون في الدوائر التجارية ونزل في فندق صغير في جوار المحطة في طريق ووترلو . وكان قد وجد وقتا كافيا اثناء سفره للتفكير ، فاستمد من افكاره شيئا من العزاء والسلوى ان فراق المرأة التي تهواها على امل أن نلقاها مرة أخرى وتحظى بها مرة ولكن امر منه وادهى اذا لم يكن لديك ، مثل رالف ، امل يرجى بلقاها ثانية اهيك بالافتران بها على أن الشاب ابى أن يستسلم لليأس المطلق ، وفي صباح اليوم التالي ذهب الى الميناء لبحث عن باخرة مسافرة الى استراليا

وجد رالف أن مامعه من النقود لا يكفي لايتباع تذكرة السفر فقرّر العمل وتوفير الاجرة ، ولكن للأسف كان عدد العمال في ذلك الوقت اكثر مما يتطلبه العمل ، فلم يطق البقاء عاطلا في انتظار الباخرة ، وعلى ذلك التحق في اليوم التالي لعمال الاحواض

حيل الى رالف وهو يشتغل بحمل البالات والطرود ان كل ماجرى في مزرعة « لين » اضغاث احلام ، ولكن كان وجه فيرونيكا يتمثل له وسط هذا الحلم بصورة بارزة ، وهو يفكر بها طول يومه وبذلك الحقيقة الغريبة التي لايمكن تصديقها وهي انها تهواه

وكان الفندق على مسافة مامن الاحواض ، ولكن كانت نفقاته قليلة ... تتوفر فيه وسائل الراحة فقرّر البقاء فيه الى أن يساعده الحظ ويجد مكانا في احدى البواخر المسافرة

مضت الايام على وتيرة واحدة مؤلمة ، وزادتها رهبة تلك العزلة التي تضايق

(م — ١٣ حكم الهوى)

كل من لاصديق له في لندن .. على انه لم تمض مدة وجيزة حتى وجد رالف صديقا له .

كانت في الغرفة المجاورة سيدة متوسطة العمر وبنت صغيرة - بنت ومربيتهما كما زعم رالف واصاب في زعمه ، فحدث ذات مساء بينما كان رالف خارجا ليطمش في شوارع المدينة المزدهجة على أمل أن ينسى نفسه ويلهو عن ذكرى حبيبته التي فقدوها ، اذ خرجت المرأة من الغرفة ، تحمل سلة على ذراعها على انها وقفت ممسكة الباب بيدها ، تهديء روع البنت التي لم تشأ أن تتركها مربيتها على انفراد . فقالت

- سأعود حالا يامس آدا . كوني بنتا محبوبة والعبي بعروسك الى أن اعود وسأاتي لك معي بعلمة من الحلوى

اغلقت المربية الباب ولكنها وقفت تنصت فسمع رالف بكاء البنت من الداخل ، على حين زجرت المرأة غضبا والتفتت الى رالف كأنما ارادت أن تشرح له سبب بكاء الفتاة ، قائلة

- انها لا تريد أن اتركها منفردة ياسيدى ولا بد لي من الخروج لقضاء بعض حاجاتي .

فقال رالف في عطف

- ان هذا امر طبيعي . ان الوحدة مؤلمة ياسيدتى . هل الفتاة يتيمة ؟

فقالت المرأة وهي لا تزال تصنى الى بكاء البنت

- كلا ، ياعزيزى كلا . ان والدها على قيد الحياة وهو قادم على ظهر الباخرة التالية ، وقد سبقته مع الفتاة الى هنا بسبب حادث ... أواه لأريدها تبكي ! لا يستطيع فراقها ولا يستطيع اخذها معي لانها تشكو من برد اصابها ، فلا أريد أن يصل ابوها فيجدها مريضة

فقال رالف

اصنى الى . ليس لدى عمل ما ، وقد كنت افوى الخروج للتمشى قليلا فاذا

تقولين اذا قت بمهمتك اثناء غيابك ؟ لقد قابلتها على السلم من قبل مرة أو مرتين
وسأحاول أن الهبها الى أن تعودى

بدت دلائل الارتياح على وجه المرأة ولكنها قالت فى شىء من الارتياح
- لاأريد أن اقتل كاهلك ياسيدى . لااعنى بقولى هذا ان الفتاة تسبب
متاعبك فقد احببتك وهى تدعوك باسم « الرجل الكبير » ، ولكن ...
فقاطعها رالف قائلا

- هذا حسن . اننى مغرم بالاطفال فى وسعك أن تدعيها معى وانت مطمئنة،
واظنك لا تطيلين البقاء فى الخارج
ترددت الوصيفة ولكن الى لحظة وجيزة فقط فتد نظرت الى الوجه الجميل
ثم اومأت براسها امتنانا وفتحت الباب قائلة
- ها قد وجدت لك رفيقا يا ادا

فقالت البنت وهى تبكى
- لاأريد رفيقا

على انها لما جاءت الى الباب ورأت رالف انبسطت اسارير وجهها الصغير
الجميل وقالت
- آه ، هذا « الرجل الكبير »

فتبسّم رالف وقال

- تعالى ايها الصغيرة . دعى كلامنا يهتم بالآخر .

وقبل ان تغادرهما المربية ، كانت الفتاة جالسة على ركبتى رالف تنظر باهتمام
الى أرنب غريب صنعه لها من منديله ، وجعل له اذنين مرهقتين ثم اخذ يقص
عليها تاريخه بعبارات خلابة فلم يسع الفتاة الا ان مالت برأسها على منكبيه وحدثت
النظر اليه فى ارتياح وابتهاج

لما عادت المربية من الخارج وجدت رالف جالسا على السلم ، والطفلة نائمة
بين ذراعيه فارادت ان تشكره ولكنه خاطبها بصوت خافت قائلا

— لقد نامت الآن فقط . سأحملها الى الغرفة اذا سمحت ، بالله لا تيقظها
وضع رالف الطفلة في مهدها فتبعته المربية الى الخارج لتعرب له عن
شكرها قائلة

— هذه مكرمة عظيمة منك يا سيدي . وسيشكرك ابوها متى عاد . من
الدهش ان اراها تميل اليك لانها دقيقة في اختيار ما تميل اليه وما تنفر منه
فتبسم رالف لهذا الاطراء الغامض ودخل غرفته بقلب اقل مما كان عليه
منذ غادر مزرعة لين

لما عاد رالف من عمله في اليوم التالي وجد البنت في انتظاره على رأس السلم
فهرعت اليه فاتحة ذراعيها وقالت في ابتهاج
— هل احضرت الارنب ايها « الرجل الكبير » ؟

خرجت مربيتها وابنتها على مضايقتها لرالف ولكن الشاب رجاها ان تدع
الفتاة معه حتى يتناول الشاي ، فتم له ما أراد وعندئذ قدم اليها الارنب ولعبة
صغيرة جاء بها معه

توطدت دعائم الصداقة بين الطفلة ورالف منذ ذلك اليوم ، فكان الشاب
يتلهف الى رؤيتها في انتظاره على رأس السلم ، والى عناقها الجميل الذي تستقبله
به . ولما اطمانت المربية من نحو رالف وتوطدت دعائم الثقة من نحوه صار كل
منهما لا يستغنى عن الآخر ، وكثيرا ما اخذ رالف الطفلة معه للتمشي في الخارج ،
فكانت الطفلة تسير متعلقة بيده فيجتازا معا الاسواق الكبيرة المزدحمة ، على
حين يشير لها رالف الى الاشياء التي تثير اهتمامها ويحييها على اسئلتها العديدة

اخيرا وجد رالف باخرة تقله الى استراليا وفيما كان يحاول افشاء هذا النبأ للفتاة
اذ ، ادهشته بقولها

سيصل ابى غدا . أرجو أن تحبه كما تحبني ايها الرجل الكبير . انك تحبني ،
أليس كذلك ؟
فقال رالف

— نعم كثيرا جدا . هل ابوك قادم ؟ اننى مسرور لاجلك ولواننى اخشى ان لا اراك كثيرا . انظرى الى هؤلاء الجنود باآداء انهم ذاهبون الى البنك للاهتمام بالنقود

فقالت الفتاة بعد ان نظرت مليا الى الجنود وهم يمرون من امامها — هل النقود غالية دائما ؟ ربما توجد نقود أبى هنا فقد قال انه فقدوها كلها هل تظن انه سيجدها يا عزيزى !
— أرجو ذلك . أرى ان لا بد لنا من العودة الان . سنشترى لك ورقة الشكولاته ثم نعود

توجع قلب رالف تلك الليلة لانه ادرك انه سيحرم كل تسليية كان يستمدّها من عشرة الطفلة . والواقع لما وصل فى مساء اليوم التالى لم يجدّها فى استقباله عند رأس السلم وسمع صوت رجل يختلط بصوتها فى الغرفة المجاورة فعلم ان اباها وصل نعم كان رالف قد صمم على السفر بعد ثلاثة ايام ولكنه أحس بوحشة الحرمان وعلم وهو يتأهب للرقاد انه كتب عليه الحرمان من كل شىء يحبه

وصلت فيرونيكا الى لندن أيضا «فى الوقت المناسب» وقد وجدت هى أيضا وقتا كافيا للتفكير خلال السفر . نعم فرت من القصر مدفوعة بسورة حبهارالف وغرامها به ولكنها أدركت قبل ان يصل القطار الى نهايته بمدة طويلة ، ان القول أسهل من العمل . فقد كانت قبل كل شىء غير واثقة من ان رالف سيسافر الى استراليا أو من انه سيسافر حالا واذا فرض انه سافر فانها كانت تجهل البلدة التى يقصدها . على ان معرفتها بلندن طمنت خاطرها ولم ترهبها المتاعب التى تنتظرها فى طريقها .

رأت فيرونيكا ان خير وسيلة هى العودة الى الغرفة القديمة التى كانت تشغلها قبل ان تصير سيدة قصر لين ، وفيما كانت تهم بركوب احدى العربات اذا ناداها صوت ، فالتفتت فرأت فتاة كانت جارتها فى المنزل ، تخفق قلبها عندئذ ومع

ذلك كادت تنسى اسم الفتاة ولكنها عاد الى ذاكرتها بسهولة وهى فى عزلتها وسط
جماهير غفيرة كما لو كانت المدة التى مضت على سكناها مع مرتالا دلو فى المنزل العتيق
المظلم بحى كامدن ، ليست الا اياما لا اعواما . وفى الواقع صاحت فيرونيكا قائلة
- مرتا . هذا انت حقا ؟

تناولت الفتاة اليد التى امتدت اليها وهى تنظر الى فيرونيكا فى دهشة
ودية وقالت

- ما أغرب هذه المفاجأة يامس دنبي ؟ لعمري زعمت انك سافرت لتعيشى
مع بعض الاغنياء وايقنت ان عيني لن تقعا على وجهك مرة اخرى
فقال فيرونيكا فى ابتهاج

- ولكنك فعلت . لقد جئت لاعيش فى لندن ثانية . اننى ذاهبة الى المنزل
القديم هل تأتين معى ؟ هيا اركبي
فقال مرتا وهى تضحك

- ما الفائدة من الذهاب الى هناك ؟ لقد هدم المكان كله وتحول الى مخزن
منذ مدة طويلة

فقال فيرونيكا استياء

- او اه ، اذن لا ادرى اين اذهب

فرمقتها مرتا فى اهتمام وقالت

- لك ان تأتى معى اذا كان الامر لا يهمك كثيراً . اننى اقطن فى شارع
سوربي ، وهو على مقربة من هنا وفيه غرفة خالية - او بالحري بضع غرف اذا
راقت فى عينيك ، وعليك ان تقررى ما تريدن فى الحال لان العربى على وشك المسير
او مات فيرونيكا وقالت على الفور
- سأتى معك . تعالى

وصلت الفتاتان الى المنزل قبل مضى عشر دقائق . وكان قائما فى شارع لا بأس
به بالرغم من فقر أهله ، فاتفقت الفتاتان مع صاحبة الدار ، ولم تلبث فيرونيكا

ان وجدت نفسها مستأجرة لغرفتين في منزل نمرة ٦ بشارع سوربي في جبوب غربى لندن

وفيما كانت الفتاتان تتناولان الشاى ، اخذت مرتا تقص على رفيقتها حياتها الخالية من الحوادث منذ آخر مرة رأت فيها فيرونيكا . وكانت الفتاة تتكلم بسرعة كأنما ارادت ان لا تظن فيرونيكا ان هناك ما يدعو الى الثقة من جانبها . على انه بينما كانت مرتا تخبرها انها تشتغل في مصنع قريب جعلت فيرونيكا تفكر فيما تستطيع قوله عن شئونها الخاصة ، الى ان قالت فى النهاية وقد تورد وجهها - يجدر بى الآن ان اقص عليك كل ما اصابنى ، ولكنى لا استطيع يا مرتا

فاجابتها الفتاة على الفور قائلة

- ثقى اننى لا اريد شيئاً من ذلك ايتها الانسة فيرونيكا . ولقد علمت دائماً انك سيدة عظيمة من الاغنياء ، وزعمت انك ذهبت لتعيشى مع اناس من العظماء كالذين نقرأ عنهم فى القصص . وطالما زعمت ان ظنى هذا صحيح على كل حال بعد ان سافرت بهذه الوسيلة

فقالت فيرونيكا

- نعم كنت اعيش مع قوم اغنياء ولكنى تركتهم وصرت فقيرة مرة اخرى . انظرى ؛ هذا كل مالدى من النقود

ثم عرضت ما فى كيسها ولكن عملها هذا لم يأت بالنتيجة المطلوبة اذ صاحت مرتا تائلة

- يا إلهى . كنت على وشك ان اعرض عليك الذهاب معى الى المصنع ولكنك غنية

فقالت فيرونيكا

- ولكنى لا اريد أن اتفق هذه النقود ويسرنى اذا استطعت ان تأتى الى بعض الاشغال هنا فى المنزل . فهل فى مقدورك ان تفعل ذلك ؟ لا اخالك تجهلين اننى ماهرة فى التطريز

قالت مرتا انها تظن ان هذا في مقدورها ، فتنفست فيرونيكا الصعداء و خيل اليها انها ستجد شيئاً من العزاء والسلوى لقلبها المتوجع اذا وجدت عملاً شاقاً ، وارتاحت عند ما ادركت انها ستعيش مثل رالف عيشة الكد والعمل

ذهبت فيرونيكا في اليوم التالى الى الميناء ، وسألت في مكاتب الشركات البحرية عن البواخر المسافرة الى استراليا ، فعلت ان أحدها ابجرت فى الصباح . وكان الكاتب قد افتتن بوجهها الجميل وصوتها العذب فأراها قائمة بأسماء المسافرين الذين اقلتهم تلك الباخرة ولكنها لم تجد بينهم اسم رالف فانجدون فسألت الكاتب عن أسماء البحارة فاجابها فى دهشة انه لا يستطيع قائلًا

— وفوق ذلك فان معظمهم يسافرون بأسماء مستعارة أيتها الآنسة

عادت فيرونيكا الى شارع سوربى وهى تشعر بروح العجز والقنوط التى يشعر بها كل من أراد البحث عن ابرة فى كومة من الرمال . ثم قالت فى نفسها ليت كانت لديها الشجاعة التى تمكنها من تحدى عمها وحمله على ابقاء رالف معها فى المزرعة ، اوليتها - خيرا من ذلك - أصرت على السفر معه ، ولكن اللورد لينبرو كان قد خدر أعصابهما بكلماته الحكيمة وتحجر قلبه ففرق بينهما

كانت فيرونيكا تذهب يوميا على التقريب الى مكتب شركة الملاحة . وكان الكاتب قد وقع فى شرك غرامها فبذل أقصى جهده ولم يدخر وسعا فى مساعدتها . ولكنها لم تقف لرالف على أثر ومع ذلك لو خطر ببالها ان تبحث بين عمال الاحواض لوجدته . والواقع مرت مرة على مسافة بضع خطوات من المكان الذى كان يشغل فيه

زادت فيرونيكا ضعفا ونحولا مع مرور الايام ولا عجب فان الحب ماء الحياة ، وفى التعطش اليه الشعور الحقيقى بالا لام المبرحة والشقاء المقيم

وفى ما كانت فيرونيكا طائدة الى منزلها بعد ظهر ذات يوم ، بعد فراغها من مهمة البحث ، اذمر بها رجل ، وقف هنية يفكر ثم تبعها وقال بعد ان رفع قبعته

— مس دنبي ؟

ارتجفت فيرونيكا وحولت رأسها في الحال فرأت رجلا متقدما في السن ، يرتدى بذلة عادية ولكن وجهه وحالته يدلان على انه من طبقة راقية ، فتبسم الرجل وقال

— الآنسة دني ، أليس كذلك ؟ أخشى ان لا تذكرى من أنا . ان اسمى سانتسبوري وقد التقينا مرة في مأدبة عشاء أقيمت بقصر ابن عمي فقالت فيرونيكا

— نعم طبعاً . اننى اذكرك . فأنت المسترجير الدسانتسبوري فتبسم الرجل وقال

— نعم أنا أحقر افراد العائلة كما تعلمين

احمر وجه فيرونيكا وصاحته . وكان الرجل قد لاحظ بساطة ثوبها وذبول وجهها فسألها في شيء من التردد قائلا

— وهل انت مقيمة هنا ؟

— نعم أعيش الآن في لندن وقد غادرت قصر بين . والآن يجدر بى ان أطلب اليك ان لاتخبرهم هناك بانك رأيتنى . ان . . . ان القصة طويلة ، ولكن يكفى ان أقول اننى تركت عشرة اللورد لينبرو فقال الرجل في هدوء

— اننى آسف . ارجو ان تكونى ... ان لاتسمرى بوحشة هنا . اعنى ان لاتكونى بغير أصدقاء

فقالت فيرونيكا

— كلا . اننى أعيش مع صديقة قديمة لى وهى فتاة أعرفها . وقد انتقطت عن الحياة الاولى وهذا هو السبب الذى من أجله طلبت اليك ان . . . فقطاطمها الرجل في جد قائلا

— لاتخشى شيئاً من جراء مقابلتى أيتها الآنسة . لن أخبر أحدا باننى قابلتك ما دمت تريدن ذلك ، ولكن لعمري قد لاتتاح لى الفرصة لكى أخبر

قوى لاني منلك قد هجرتهم . وقد ساء حظى - والذنب ذنبى وعدت توأ من
استراليا حيث قمت بمشروع كان نصيبه الفشل والحبوط ، وليس ثمة يدعو الى
اثقال كاهلك بأمر كهذا

ان كل شىء فى قلب المحب المخلص يدور حول محور واحد ، وعلى ذلك زحمت
فيرونيكا انه ربما استطاع مساعدتها فى البحث عن رالف ، فصاحت قائلة
- استراليا !

لاحظ الرجل اهتمامها المفجأى فقال

— نعم . هل هناك ما يمكن ان أقدمه اليك ؟ هل تهتمين باستراليا ؟ اننى
مقيم فى فندق على مقربة من هنا مع ابنتى آدا ، وهو مكان صغير لا بأس به ، فأود
ان تريها فهى أجل ... ولكن يجب ان لا اندفع فى تيار الحب الابوى هل تأتين
معى لرؤيتها ؟ ليس لها أصدقاء من النساء اللهم الا مربيتها ، ولكن أرى فى طلبى
هذا تجاوزا عن الحد

فقالت فيرونيكا

— كلا مطلقا . يسرنى ان أراها

ثم تحولت وسارت معه

أخذ الرجل يتحدث عن الحظ السيء الذى أصابه وعن أهله فى القصر ولكن
كان معظم حديثه عن الطفلة . وقد انقطع حديثهما هنيهة من جراء واپور حريق
مر بهما فى طريقه كالبرق ، ولما وصلا الى الشارع الذى يوجد فيه الفندق وجدا
نفسهما وسط جماهير غفيرة ، وسحب الدخان تملأ الشارع ، والسنة الهيب تمتد
من أحد المنازل

صاح جيرالد سانتسمورى صيحة ملؤها الرعب وقال

— الفندق ! انه الفندق ! اواه ، ابنتى ، آدا

شق الرجل لنفسه طريقا وسطا الجماهير المضطربة ، تتبعه فيرونيكا بقلب خافق

وهى لاتدرى

كان الفندق هو الذى يحترق ، فوقف صاحبه مع جماعة من النازلين فيه يحدقون النظر الى نوافذ الفندق باعين ملوؤها الرعب والهلع ويراقبون السنة اللهب والدخان التى تمتد منها

وفيا كان المستر سانتسبورى يندفع الى الامام وهو يصيح قائلاً : « ابنتى ! هل نجت ؟ » اذ التقت المربية نفسها ثم امسكتها وصاحت فى تألم قائلة — انها هناك ... هناك . خرجت هنية ... وتركها . ليست هنا ... وقد نجا الجميع ، أواه ، الطفلة ... الطفلة !

اندفع الوالد المنكود نحو الفندق ولكن قبض عليه أحد رجال الحريق ومنعه بالرغم من مقاومته العنيفة

وقفت فيرونيكا وقد كاد يغمر عليها من هول المنظر الرهيب ، ولكنها لم تلبث ان افادت على صياح الجماهير المحتشدة ، وقد رأوا شابا يشق لنفسه الطريق ثم وقف هنية نظر فى خلاها الى الفندق ولم يلبث ان اجتاز الباب فى طرفه عين وكان الشاب قد جاء واختفى بسرعة فلم يستطع رجال الحريق منعه من الدخول على حين اشتدت ضجة الجماهير عند مارأوه بعد فترة وجيزة يطل من احدى النوافذ العليا ، يحمل طفلة بين ذراعيه . وكانت السنة اللهب التى تخرج من النوافذ قد اضاءت وجهه فصرخت فيرونيكا وهى تحددق النظر اليه مع الآخرين ثم ترنحت اذ رأت ان الوجه ، وجه رالف

امسك الشاب الطفلة بين ذراعيه وقد ضمها الى صدره ، وأطل من النافذة تنجلي على وجهه دلائل الثبات والعناء نينة ، فمد رجال الحريق سلما تحت النافذة ، رآه الشاب الذى يحمل الطفلة فمال الى الامام والى حمله الثمين فى رفق

ضج الجمهور ضجيج الاستحسان وعلا هتافهم عند ما هرع الرجل الى ابنته وضمها الى صدره ، ولكن لم يلبث ان ذهب الهتاف وعلا الصياح بشدة عند ماشوهد الشاب وهو يترنح امام النافذة التى التهمتها النيران الآن ، على حين صاح الجميع قائلين

— اسرع . اسرع بالله

التصق لسان فيرونيكا بحلقها فلم تستطع الصياح وظلت عيناها تمدقان النظر
الى الشبح الذى يحيط به اللهب والدخان
صاحت الجماهير مرة أخرى منادية اياه ان يقفز . والظاهر ان صراخ النساء
بلغ آذان الشاب إذ مر بيده على وجهه كما لو كان يناضل للتنفس ولم يلبث ان صعد
الى قاعدة النافذة والتقى بنفسه

تعالى صياح الارتياح وانين الشك من الوف الناس الذين شاهدوه يسقطون
ملاءة من القماش المتين نشرها له رجال المطافئ
احاط ببعض رجال البوليس برالف وأبعد الباقون الجماهير عنه ، على حين
دفعت الجموع المحتشدة فيرونيكا فلم تلبث ان وجدت نفسها بين الذين يحيطون
به فصرخت قائلة

— رالف . رالف !



الفصل الثامن عشر

مضت بضعة أيام قبل ان يعود رالف الى صوابه — بعد أن نسيته الصحف
التي أفاضت في ذكر « شجاعته الخارقة » كما نسيه الجمهور الذي قرأ عن اعماله
وأعجب بها — فلما فتح عينيه ونظر فيما حوله زعم أن افكاره لا تزال تائهة
كانت اول فكرة خطرت بباله عن الطفلة فتمتم قائلاً
— النار ... آدا

رأى رالف وجهها صغيراً يضغط على الجزء المكشوف من وجهه ، وسمع
صوتاً مهدجاً على مقربة منه يخاطبه قائلاً :

— اننى بخير أيها « الرجل الكبير » وفي سلام تام ويسرنى انك افقت من
اغمائك . لقد نمت مدة طويلة . ان أبى هنا أيضاً وقد جاء مع رجال آخرين منذ
الصباح الباكر ، اليس كذلك يا ابت ؟

احس رالف بيد تقبض على معصمه وسمع صوتاً يخاطبه في رزاة قائلاً
— نعم يا آدا ، وهو يعرف السبب . كيف حالك يا مستر فارنجدون ؟ هل
تقوى على سماع شكر والد على انقاذ حياة ابنته ؟

بدت دلائل الحيرة على وجه رالف هنيهة ولم يلبث ان ضغط على اليد التي
تمسكه وقال

— لقد تذكرت . كنت اظن اننا كلينا في عداد الاموات . . . احترقنا .
هل انت والدها ؟ نعم اذكر قدومك . هل اصيبت الفتاة بأذى ؟
فقال المستر سانتسبوري :

— كلا . لم يصبها شيء ، شكر الله . فقد غطيت وجهها بملء لانك لم تنس
شيئاً حتى في هذه الفترة الرهيبة فلم يمسه أذى ، ولكن انت ...
فقال رالف في ابتهاج :

— انى بخير أشعر بمقدرتى على النهوض اذا استطعت تحريك هذه الذراع وإحدى رجلي ، ماذا أصابهما ؟ وأين أنا ؟ ان هذه الغرفة غريبة فى عيني

فاجابه المستر سانتسبورى فى حذر قائلاً

— انك فى شارع سوربى فى غرف لصديق لى
فقال رالف

— زعمت اننى فى غرفة بمستشفى . الم يكن هذا خير مكان لى فلا اكلف
احداً مشقة ؟

— لم نطق فراقك . ان السر توماس لوكاس وهو من امهر اطباء لندن ،
يتولى العناية بك وسيعودك عما قريب ثم ...

فقال رالف فى امتنان

— هذه مكرمة عظيمة منك ولـكن ارجو أن لا اكون عالة عليك وقتاً طويلاً
وضع رالف يده على شعر آدا فى رفق هنيهة ثم عاد فقال
— قلت الآن انكم لا « تطيقون » فهل أدنى انت وآدا ، او هل هناك
احد غيركما ؟

وكان المستر سانتسبورى قد حذر من ان يسبب للمريض هزة فجائية ،
فاجابه فى رفق قائلاً

— لماذا تنقئ هذا السؤال

فقال رالف وقد تورد وجهه قائلاً

— لان لدى فكرة بأن سيدة — سيدتين — كانتا فى الغرفة ، وان احدهما
كانت معى طول الوقت . ولكن اظن ان هذا ضرب من الاوهام لاننى فقدت
حواسى تماماً

— اظن انك تعنى صاحبة هذه الغرف . لقد رأيتك تنقذ آدا فعرفتك وهى

التي قامت بتمريضك تساعدنا صديقة تسكن معنا فى المنزل

فقطب رالف جبينه وقال

— تعرفنى ؟ لا اعرف سيدة ما فى لندن . لقد ظننت او بالحرى حيل الى انها
شبهه سيدة اعرفها جيدا ... ولكن لا ريب ان هذا ضرب من الاوهام
ثم تهتد وحول رأسه جانبا ، خمل المستر سانتسبورى ابنته وقال
— يجب أن تتركك قليلا ، وعليك أن تحاول النوم — نوما صحيحا فى هذه
المره . خذ هذه الجرعة ونم ، وستشعر بتحسّن عظيم فى حالتك اذا ما استيقظت .
وبقوة تساعدك على الكلام فى امور كثيرة
قبل رالف الطفلة ثم اغمض عينيه وقال
لاتنصها عنى بل دعها تدخل ثانية لى

أثرت الجرعة تأثيرها بسرعة فنام رالف نوما حقيقيا منعشا ، ولما استيقظ
نظر فيما حوله ولم يلبث أن ارتجف وحبس أنفاسه ورقد جامدا لا يتحرك كأنما
خشى أن تذهب اقل حركة الشبح الذى تمثل له ثانية ولكن بقى الشبح حانسا
على الكرسي بجانب فراشه وفى الحال احس رالف بيد بشرية تمس وجهه فى
رفق فتمتم قائلا : فيرونيكا !

فاجابته بصوت خافت قائلا

— نعم أنا هنا يا عزيزى رالف

انصت الشاب الى صوتها الذى خيل اليه انه ملاء الغرفة بالغام موسيقية عذبة
فديده فى تألم ولمس خدها ولما تحقق انها هى وأن سارآه حقيقة واثقة صرخ
وأراد أن يثب من فراشه ولكن مالت الفتاة نحوه وضغطت بوجهها على وجهه
فى رفق وأخذت تناديه فى حنان قائلا

— نعم أنا فيرونيكا . أنا هنا ... هنا معك ايها الحبيب ... بين ذراعيك

ثم جذبت يده الصحيحة حول عنقها وعادت الى مناجاته فقات

— أنا فيرونيكا ... ولكن لا تتحرك ... سأقبلك اذا طواعتنى ولم تتحرك .

اصغ الى يا رالف حتى اقص عليك قصتى . يجب أن لا تتكلم ... والا حظروا على
الدخول عليك ثانية

وكانت الصدمة قد سلبته قواه ، وتجلت دلائل الفرح في عينيه من خلال
سحابة تشبه الدموع على حين امتدت شفتاه لتلتقي القبله التي وعدته بها
أخيراً قالت فيرونيكا

— شهدت الحريق . وقد قضيت في لندن ردحا من الزمن . هل تظن أيها
الحبيب اننى اطلق البقاء في القصر و اتمتع بحياة الترف والنعيم وانت تناضل في
الحياة لاجلى ؟ كلا . يارالف لم اظن بعادك يوما واحدا فغادرت القصر وكل ما فيه
في صباح اليوم التالى لسفرك . وقد صممت على أن اقضى اثرى الى استراليا
— فيرونيكا !

فامرته في رفق وحنان قائلة

— كلا . كلا . لاتفه بكلمة . سأقص عليك كل شيء . فقد جئت الى لندن
وقابلت صديقة لى هى الفتاة التى اقطن معها هنا . وكان قلبى يلتهب شوقا اليك
فوجدتك ... ولكنى وجدتكَ وانت في عداد الاموات تقريبا . لقد رأيت
كل شيء يارالف

ناضلت فيرونيكا عندئذ دموعها وحبست تأوهاتهما في صدرها واخفت وجهها
في صدره هنيهة ، على حين قال رالف بصوت خافت
— انت تتركين القصر .. وكل شيء من اجلى ! اواه ، كان يجدر بك أن لاتقدمي
على شيء من ذلك لانك لاتصلحين ...

فقاطعته فيرونيكا على الفور قائلة

— اننى من سكر يذوب . وقد رأيت أن التضحية كلها من جانبك ، ولممرى
لن اغتفر لنفسى ذلك الذنب الذى اقترفته عند ماسمحت لك بالذهاب بعد ظهر
ذلك اليوم . على انك ستغفرلى ذاتى يارالف . واطنك قد فعلت
نظر رالف الى ثوبها فرأى عليه دلائل القدم ، على حين استطردت فيرونيكا
في حديثها فقالت

— لن أعود الى حياة أرى تنسى فيها حالة على غيرى اذا استطعت . ليتك

تعلم كما أنا سعيدة الآن بقربك يارالف . يجب أن تستريح الآن . ان يدك ساخنة
ووجهك متورّد فاغمض عينيك ولا تفتحهما مدة ، اذا وعدت أن تكون حافلا ،
حافلا جدا اغمضتهما لك

فعلت فيرونيكا ذلك بطريقة يحسدها عليها ملاك النوم
لما جاء الطبيب المشهور وخص المريض حملق في وجهه دهشة وارتياحا
وخطبه فائلا

— لعمري أن لك قوة هرقل وبنيته ايها الصديق . لا يوجد في الالف
واحد يتقدم بمثل هذه السرعة ، ولا واحد في المئة يعيش
فتبسم رالف وقال

— ربما لا يوجد في المليون واحد لديه من يجب أن يعيش لاجله مثلي
فقال السر توماس

— حقا ! هو ما تقول . لعمري ستجد في ممرضتك زوجة صالحة من اجل
الفتيات اللاتي وقعت عليهن عيناى

وكان الطبيب من الخبيرين بالجنس اللطيف فلزم الصمت هنيهة ثم عاد الى
الكلام فقال

اذا كانت هذه هي التي ستعيش من أجلها فلا يدهشني ما أظهرته من النضال
وقد علمت انك ستنال مدالية الاستحقاق والجدارة

فصاح رالف في استياء فائلا

— كلا . لا أريدها ليعطوها لرجال الحريق الذين قاموا بواجبهم مثلي وزيادة
وقد رأيتهم لما احاطت النيران بي . لا تدعهم بالله . لا تدعهم يهتمون بامري
فاجابه الطبيب في حدة فائلا

— من يكثر بك ؟ ان الامر يتعلق بالذين ينتمون اليك يا عزيزي . اعط
المدالية لتلك المخلوقة الجميلة لتحملها بدلا منك ، وهذا ما نتمناه على ما اعتقد .

(م — ١٤ حكم الهوى)

والان لك ان تتناول من الطعام شيئاً من المرق واللحم المسلوق . انك سعيد الحظ وستنقدم صحتك تقدم احسننا . الى الملتقى سوف لا أعودك بعد اليوم ولكن اقول لك اننى سأشهد حفلة زواجك لاننى احب كل رجل شجاع بصرف النظر عما اذا كان يحمل مدالية أو لا

غادر رالف الفراش بعد أيام قليلة وقد دهش واستاء اذ وجد نفسه ضعيفاً هزيبلاً . على ان غرفته الصغيرة كانت قد تحولت الى جنة أرضية لما وجدته من حنان الاصدقاء الذين احاطوا به وأدخلوا السرور الى قلبه — ناهيك بحب فيرونيكا ووجودها على مقربة منه . على حين كان المستر سانتسبورى وأدامين الزائرين الدائمين . اما مرتا فقد كانت تقوم بنصيبها في تمريض رالف الذى كانت تعجب به وتحسد فيرونيكا عليه حسداً ظاهراً جلياً

كان المستر سانتسبورى يجلس فى معظم الاحيان صامتاً ، يدخن سيجارة وراء أخرى ، الى أن رفعت الضمادات التى عصب بها وجهه رالف ، فاستطاع الرجل لأول مرة أن يراه فى جلاء ووضوح ، فنظر اليه فى حيرة ودهشة كما لو كان يحاول ان يذكر شيئاً غاب عن فكره . وأخيراً اتفق أن خرجت فيرونيكا مع آدا لشراء بعض أطعمة أمر بها الطبيب ، فأنهز المستر سانتسبورى الفرصة وأخذ يتحدث عن المستقبل ، فقال فى شيء من التردد

— لا أخالك تجهل يا فارنجدون اننى رجل لا اثبت على عمل . والرجال الذين

هذه حالهم لا ينجحون كثيراً
فتبسم رالف وقال

— ولكن لهم بالاجمال وقتاً حسناً

— هو ما تقول . وعلى كل حال يجنون شيئاً من الخبرة وهذا شئٌ عظيم .

والان أخبرك اننى صادفت عملاً صغيراً فى استراليا ، على انه يكفى لمعيشتنا — اعنى انت ومس فيرونيكا وأنا وآدا ، ومرتا اذا ارادت . على ان المهم هو معرفة هل يروقك مثل هذا العمل . وتهتم به . لو كان لدى نصف الثروة التى فقدتها

لاستطعت ان اجمل منك رجلا غنيا

ثم تأوه وسكت ، فقال رالف

— هذا حسن . لا تكلف نفسك مشقة من نحوى . فى وسعى ان أسافر

واتحمل متاعب الحياة واجمع ثروة ثم ... ثم أعود الى فيرونيكا

فتبسم المستر سانتسبورى وهز رأسه قائلاً

— اذا لم اخطىء فى حكمى فأننى اؤكد لك ان مس فيرونيكا لن تدعك تغيب

عن عينيها مرة أخرى . كلا . يجب ان نسافر معا لان آدا لاترضى أيضا بفراقك .

يلوح لى ان لك قوة جذابة يارالف بصرف النظر عن شهامتك ولعمري لو لم أكن

مدينا لك بانقاذ حياة ابنتى لعز على فراقك . كلا . يجب ان نسافر كلنا معا . اننى

اعرف المهمة كما تعرفها انت أيضا

لزم الرجل الصمت فجأة ثم نظر الى رالف فى تفكير وقال

— وعلى ذكرى ذلك ما اسم المكان الذى كنت تقطعه ؟

فقال رالف

— اقم فى بضعة أوما كن باستراليا ثم تردد قليلا وقال

كانت لدينا ، أنا وأمى ، أسباب تدعو الى كثرة تنقلنا من مكان الى مكان .

فقد كان زوجها الثانى رجلا قذرا شريرا ، فكنا نحاول دائما التخلص منه

فسأله المستر سانتسبورى بصوت خافت قائلاً

— ما اسم أمك . . . اعنى اسم زوجها الثانى ؟

فقال رالف

لا أدري ، وانما كانت تلوح عليه دلائل من اعتاد الاجرام

وكان الشاب يتكلم فى حقد وتبرم فلم يستطع المستر سانتسبورى ان يلقي

عليه اسئلة اخرى . على أنه كان ينظر الى رالف من وقت الى آخر وهو جالس

يدخن دون أن تذهب عن وجهه دلائل الارتباك والحيرة

جلس الجميع مساء ذلك اليوم حول الموقد فاراد المستر سانتسبورى أن

يعود الى التحدث عن مشروعه فقال

— ستتزوج قبل السفر طبعا يا رالف فليس ثمة ما يمنع زواجكما . والواقع خير

لكما ان يتم ذلك

ارتجفت يد فيرونيكا وهى تشتغل بتطريز قطعة من القماش ، فوخذت الابرة

اصبها ، على حين استطرد الرجل فى حديثه فقال

— نعم سوف لا تبجى ثروة طائلة ولكن سنكون فى عيشة سعيدة ، اليس

كذلك يا آدا . . . وأنت يا فيرونيكا ؟

فقالت الطفلة

— سنكون سعداء جدا مثل الذين قص على « الرجل الكبير » قصتهم

لم تفقه فيرونيكا بكلمة . ولكنها مدت يدها خفية الى أن وجدت يد رالف

فضغطت عليها فى رفق وحنان

ولكن الانسان مسير لا غير

فبينما كانوا يتحدثون معا ويضحكون اذ سمع دق على الباب فقالت فيرونيكا

— هذا الرجل الذى جاء بالنبيذ لـ رالف

فصاح الشاب فى غضب قائلاً

— من المضحك أن تشتروا لى نبيذا كما لو كنت عاجزا . لقد مشيت بضعة

أميال اليوم

فقال المستر سانتسبورى بلهجة الاستحسان

— قول جميل . ولكن علينا أن نأخذه على كل حال

ثم امر الطارق بالدخول

فتح الباب ولكنهم بدلا من ان يروا الخادم ، شاهدوا رجلا تبدو على وجهه

دلائل الرزاة ، يرتدى بذلة رسمية سمراء ، فوقف ينظر الى جوانب الغرفة ويتفرس

فى وجوه الجميع الى ان قال فى هدوء وحزم

— المستر رالف فارنجدون ؟

أرخت فيرونيكا يدها عندئذ ، على حين وقف رالف وقال في دهشة
- نعم أنا رالف فارنجدون

الفصل التاسع عشر

جلس اللورد لينبرو في المكتبة بجانب المدفأ مطرق الرأس ، تقبض يدها
النحيلتان على ذراعى الكرسي ، تدل حالته العامة على التفكير العميق والحزن ،
ولا غرابة فقد أخذ الشيخ يشعر بوطأة فراق فيرونيكا ووقعه الشديد في نفسه
بالرغم من جحوده وانكاره ، فكان يندر ان يغادر القصر ، ويقضى يومه تقريبا
على هذه الحال ، يحدق النظر الى الموقد بجبين مقطب وعينين غائرتين تمان على
التفكير العميق ، بعد ان ذهب مع فيرونيكا آخر بريق في حياته التي كم اظلمتها
ذكريات عديدة مؤلمة

لم تكن افكار اللورد مشغلة بفرونيكا وحدها بل كان رالف فارنجدون
نصيب منها أيضا ، فتد كان في شخصية الشاب مترك في نفس الشيخ أثرا لا يمحي ،
وكان كلما رآه أحس بشعور مؤلم غريب يحى في قلبه ذكرى الماضي
وفما كان اللورد جالسا بعد ظهر ذلك اليوم ينصت الى الرياح وهى تلعب
باغصان الاشجار ، لا يدري ماذا أصاب فيرونيكا - ولا ما أصاب رالف - اذ دخل
عليه رئيس الخدم وقال في احترام واجلال

- المستر هوتستون يا مولاي . هل يستطيع مقابلة نخامتمكم ؟

فقال اللورد في شيء من الجفاء

- كلا . قل له ان يكتب الى عمائريد

- لقد أمرنى المستر هوتستون ان اخبركم انه جاء في أمر هام

- اذن لماذا لم تقل ان المستر هوتستون يصصر على مقابلتى ؟ أدخله
لما دخل ناظر المزرعة تامل اللورد فى مقعده وكانت مقابلهما نادرة واذا جرت
اختصر اللورد فى حديثه ما استطاع
وقف هوتستون متكئاً على المكتب ثم قال بصوت رفيع مضطرب
— يحزننى ان اقلق غامتكم ولكن ... ولكن وقع حادث مريع لا يستطيع
أن احتمل تبعته وحدى
خملق اللورد لنبرو فى وجهه قائلاً
— هل سقط سقف أحد الا كواخ التى تنقل كاهلى من نحو هادأما ، أو ماذا حدث ؟
— استطرد المستر سدنى هوتستون فى حديثه فقال
— كان برشت ... برشت يزيل بعض الخطب فى الغابة الغربية صباح اليوم
فاكتشف أمراً
فقال اللورد ساخراً
— هل اكتشف منجماً للذهب ؟ أظن لا شئ من هذا القبيل مطلقاً . ربما
عثر على حفرة أرنب رأيت ان تعلقنى بخبر اكتشافها
فقال هوتستون فى حزم
— لقد اكتشف قبراً يا مولائى
تفرس اللورد فى وجه الرجل ، فاستطرد هذا فى حديثه قائلاً
... اكتشف قبراً حديثاً دفنت فيه جثة رجل . أظن .. أخشى انه وقع
حادث مريع وقد أرسل برشت الى انه يجدر بى أن احضر الى غامتكم فى الحال
قطب اللورد لينبرو جبينه هنيهة وهو ينظر الى المدفأ ثم قال
— مر باعداد العربى لاذهب معك . ثم اخبرهم ان يرسلوا ونفورد بثيابى
ركبُ الرجلان العربى الى الغابة فى صمت فلما اقتربا من المكان سمعا تتممة
ورأيا جماعة من الرجال يحيطون بجسم يخفوه بعض رجال البوليس
افسح الطريق للورد وناظر مزرعته فتقدم الرجلان فشاهدا جسماً ملفوفاً

بقطعة من القماش وعندئذ اشار اللورد الى احد رجال البوليس فكشف الغطاء
عن الجثة . فقال اللورد بصوت خافت

— من هذا ؟

فقال المفتش

— هذا رجل كان يقيم في منزل « الكلب والبوم » يا مولاي . وهو من
الافاقين الذين لا عمل لهم ، وأخشى . ،

قطع الرجل حديثه فجأة . اذ سمع صوت عربة ، وثب منها المستر تلبوت دني
وتقدم الى الجمهور المحتشد . وكان شاحب اللون ولكنه كان رابط الجأش مثل
عمه الذي ابتدره قائلاً

— تلبوت ! لم اتوقع مجيئك . يوجد حادث رهيب هنا

نظر تلبوت حوله في استفهام وقال

— سمعت في القصر ان امراً وقع وانك جئت الى هنا فتبعتك . وقد خشيت

ان حادثاً . . .

فقال المفتش بصوت خافت

— ليس هذا حادثاً اتفاقياً يا مستر تلبوت

أراد مفتش الشرطة أن يكشف عن الجثة ولكن صاح تلبوت دني قائلاً

بصوت متوتر :

— كلا . كلا

والظاهر أنه خجل من ضعفه هذا فأشار بإشارة القبول وسار في ببطء الى
الجثة ثم نظر اليها وارتجف ، ولكن جميع الذين شاهدوها ارتجفوا مثله عند
رؤية هذا المشهد الرهيب ، ولم يلبث أن حول وجهه ومرت بيده على جبينه في
امتناع عادي . على حين سأل اللورد لينبرو قائلاً :

— هل يعرف أحد الرجل ؟ هل له أصدقاء هنا ؟

فهز الجميع رؤوسهم وقال المفتش

— يظهر انه غريب وصل الى هنا اتفاقا ولا يعرف احد كيف قتل ، لانه قتل
يامولاى اللورد بطمنه ... وفوق ذلك فهناك المدية دليل على ذلك

فقال اللورد

اية مدية ؟

قدم الشرطى المدية الى اللورد لينبرو ليفحصها فتفرس فيها مليا ثم قال

— بالنظرها الرهيب لمن هذه المدية ؟ هل يعرف احد صاحبها ؟

ساد الصمت هنيهة وأخيراً صاح صبي مزارع قائلاً

— من المحتمل انها لـ رالف فارنجدون

نظر اللورد الى الصبي لحظة ثم حول عينيه الى برشت ونظر اليه نظرة

استفهام وقال .

— ماذا تقول يا برشت ؟ دعه ينظر اليها

اخذ برشت المدية وفحصها ثم قال فى ببطء

— انها تشبه ... ولكن توجد مئات مثلها

فقال مفتش الضبط فى رزانة

ليس مثل هذه يا مستر برشت . ان هذه المدية ليس من صنع هذه البلاد ،

وهى على كل حال تختلف كثيرا عن المدى العادية ، ثم هذان الحرفان اللذان
يبدأ بهما اسمه

وجد الصبي الفلاح فى هذا القول مشجعا له فقال

لقد رأيت هذه المدية معه مائة مرة

فامن الجميع على قوله قائلين

— نعم ، نعم . لقد رأيناها

عقد اللورد لينبرو حاجبيه الغزيرين وقال بلهجة قاسية خشعت لها قلوب الجميع

— حذار مما تقولون . لماذا توجد مدية رالف فارنجدون هنا

فتمتم مفتش البوليس قائلاً

- وجدت مدفونة مع الجثة - هذا ما رواه برشت وجولدى
استطرد اللورد فى حديثه فقال
- اية علاقة يمكن أن تكون بين الشاب وجريمة القتل ؟ هل يبعد انهما لم
يتقابلا ولا رأى احد منهما الاخر
فقال تلبوت بصوت خافت
- هو ماتتول . من المحتمل ان احدهما لم ير الاخر مطلقا . ولعمري لا ارى
سببا يدعو الى اتهام الشاب ... ما اسمه ؟ آه فانجدون
فقاطعها اللورد لينبرو فى حدة قائلا
- لم يلمح احد الى اتهامه
فقال مفتش البوليس فى احترام وحزم
- يحزننى أن أقول يا مولاي انهما تقابلا فعلا . فقد وجد فانجدون الرجل
يدخل المزرعة بلا اذن فامره بمفادرتها . وكان الرجل غليظ الطبع وقد اخبرت
انه هدد فانجدون أو هدده هذا
اشتد وجه اللورد لينبرو امتقاعا وقال
- ليس هذا مكانا يليق بالبحث والمناقشة يا جراى .. خذ الجثة الى مدفن
الكنيسة ثم تعال الى القصر ، وانت يا برشت تعال معه
ساعد تلبوت اللورد على الصعود الى المركبة ثم أشار الى المستر سدن
هو تستون ان يرافقهما ولما وصلوا الى القصر ، دخل اللورد لينبرو الى المكتبة
جلس بجانب المدفأ يحدق النظر الى الامام كما لو كان الحادث الرهيب قد تغلب
على جميع حواسه
جاء جراى وبرشت فقام اللورد لينبرو وجلس امام مكتبه ، فقال المفتش
حصلت على معلومات أخرى يا مولاي ، وأظن انه يجدر بى ان أطلب اليك
ان تعطينى أمراً بالنقبض على رالف فانجدون بتهمة القتل
جز اللورد على شفتيه وقال

— لا توجد أدلة كافية

تحول جرای نحو برشت فجأة وقال

— لقد عرفت المدية ، أليس كذلك ؟ أخبرني الصبي الذي كان يساعدك على

رفع الحطب انك صحت في اللحظة التي التقطت المدية فيها قائلاً

— هذه مدية رالف

وقف برشت صامتا ، تمدق عيناه الرماديتان النظر الى الحائط المقابل له ،

وأخيراً قال في ببطء

— نعم ان المدية مديته الحق حق . ولا يمكن ان يضره شيئاً

ثم لدى من يشهدون بان فاتى ماسون اخبرتهم بانها رأت رالف فارنجدون

والقتيل — واسمه جاك اوتواى — في الليلة التي غادر فيها رالف المزرعة ، وانها

سمعتها يتشاحنان ويتبادلان كلمات جارحة فحشيت ان يتلا كما ففرت هاربة الى

كوخها بدلا من ان تنتظر رالف ، وهى معروفة بتحيزها الى فارنجدون كما تعلم يا مولاي

فقال اللورد لينبرو فى ملل

— شهادة سماعية لاقيمة لها

وقال تلبوت فى تأكيد

--- نعم لاقيمة لها . أين فاتى ماسون هذه ؟

فردد اللورد لينبرو صدى هذه الكلمات قائلاً

— نعم أين هى ؟

فقال جرای

— تشتغل فى لندن . لدى عنوانها وسأرسل اليها تلغرافا . وقد أرسلت الى

بوليس لندن تلغرافا باوصاف رالف فارنجدون ، وأظن ان ليست هناك مشقة

فى العثور عليه

فسأله اللورد لينبرو قائلاً

— ولم لا ؟ يقال انه عاد الى استراليا

فقال جرای

— كلا لم يسافر . لا اخلك نسيت ما ذكرته الصحف منذ أسابيع عن انتاذه
بنثا صغيرة من النار وكيف نجأها بأعجوبة
فهز اللورد لينبرو رأسه وابتسم ابتسامة قاسية وقال
وهل تهم مثل هذا الرجل بالقتل !!
— نعم يا سيدى اللورد لان الدليل قوى . اذا تفضلت فاعطيتنى الامر
بالقبض عليه ...

تهد اللورد لينبرو ثم جذب الامر نحوه وبدأ يملأه . ولكن مدهوتستون
يده — وكان متكئا على المنضدة وهو خائر القوى — ثم لمس ذراع اللورد كأنما
اراد أن يمنعه وقال بصوت مبجوح
— كلا . كلا . لا تفعل يا مولاي ، لا تفعل دع جرای ... دعه يذهب الى
اللورد سانتسبورى ... الى قاض آخر من القضاة ... اتوسل اليك يا مولاي ان لا
تكتب هذا الامر

أرخی اللورد يده بالنلم وحدث النظر فى وجه الرجل الذى وقف أمامه يرتجف
ثم سأله فى حزم ولكن بصوت متهدج قائلاً
— ماذا يؤلمك يا هوتستون ؟ ما السبب ... بل ما علاقة ذلك الشاب بى
حتى لا أوقع امراً بالقبض عليه

وكان تلبوت واقفا على متربة ينظر من احد الرجلين الى الآخر ، فبلل شففيه
الجافتين بريته ، ولما جلس هوتستون على الكرسي وهو خائر القوى ، نتم
تلبوت قائلاً

— اسدى اليك النصيحة عينها يا سيدى . دع القضية الى أحد غيرك
ولكن رمته اللورد بعينيه غضبا ثم وقع الامر بيد ثابتة قائلاً
-- خذ ، ها هو الامر يا جرای قم بواجبك كما قت بواجبي
تناول جرای الامر وانصرف فتبعه تلبوت الى غرفة الطعام وخطبه قائلاً :
— هذه ... هذه مهمة رهيبة يا جرای

فأمن المفتش على قوله في رزاة قائلًا
— نعم هو ما تقول يا مستر تلبوت . أرى ان الحادث قد ازعجك ولا عجب
فاه جرای بالجملة الاخيرة في عطف بعد أن لاحظ امتقاع وجه المستر تلبوت
وتقلص شفتيه واضطراب عينيه

قال تلبوت

— نعم . نعم لم اكن على استعداد ... هل ... هل وجدت ... شيئًا في
ثياب الرجل ؟

— وجدنا شيئًا أو شيئين يا سيدى . مدية أظن انه لم يستخدمها

فقال تلبوت وهو شارد الفكر

— لم يجد وقتنا

نم أسرع فقال

— اعنى ... اعنى ان فارجندون ... او من اقترف جريمة القتل ، لم يمكنه من

استخدامها وأسرع فطعن تلك الطعنة التى قضت عليه

— هو ما تقول يا سيدى . لم نجد معه غير تذكرة للمراهنة وجليونه وقليل

من النقود

فقال تلبوت ولكن على كره منه

— لا شيء ... لا شيء غير ذلك ؟ ألم تعثروا على ... على اوراق ؟ ... اعنى

الم تجدوا اوراقا تساعدكم على معرفة شخصية الرجل ؟

فهز جرای رأسه وقال

— كلا يا مستر تلبوت . لم نجد اوراقا ولا شيئًا من هذا القبيل

انتظر الرجل قليلا ثم قال

— لا بد لى من الذهاب الآن يا سيدى ان هذه مهمة ثقيلة

لما ذهب الضابط ترنح تلبوت وكاد يسقط على الارض لولم يستند الى المائدة .

وكان وجهه مكفهرًا وهو يرتجف مثل ريشة في مهب الريح . ولا عجب فقد اشتغلت

افكاره بالاوراق فقال في نفسه انهم لم يجدوا المستندات التي دفنت مع الرجل ... فإين هي ، وماذا لحقها ؟

قبض تلبوت بيده على رأسه الملتهب وحاول ان يفكر ، ولما خاتته قواه العقلية ذهب الى زجاجة من الخمر فسكب كوبه كاملة منها تجرعها على عجل ، ثم عادت به افكاره الى الاوراق فقال انهم لم يجدوا الدفتر الذي كان يحمله الرجل - فماذا يُقلقه من هذه الوجهة ؟ يجدر به ان يجد في هذه الحقيقة مشجعا له لانه لا ريب ان الدفتر سقط من الرجل أثناء عراكهما وانه لا يزال ملقى بين الحشائش . ولكن جرای وجنوده سيذهبون الى مكان الحادثة بعد قليل ولا يدعون شبرا من الارض دون تفتيش دقيق ، فيجب ان يسبقهم الى هناك بدعوى مساعدتهم الى ان يعثر على المستندات التي تشهد بان رالف فارنجدون هو اللورد دني

نظر تلبوت حوله كالذئب ثم تتم في جراءة قائلا
- لم يحن الوقت الملائم بعد . سيشتقونه ... ان الادلة قوية جدا ...
سيشتقونه لاحالة

قال الشرطي الذي دخل الغرفة على رالف ومن معه وهم جالسون في فرح وابتهاج

- هل أنت رالف فارنجدون ؟ اننى أحمل أمرا بالتقبض عليك

فسأله الشاب في رباطة جأش ولكن بصوت مبجوح

- بأية تهمة ؟

- القتل عمدا . فأنت متهم بقتل جاك اوتواى في مزرعة لين كورت في ليلة ...

صرخت فيرونيكا والقت كلتا ذراعيها حول عنق رالف ثم ابتعدت قليلا

وتفرست في وجهه مليا وأخيرا قالت بصوت مبجوح

- الست ... الست خائفا يا رالف ؟

فتبسم الشاب في وجهها وقال وهو يرخي ذراعيها عنه في بطة

- خائف يا عزيزتى اكلا . لماذا أخاف ؟ اننى برىء

قبض الشرطى على رالف فى هدوء وأرسل الشاب الى قرية هالسرى بقطار الليل . ولا حاجة تدعو الى القول بأن فيرونيكا والمستر سانتسبورى وابنته آدا سافروا فى القطار نفسه . وقد أظهرت فيرونيكا من رباطة الجأش وقوة العزيمة ما أدهش المستر سانتسبورى الذى أخذ يعجب بشهامتها وطباعها . والواقع خاطبته الممتاة قائلة

— لماذا أخاف ؟ اننى واثقة من براءته كل الثقة . وسترى البرهان الساطع على براءته فى القريب العاجل

قابلت فيرونيكا رالف بضع دقائق ، فتعاق كل منهما بالآخر فى صمت الى ان همست الفتاة فى اذنه بصوت رقيق قائلة

— سألتك كلما أذنولى بمقابلتك ، ولكن ستكشف الحقيقة قبل مضى بضعة أيام — أوروبما قبل بضع ساعات . أو اه أيها الحبيب . ليتهم يدعوننى أذهب معك حمل جراى نبأ النبض على رالف الى القصر فى صباح اليوم التالى ، فقال بعد ان ووصف كيفية النبض عليه

— انه فى سجن هالسرى يامولاي . وقد اخبرنى الشرطى الذى قبض عليه فى لندن انه كان رابط الجأش الى درجة مدهشة ، وانه أعلن براءته طبعاً فقال تلبوت ، وكان لا يزال شاحب الوجه

— نعم بلاريب

حذق اللورد لينبرو النظر اليه وقال

— اننى أميل الى تصديقه ... هل هذا كل مالديك يا جراى ؟

— أظن انه يجدر بى ان أقول يامولاي ان الانسة فيرونيكا فى فندق روبك

بهالسرى — هى ووالد البنت الصغيرة التى أنقذها رالف من الحريق باعجوبة

ارتجف تلبوت ، ولكن اللورد لينبرو ظل هادئاً وقال

— هل هذا كل مالديك ؟

— سيبدأ التحقيق فى الساعة الثانية بعد ظهر اليوم يامولاي

— حسن سأكون في المحكمة قبل ذلك الوقت

فقال تلبوت معترضا

— لا تذهب ياسيدى لان حالتك الصحية لا تساعدك

صرف اللورد الضابط باشارة من يده وعاد مرة أخرى فقال
سأكون هناك

ذهب تلبوت بعد ذلك الى غرفته ثم دق الجرس لخادمه جيبون فلما جاء

خاطبه قائلا

— جهز لى بذلة غامقة اللون لاننى سأذهب الى المحكمة لحضور التحقيق

فقال جيبون

— كما تريد ياسيدى

ثم تحول ليذهب ولكنه تردد وعاد فقال

— خطر ببالي أن اطلب اليك ان تدعنى اترك خدمتك ياسيدى

فنظر تلبوت اليه من فوق منكبه وقال

— آه ، حقا ؟ اذن اعدل عن هذه الفكرة لاننى لاناوى تركك . من الغريب

اننى اجد فيك شيئا من النائدة لى

استطرد الخادم فى حديثه فقال كما لو لم يسمع الرفض

— خطر ببالي أن اشترى منزلا عموميا فى السوق فيه ربح عظيم . نعم لم

ادخر المبلغ الكافى ولكن قلت فى نفسى انك تستطيع أن تشكرم فتعطينى الباقي

وهو نحو الف جنيه ياسيدى

فقطب تلبوت جبينه غضبا وقال

— هل مسك خبل أو هل انت سكران ؟ اذهب يا منحوس الوجه

بلل جيبون شفتيه بلسانه وقال فى توسل تقريبا

— لا أريد ان امسك باذى ... ولا أريد ان أقول كلمة .. بل سأعقد لسانى

عن الكلام مادمت حيا ، هذا اذا عاملتنى بانصاف وعدل يا مستر دنبي

لو كان تلبوت في حالة نفسية اخرى لادرك مغزى هذه الكلمات . ولكنه
كان مشتبك الفكر مرتبك العقل من جراء الرعب الذي حل في قلبه وتملكه ،
فزمجر وحمل على الرجل وضربه على شفتيه قائلاً

— ايها الكلب ! هل انت سكران ! اذهب ولا تدعني اراك حتى تعود

الى رشذك

كاد جيبون يحمل عليه ، ولكنه تملك عواطفه وغادر الغرفة ويده على

شفتيه المتألمين



الفصل العشرون

كان اهل المقاطعة فى هرج ومرج من جراء حادثة القتل فى « لين كورت »
اما رالف فكان فى سجنه هادئاً رابط الجأش ؛ ولكن كيف يمكن أن يكون
غير ذلك وامامه فيرونیکا مثال صالح ، ثم شعوره ببراءته ؟

وكان المستر سانتسبورى قد استأجر المستر صلبى ، امهر محامى المنطقة واطلقهم
لساناً ، فقابل رالف وتحدث معه ملياً قبل بدء التحقيق قائلاً

— يجدر بى أن ابادر الى القول باننى واثق من براءتك يا مستر فارنجدون ،
ولكن يجب أن اخبرك ان الادلة ضدك قوية . ومن دواعى الاسف الشديد
أن تسقط مديتك فى تلك الليلة وادعى للاسف أن يراك بعضهم مع القتل ويسمعك
فتشاحن معه .

فقال رالف

— لم اتشاحن معه . وفوق ذلك لا يطمئن المرء رجلاً اذا اتفق وتبادل معه
بضع كلمات قاسية ، واذا كنت قد فعلت هذا فانى لست غدا الى حدان ادفن
الجثة فقد كان فى وسعى أن ادعى انه كان يسرق الصيد واننى قتلته جزاء وفاقا
وفى ما كان يتكلم اذ فتح الباب ودخل هوتستون وبرشت ، فالتفت رالف
اليهما فى الحال ومد يده الى رئيس حراس الصيد فامسكها برشت وهزها ، ثم صاحفه
هوتستون على حين قال المستر صلبى

— أرى أن كليكما يشاطرنى اعتقادى ببراءته ؟

فقال هوتستون بلمهجة الاطمئنان

— نعم ، وقد جئت لارى هل استطيع القيام بعمل ما ، ولكنك قد
(م - ١٥ حكم الهوى)

توليت الامر بنفسك وليس عندي ريب انك ستبذل اقصى جهدك لخلاصه
اما برشت فلم يجد هناك ما يدعو الى الكلام فالتفت المحامى اليه وقال
- برشت ، فى من ترتاب ؟

- لا أدرى يا سيدى ، لاننى لا أعرف شيئا عن الرجل
فقال المستر سلبى

- لا بد أن له عدوا من طبقته ، عدوا لدودا . يجب أن نبحث عنم كانوا
يعاشرونه . أما انتم يا أصدقاء المستر فانجدون فعليكم أن تدخلوا السرور الى قلبه
فقال هوتستون

- سنبذل اقصى جهدنا ، ولعمري اشعر بميل شديد نحوه منذ وقعت عيناي
عليه لأول مرة

أوماً المستر سلبى برأسه ونظر الى وجه الشاب الجميل . والظاهر أن هوتستون
أدرك معنى هذه النظرة فاستطرد فى حديثه قائلاً
- ليس هذا فقط ، بل لانه يشبهه . . . شخصا اعزه . . . شخصا لا أزال
أحمل له فى قايي أحسن ذكرى

أخرج الرجل صورة مصغرة من جيب صدره ثم نظر اليها وتهد ثم ناو لها
الى المستر سلبى فنظر المحامى اليها وتفرس فيها ملياً ثم قال
- ياله من وجه جميل !

قدم المحامى الصورة الصغيرة الى رالف فتناو لها الشاب من يده ونظر اليها
ولم يلبث ان صرخ بخافة قائلاً
- هذه صورة أمى !!

امتقع وجه برشت ووضع يده على صدره وحبس انفاسه وهو يتمتم قائلاً
- لقد اصبت

على حين صاح المستر سلبى قائلاً
- امك ؟ دعنى انظر

أخذ المحامى الصورة من يد رالف على ذكره منه ثم جعل ينظر منها اليه ،
وأخيرا قال

نعم أرى الشبه . من هى ؟ آه ، لقد تذكرت ... انها حنه برشت
وقف رالف يحدق النظر الى الجميع ، فتقدم هوتستون اليه ، ولكن رفع
الشاب يده ليبعده عنه لان النفس فى مثل هذه الاوقات تتوق الى العزلة لا
الى الحنان والعطف

همس المستر سلبى فى اذن هوتستون قائلا
— دعه لى

خرج الرجلان فتحول المحامى الى رالف وقال
— كن رجلا يا فارنجدون . اننى اذكرك امك وقد ظلمت اكثر من ظلمها
دهش الرجل اذ وجد الشاب يحمل عليه جفاة قائلا
— ماذا تعنى ؟ هل تجربا على أن تاتى أقل ارتياب ... أو تلمح ... !
على أنه لم يلبث أن كتم سورة غضبه وقال فى رفق
— ان هناك خطأ يا مستر سلبى . لقد قص المستر برشت على قصة فرار
أمى — اذا كانت هى حنة برشت — ولكنها كانت متزوجة وانا ولدها الشرعى
فنظر المحامى اليه مليا وقال
— هل لديك ادلة ... شهادات ؟

دخل المستر سانتسبورى وفيرونيك عندئذ عليهما ، فلما سمع المحامى وقع
اقدامهما قال فى غضب

— من هذا ؟ ... آه ، هذا أنت يا مستر سانتسبورى ؟ كيف حالك يامس
دنى ؟ يسرنى قدومكما فقد اكتشفنا أمرا قد يكون ذا أهمية
انتظر المحامى الى أن تبادل الشاب والفئة التحية — الى أن ذهبت فيرونيك
الى رالف وقبلته مدفوعة بعوامل الحب الذى لا يعرف الخجل — ثم عاد فقال
— لقد حان الوقت يا مستر فارنجدون . والآن هل لديك البرهان ؟ هل

تحمل الشهادات الدالة على زواج أمك وشهادة ميلادك ؟

فقال رالف فى هدوء

— كلا ، فقد ضاعت

ثم قص عليهم فى كلمات وجيزة قصة وفاة امه وضياع الشهادات
وكان المستر سلبى يصغى فى اهتمام ، ولكن قبل أن يتكلم اسرع المستر
سانتسبورى — وكان ينظر الى الصورة المصغرة التى تناولها من يد المستر سلبى
فقال فى انفعال

— الا يجدر بنا أن تدعها منفردين ؟ ... ان الوقت قصير . لى ... لى معك

كلمة يامستر سلبى

خرج الرجلان ، فامسك المستر سانتسبورى — وهو لا يزال يقاوم انفعاله —
بذراع المحامى ثم جذبه إلى المر الطويل واخذ يخاطبه بلمهجة سريعة فاضطرب
المستر سلبى بالرغم من ثباته وصاح قائلاً
— يا إلهى . ليس هذا ممكناً

— بل هو ممكن . لست مخطئاً ... ولا يمكن أن اكون مخطئاً . لقد لاحظت
الشبه ولو اننى لم اتابعه فى ذلك الوقت . . اما هذه الصورة المصغرة
الآن ما العمل ؟

فاجابه المستر سلبى قائلاً

— اذهب الى اللورد لينبرو . اذهب اليه فى الحال ، لا يزال هناك وقت . ان

عربتى فى الخارج

صاح المستر سانتسبورى قائلاً

— اعطنى الصورة

ثم خطفها من يده وهرع الى الخارج

وصل المستر سانتسبورى الى الفصر فى اللحظة التى كان يتهاى اللورد لينبرو

فيها للذهاب الى المحكمة ، فلما دخل الرجل عليه احمر وجهه قليلا ثم مد اليه يده وصاح قائلاً

— جيرالد ؟ هل عدت ! ولكن ما الخبر ؟

— لدى .. لدى انباء مريعة ؟ ومع ذلك .. اجلس يا لينبرو . استحلنك بالله ان

تهدىء روعك

فقال الشيخ في حدة

— انك لا تجعلني بعملك هذا مثالا صالحا ... ولكن قل ماذا تريد ؟

جلس المستر سانتسبوري على مقعد بجانبه اعياء ثم مسح جبينه وقال في تألم

— لا استطيع ان اطلعك على الخبر ... ولكن ليس هناك وقت . هل تذكر

زواجك يا لينبرو

فكان جواب الشيخ أن قال في حزم

— وهل يدور بخلدك اننى انساه ؟

— زوجتك .. تلك الفتاة الجميلة ؟ لماذا هجرتك ؟

— لاننى لم البث ان سئمتها وتولانى الخجل من نحوها ... وقد اكتشفت

هذه الحقيقة

— الى أين ... الى اين سافرت ؟

— الى استراليا على ماعتقد . ولكن لاهمية لهذا الامر ، فقد ماتت

— ماتت ؟

— نعم فقد تلقيت نبأ وفاتها بعد سفرها الى استراليا بثلاثة شهور ، ومنذ

ذلك الوقت عانيت آلام التأنيب والندم شهرا بعد شهر بل يوما بعد يوم . وقد

ماتت حسرة لانها علمت اننى اعد زواجى بها عارا لحقى . وكانت امرأة صالحة

ضحت ... ضحت نفسها من اجلى .. وقد كتمت مر زواجنا فلم تبوح لاحد من

اهلها ولا لبرشت وهو تستون بانها كونتس لينبرو . فهل تعجب لندمى ؟

فقال سانتسبوري فى جرأة

— انها لم تمت في ذلك الوقت !

فقال اللورد بصوت مبجوح

— لا أظن ان هذا صحيح

— هي الحقيقة . فقد رأيته . . . هناك في استراليا . وقد زعمت انك توفيت

فتزوجت ثنية ولا بد انها قرأت عن وفاة لينبرو اوف هافن فزعمت خطأ انه انت

— هل . . . رأيته ؟ متى . . . منذ كم عام ؟

— بعد زواجكما بخمس سنين . وقد هجرها زوجها الثاني ولكنها لم تكن وحيدة

— لم تكن وحيدة ! من . . . من . . . ماذا تعني ؟ . . : طفلاً ؟

تحركت شفتا سانتسبوري هنيهة دون ان يسمع له صوت ، وأخيراً قال

بصوت مبجوح

— نعم . . . صبي . ولدك

وثب اللورد لينبرو واقفا على قدميه بوجه متوتر ، ثم صاح مرددا كلمات

الرجل بصوت مخنق قائلاً

— ولدى . . . ولدى ! أين . . . أين هو ! اواه ، فهمت . ستقول لي انه

مات ياسانتسبوري

— كلا . انه حي يرزق ، وقد رأيته

تقدم اللورد لينبرو الى الامام بهمة الشباب وقبض على ذراع الرجل وصاح قائلاً

— خذني اليه . . . هاتيه الي

فتعلمم سانتسبوري قائلاً

— لا . . لا أستطيع . . في الوقت الحاضر

قرع رئيس الخدم الباب ثم دخل وخاطب اللورد قائلاً

— أسألك المَعذرة يا مولاي ؟ ولكنني أخشى ان تتأخر

مر اللورد بيده على جبينه ونظر الى تلبوت وهو واقف على الباب ، وقد بدت

على وجهه صورة غريبة ، على حين قال المستر سانتسبوري وهو يفكر بالشيخ

المسكين لا بنفسه

— أريد كأسا من الحجر

ملا المستر سانتسبوري الكأس ثم نظر الى اللورد لينبرو نظرة ذات معنى
أدركها الشيخ فمال برأسه قليلا وتجرع الكأس ثم قال بصوت مبحوح
— يجب ان نذهب الان ... لا استطيع الانتظار . يجب ان تخبرنى عن كل

شئ بعد التحقيق

حار المستر سانتسبوري فى أمره ، ولم يدر ماذا يصنع ، فوقف يراقب الشيخ
وهو يسير الى العربة متكئا على ذراع تلبوت

لما جلس اللورد فى منصة القضاء نظر نحو القفص ، فالتفت عيناه بعينى السجين
وعندئذ ارتجف الشيخ وأطال النظر الى وجه رالف الشاحب الهادئ ثم الى وجه
فيرونيكا وهى جالسة تحت القفص مباشرة

قالت الفتاة نظرة الشيخ فى حزن ولم تلبث ان اغرورت عيناه بالدموع
والكنها سرعت فحولتها الى رالف وظلت تنظر اليه الى ان فرغ جرائ من تأدية شهادته
وكان الحاضرون يتهايمسون والضابط يروى شهادته ، وزعم بعضهم ان الدليل
قد قام على اذانه رالف بعد ان روى الشاهد ما يعرفه عن المدية والنزاع وهرب
رالف واختفائه بدون سبب معروف ، وعلى ذلك التفتوا الى المستر سلبي فى لهفة
والكن فى عطف قائلين ماذا لديه ياترى من الحجج التى تنفى مثل هذه البراهين الساطعة؟
قام المحامى فى تراخ ثم ثبت نظارته وقال

— لحظة واحدة يامستر جرائ . أظن انه يجدر بنا ان نسمع الشهادة المتعلقة

بالقبض على المتهم

تقدم الشرطى الذى قبض على رالف فى لندن ووقف فى مكان الشهود ، فسأله

المحامى قائلا

— هل وجدت المتهم وقد شفى توا من اصابات اصابته من جراء انقاذ فتاة صغيرة

كادت تحترق ؟

— نعم ياسيدى ، هو الرجل بعينه

— شكرا . هل ابدى المتهم مقاومة ؟

— كلا ياسيدى وقد سلك كرجل دمث الاخلاق

— هو ما تقول . لا ريب ان خافتكم قرأتكم مما نشرته الصحف مما أبداه المتهم فى

ذلك الحادث من ضروب الشجاعة والاقدام . ان والد الفتاة التى انتقدت هنا
فى المحكمة

تحولت الانظار نحو المستر سانتسبورى ثم تحولت منه نحو رالف فى اعجاب

وعطف . على حين قال المستر سلبى

— الان اصغ الى ما مستر جراى مرة أخرى بالله . لقد وجدت المديّة فوق الجثة ،

ونحن نعتزف انها مديّة المتهم ولكنك تعرفه ، فهل كان حسن السلوك اثناء اقامته
فى لين كورت ؟

— نعم كانت اخلاقه بديعة ياسيدى

— حسن . الان لننتقل الى مسألة العراك فهل قدمت شهادتك صباح اليوم ؟

ثم أين فأتى ماسون ؟

وكان تلبوت جالسا فى طرف منصة القضاء فأخرج منديله ونفخ أنفه ، على

حين أجاب المستر جراى قائلا

— كلا ، ياسيدى . لم استطع الاهتداء الى سكانها بعد فقد وجدنا المنزل الذى

أعطته عنوانا لها ، خاليا للإيجار . على اننا نجد فى البحث عنها

— آه . اذن تعتمد فى شهادتك صباح اليوم على المديّة فقط

— نعم ياسيدى

تحول المستر سلبى الى منصة القضاء فى الحال وقال

— على أنى أطلب الى خافتكم أن تصدروا أمركم باطلاق مراح موكلى ،

فقد سقطت مديته منه اثناء سفره فالتقطها رجل كان يحنق على القتل فقتله .

أن الادلة ليست قوية الى الحد الكافى يا مولاي . ان امامكم شابا سامى الاخلاق

فى عزة الشباب ، شابا قوى الجسم متهما بأنه طعن شيخا فى سن أبيه ، شيخه
اضغفه الادمان على الخمر والحمرمان . فلا ريب اننى على حق اذا طلبت إطلاق
مراحه ؟ اذ أين الباعث على ارتكاب الجريمة ؟ ان الباعث هو المحور الذى تدور
عليه التهمة ولكن لا يوجد شىء من ذلك مطلقا . لنا ان نسلم ان الباعث وقع
بين حارس صيد ولص ، ولكن الا ترون أن ضربة واحدة من يد هذا الشاب
تكفى لارسال الرجل الى حتفه ؟ فلماذا يلتجئ الى المديّة ؟ هل هذا من الطراز
الذى يرتكب جريمة تنطوى على الجبن ، وهل تسمح له شجاعته وأخلاقه الكريمة
أن يرتكب مثل هذا العمل الشائن ؟

تعالّت اصوات الاستحسان ومال اثنان من القضاة نحو بعضهما وتحدّنا همسا
فقال احدهما

— نظن انه توجد ادلة كافية لاعادة المتهم الى السجن على كل حال

افاق اللورد لينبرو من افكاره العميقة وقال

— امرنا باعادة المتهم الى السجن فهل لديه مايقوله ؟

نظر اللورد لينبرو الى رالف فقال الشاب جوابا على هذه النظرة اكثر من

جوابه على الكلمات

— اننى برىء يا مولاي . لقد تشاحنا . . .

وثب المستر سلبى كأنما أراد أن يقاطعه ولكنه عاد فاضطجع وهز كتفيه

على حين استطرّد رالف فى حديثه فقال

— ... ولكنى مرت فى طريقى لاني اردت اللحاق بالقطار بعد أن غادرت

لين كورت وقد سقت مديتى عندما كنت اقصر العصا التى حملت عليها امتعنى

وكانت الانظار متجهة الى الشاب والاذان مرهفة ، ولكن قام اللورد

لينبرو فجأة ومد يده نحو المتهم الذى كفل عنه الكلام اذ سمع اللورد لينبرو

يقول بصوت مبجوح

— من . . . من أنت ؟

حبس الحاضرون أنفاسهم ونظر أحدهما الى الآخر، وعندئذ وقف تلبوت وتقدم نحو اللورد لينبرو ولكن الشيخ أشار اليه في شتم ثم وضع يده على شفتيه المضطربتين واضطجع الى الوراء على حين قال أحد القضاة

— قررت المحكمة إعادة المتهم الى السجن . أخرجوا من في المحكمة
التف الجميع حول اللورد عطفا عليه وقتلوا وهم ينقلون رالف الى الخارج ،
فقال احدهم

— كان يجدر به أن لا يكون هنا وهو في مثل هذه السن . أن قواه لا تساعد
على احتمال هذه الصدمة

سمع اللورد لينبرو هذا القول فاستجمع قواه وأشار الى المستر سانتسبوري
وكان واقفا بجانب المحامي ثم قال وهو يلمث

— هل خمنت الحقيقة ؟ اخبرني لا تخف . الحقيقة ! اريدها الآن ... في الحال
هنا ! ... قلت انك رأيت ... ولدى ... فهل ... هو ؟

فقال المستر سانتسبوري في توسل

— ليس هنا يا لينبرو . تعال الى المنزل

— كلا . بل هنا . . . هنا !

استسلم سانتسبوري وأذعن للامر فوضع الصورة المصغرة في يد صديقه .
وعندئذ تقدم هو وتستون من بين الاشخاص الذين تركوا في المحكمة ووقف
أمام اللورد وهو يرتجف

نظر اللورد لينبرو الى الصورة المصغرة ولم يلبث أن صاح قائلاً

هذه حنة . فصاح هو وتستون قائلاً

— اذن ... اذن ... انت الذي خنت ، مهدها !

نظر اللورد لينبرو الى الرجل هنيهة ثم رفع صدره وقال

— ان هذه صورة . . . زوجتي أيها الرجل وهذا الرجل — مشيراً الى

سانتسبوري — احد شهود زواجنا

تتم الحضور دهشة . ثم ساد صمت رهيب عكس نفو جيرالدا سانتسبورى قائلا
- نعم كنت حاضراً . ثم ... ثم ... انك تكرهنى على الكلام يا لينبرو ...
لقد عرف المتهم الصورة بانها صورة أمه
فقال الشيخ بصوت مبجوح

- لقد عرفت ذلك ، لقد عرفت ذلك . انه ولدى !!
كاد اللورد يسقط على الارض لولم يمسكه سانتسبورى ، على أنه لم يلبث ان
قال بصوت ضعيف خافت
- خذونى الى قصرى ... ولدى ! ولدى !

رافق تلبوت والمستر سانتسبورى اللورد الى القصر وكان تلبوت يظهر
طول الطريق اهتماما عظيما بعمه ، ولكن رأسه كان يعمل ويفكر مدفوعا بالخطر
الذى رآه يحرق به ، فماذا يصنع يا ترى هل يظهر بمظهر العتاد والمشاكسة وينكر
شخصية رالف ويعلن حربه على هذه الدعوى ؟
ادرك تلبوت فى هذه اللحظة التى وقعت فيها عيناه على فيرونيكا فى المحكمة
انهما خطيبان - وهذه مشكلة أخرى ، فقد رفضت الفتاة يد تلبوت ووقعت
فعلا فى شرك غرام الوارث الشرعى وستتقرن به ، فهل كانت تعلم يا ترى ان
رالف هو ابن اللورد ؟

لو كان رجل آخر غير تلبوت لاظهر حقه وكرهيته ، ولكن تلبوت دنى
كان أمهر من ذلك فقبل ان تصل بهم العربى الى القصر كان قد قرر الخطة التى عول
على اتباعها

بدت دلائل الضعف والذهول على اللورد لينبرو وتملكته الحيرة فلم يدرك
حقيقة ما يدور حوله ، ولكنه أطار اذنا صماء لجميع توسلات الذين توسلوا اليه
ان يذهب الى فراشه وأصر على ان يذهب الى المكتبة ولما دخلها وصل المستر بلتون
محاميه الى القصر بعد ان تغيب عن انكلترا مدة ، فخطب اللورد لينبرو قائلا

- وصلت توا من الخارج . نعم . نعم . عرفت كل شىء فقد كان وكيلى فى المحكمة ولكن لماذا لا تستريح بامولاي ، ولماذا لم تذهب الى غرفتك ؟
- ليس هناك وقت يابلتون . وقد أموت فى أى لحظة ... قبل ... قبل ان تستقر الامور فى مجراها . اننى فى حاجة الى مساعدتك
رفع اللورد عينيه وقتئذ فرأى تلبوت فقال
- آه ، هذا تلبوت . ماذا ... ماذا تنوى عمله ؟ انك تعلم الحقيقة ... وتعلم انه ولى .

فقال تلبوت فى رزاة ادهشت الجميع
- انك خير من يحكم فى هذا الامر يا سيدى . اذ كنت تعترف بشخصيته فاننى لا احلم بأثارة النزاع او يخطر ببالى أن اعارض
نظر اللورد اليه فى حدة ثم تنفس الصعداء وقال
- انك تسلك سبيل النبل والشرف . اننى شاكر لك . لست فى حاجة الى أن اخبرك اننى سأقوم ... سأقوم بنفقاتك ، فلديك مزرعة وينفورد ... نعم ستجد ان ما يكفىكما
ارتجف تلبوت ونظر على كره منه نحو الخزينة وهو يقول فى نفسه : هل اتلف اللورد الوصية التى كتبها لفيرونیکا يا ترى ، اذا لم يكن اتلفها وأدر كته المنية سريعا ، فان هذا الشاب سيستولى على كل شىء
على انه التفت الى عمه وقال

- لا تهتم بأمرى ياسيدى ، ولا تقلق من نحوى . يجب ان تفكر ... بآبن عمى فاه تلبوت بالكلمة الاخيرة فى تكلف لاحظ السامعون الذين قالوا أن المستر تلبوت دنى سلك سلوكا شريفا غير منتظر ، على حين استطرد الشاب فى حديثه فقال
- نعم يجب ان تهتم به لانه متهم بجريمة خطيرة
فقال اللورد فى أنفة
- ولكنه برىء

- لقد أعلنت رأى ببراءته يا سيدى ولا أزال اعلنه ولكنك ... امرت
بإعادته الى السجن فمن المحتمل ان يرسل الى المحاكمة ... ثم الادلة ...
- لقد نلت ما استحق من جزاء بولتون ... سانتسبورى ... ما العمل ؟
فقال المستر بولتون فى رفق
- سنقوم بكل ما يمكن عمله لمساعدته يا مولاي . سنأنى له بأمر المحامين .
ولابد لنا من ...
- وكان المستر بولتون قد أدرك خطورة الحالة فتلعثم لسانه ، ولكنه رأى
الدكتور ثورن قادما فقال
- ها قد أتى الطبيب ، فعليك ان تتبع مشورته
فقال اللورد لينبرو ، وقد تغلبت روحه على ضعفه
- ثورن ... اريد ... اريد مقابلة ... ولدى
فقال الطبيب
- ستراه حالا ، حالا يا مولاي . لست الآن فى حالة تتمكنك من المخاطرة
بمحدث شديد الوطأة على كليكما ان الامر يتوقف عليك الآن لانك فى حاجة
فاسية الى الراحة
- فقال اللورد مرددا صدى كلمات الطبيب الاولى
- حالا ، حالا . اريد مخاطبة بولتون
خرج الجميع عدا المحامى فقال اللورد
- بولتون ... أين الوصية التى كتبتها بعد ان غادرتنى فيرونيكا ... الوصية
التي تركت فيها مالى ومزرعة ونيفورد لتلبوت ... أين هى ؟
- انها لديك فى الخزانة
- احضرها . دعنى أراها . أريد ان اعطى تلبوت ما يسد ثقاقته . خذها هى المفاتيح
فتح بولتون الخزانة ثم قال
- هاهى يا مولاي . وها الوصية التى كتبتها لآنسة فيرونيكا والتي كان

يجدر انلافها ، سامزقها الآن

رفع اللورد يده في تألم وقال

— كلا . ليس اليوم . . . بل غدا

اذعن المستر بلتون وهو يقول في نفسه ان لا أهمية لذلك الوصية الاخيرة
ترك مزرعة وينفورد وأموال اللورد كلها لتلبوت وهى نافذة طبعا ، وعلى ذلك
رد الوصيتين الى الخزانة ثانية

وكان تلبوت قد خرج مع الآخرين الذين أخذوا ينظرون اليه في صمت
وقلق ، ولكن لم يبد على الشاب أقل دليل على انه تأثر من تطورات حظه
الاخيرة ، بل بالعكس تبسم في وجوههم وقال في رزانة

— اذن حرمت الارث . ولكن اعلموا أيها الرجال اننا جميعا في يد العناية
الالهية . والآن اسألكم الممذرة لاننى أريد التمشى قليلا فى الهواء الطلق

كان من الطبيعى ان تتوق نفس تلبوت الى الانفراد والعزلة لكي يحتفل
الضربة التى أصابته . فلما مشى فى طريقه شيمه الحاضرون بنظرات لم تكن
خالية من العطف

أخذ تلبوت يمشى هيبه على « التراس » ذهابا ورجيئة ثم اجتاز المروج
ودخل الغابة وعندئذ ذكر الدفتر فقال ان الاوراق لم تعد ذات أهمية الآن لانه
ليس من الصعب الحصول على صور رسمية منها ، ومع ذلك كان يشعر برغبة
غريبة فى الحصول على الشهادات ومعرفته ما أصابها

وصل تلبوت الى مكان الحادثة ثم نظر فيما حوله فى حذر وشرع فى البحث .
وكانت اعصابه قد تحملت صدمات شديدة فى المدة الاخيرة فكان يشعر من
وقت الى آخر برعب رهيب ، والوانع كان يخيل اليه ان شبح القتل يسكن
المكان ويتمثل صوته فى حفيف اوراق الاشجار . على حين رأى فى القبر مشهدا
رهيبا تمشع له الابدان

عادت بتلبوت الذكري الى ليلة الحادثة لتمثل كل ما وقع بينه وبين الرجل من

المشاحنة والعراك الى ان تمثل نفسه وهو يحمل جثة القتيل فيدفنها في الحفرة فارتجف جسمه . على انه ظل يبحث بيد مرتجفة بين الخشائش واوراق الاشجار الجافة عن الدفن الى ان تملكه القنوط

ادرك تلبوت ان مجهوده عقيم فعاد الى النصر بخطوات بطيئة وهو يفكر في موقفه قلنا ، فرأى ان مركزه قوى الى الان ، وانه اذا فرض وقام البرهان على ان رالف فارجدون هو فيكونت دني فانه لا يزال متها بجريمة القتل . وقد تثبت ادانته ، اذ أى محلف يستطيع ان يتجاهر هذه الدلائل القوية ؟ ثم اذا فرض وثبتت براءة رالف فانه ليس ثمة شيء مطلقا يشير التاكوك من نحوه أى تلبوت . وفوق ذلك فستقبله لا يزال امامه باهرا وله مركز سياسى سام ، وقد وعد عمه ان يتكفل بذنقاته

انتقلت افكاره فجأة الى موضوع آخر — هو فاني ماسون . فقد ملتها نفسه سريعا وسئمتها تماما فطردها واغلق المنزل في غابة سانت جون وقد حاول ان يفارقها بطريقة ودية ولكن كانت سورة الغضب قد تملكها فرفضت ما عرضه عليها من القود واختفت

على انه لم يلبث ان طردها من افكاره قائلا انها لا تستطيع على كل حال ان تمسه بأذى ، ولا يحتمل ان تعود الى « لين كورت » بعد أن ادخرت جزءاً من راتبها واستولت على الحلى والمجوهرات التي ابتاعها لها — كلاً ليس ثمة ما يدعوا الى اطلاق نفسه من نحو فاني ماسون ، وانسى انها طلبت مشامد ، وان البوليس السرى يبحث عنها ويجد الآن في أثرها

لما دخل تلبوت المنزل قابض الدكتور تورن خارجا من المكتبة ، فسأله عن

عمه في قلق قائلا

— كيف حال اللورد ؟

فاجابه الطبيب قائلا

— انه قائم . وسأرسل ولفورد ليجلس معه

فقال تلبوت

— سأملكك معه

— سأحضر بعض عقاقير وسأعود بعد قليل . لا تدعه يقلق نفسه ، وإذا

استيقظ فدعه في هدوء وسلام

دخل تلبوت المكتبة خفية فوجد الشيخ مضطجعا في كرسیه الكبير ، وهو نائم نوم من يشعر بضعف عقلی وجسمانی مما ، فنظر تلبوت اليه نظرة حادة وقال في نفسه قد يموت في أية لحظة وهو في نومه هذا العميق ، فهل اتلفت الوصية التي كتبها لفيرونیکا يا ترى

تحولت عيناه هونحو الخزانة ولم يلبث ان ارتجف اذ وجد المفاتيح بها فقال ان الامر لا يستغرق أكثر من دقيقة واحدة ... فانسل الى الخزانة ففتحها في سكون فوجد بداخلها عددا من الاوراق والملفات فقلبها على عجل وفي الحال وجد أحدها وقد كتب عليه كلمة « وصية » فتناولها ونظر اليها فوجد انها وصية كتبت على اثر فرار فيرونیکا وفيها ترك اللورد له مزرعة وينفورد والنقود ، فتبسم ارتياحا ثم أخذ يبحث عن الوصية التي قبلها

أخيرا عثر عليها ولكنه سمع في اللحظة نفسها وقع أقدام في الخارج فارتجف والقي الوصيتين داخل الخزانة وهرع الى كرسي فجلس عليه في خنة . ولما تلاشى الصوت عاد الى الخزانة مسرعا وتناول الوصية التي وجدها فوق الاوراق والقها في نار الموقد فاشتعلت في الحال ، فوقف يراقبها الى ان احترقت وتحولت الى رماد فأخذ يحركه ليخفيه بين النار ، وعندئذ استيقظ اللورد من نومه وهويتهد تنهدا صميقا ثم نظر حوله في حذر وقال في ارتباك

— هذا أنت يا تلبوت

قام الشاب وذهب اليه ثم سأله في رفق قائلا

— هل أنت بخير ياسيدي ؟ هل لك ان تذهب الان الى فراشك ؟ هل تريد

حاجة اقضيها ؟

فقال الشيخ بصوت رقيق على غير العادة
— كلا . كلا . شكرا لك . ان مكثك معي مكرمة منك . لا اخالك تجهل اننى
اقدر موقفك تماما وخيبة آمالك ولكنه ولدى ياتلبوت ، ولدى

فقال تلبوت فى عطف ورقة

— نعم ياسيدى نعم . هذا طبيعى . ولكن يجب ان لا تقلق نفسك . الا تاتى معي ؟

— كلا . لى شىء أريد عمله . تعال الى بعد نصف ساعة ولا تخف على اذا

تركتنى . اذهب بالله

لم يستطع تلبوت مقاومة الامر فانصرف ، وعلى أثر خروجه قام الشيخ فى
ضعف وسار الى الخزانة فلما رأى الاوراق مبثرة فيها قطب جبينه ولم يلبث ان
وجد وصية واحدة فوضعها على المنضدة وأخذ يبحث عن الاخرى فلم يجدها فقال
هل أخذها بلبتون معه ؟ ولكن لا . انه يذكر جيدا ان الرجل رد الوصيتين معا
تناول اللورد الوصية الاخرى ثم عاد الى الموقد ونظر اليه فى دقة فوجد
آثار الورق المحترق

أدرك الشيخ حقيقة الامر فى طرفة عين فذكر ان المفاتيح كانت بالخزانة ،
وان تلبوت كان جائيا بجانب الموقد ولم يلبث ان ارتجف كأنما أصابته صدمة
وأحس بوخزة من الحزن والعار . على انه تشجع وقال

— ليكن ما أراد . لقد حفر حفرة سقط فيها كان كوكب نجس المستر تلبوت

دنى فى الصعود بلا ريب لان اللورد دنى كان يحمل الآن فى يده الوصية التى

كتبها لفيرونكا !!



الفصل الحادي والعشرون

فيكونت دنبي ! ابن اللورد لينبرو ووراثه !!
خيل الى اصدقاء رالف وهم في فندق القرية أن هذه حقيقة يتعذر تصديقها
ودار الحديث بينهم وحمى وطيس الجدل
وكانت فيرونيكا جالسة بوجه متورد ، تلمع عيناها بنور الابتهاج والنفخ
فقالت بصوت خافت
لما وقعت عيناى عليه لأول مرة لاحظت انه يختلف عن الرجال الذين تظاهر
بانه من طبقتهم ، ولكن هل يعلم أنه ... ؟
وكان المستر سلبى قد غادر رالف توا فhez رأسه قائلاً
— كلا . لقد نقل من المحكمة قبل أن يتكلم اللورد ، ولم اخبره بحقيقة اصله
الى الآن لاننى لم ارد إثارة عواطفه بهذا النبأ الجديد . فى وسع الانسان أن
يعتمد على قولك يامستر سانتسبورى طبعاً ثم هناك الصورة المصغرة . وقد اعترف
اللورد به ولكن لايسعنى الا القول انه اذا اختار المستر تلبوت دنبي النزاع ..
hez الرجل منكبيه وعاد فقال
— امامنا امر اهم من هذا بكثير . فقد اعيد المستر فارنجدون ...
فقاطعه المستر سانتسبورى قائلاً
— لورد دنبي
— أسألك المَعذرة . فقد اعيد اللورد دنبي الى السجن ، متها بجرمة القتل عمداً
نظرت فيرونيكا اليه سريعاً وقالت
ولكنك قلت انه يجدر اطلاق سراحه ؟
— هذا مايجب على قوله يامس فيرونيكا ولو كانت الادلة ضعف ماهى عليه
الآن . واذا كان لابد لي أن اتكلم فى صراحة ...

كانت فيرونيكا شاحبة الوجه الآن ، فالتقت عيناها الساحرتان بعينيه في شجاعة وتمتت قائلة

— نعم ، نعم ... أى نعم تكلم فى صراحة بالله
— اذن لا بد لنا من اكتشاف الرجل الذى اقترف الجريمة اذا كنا نريد
اطلاق مراحه

فقال المستر سانتسبورى

— ربما قتله احد اللصوص وهو يحاول سرقة .

فهز المستر سلبى رأسه وقال

— ان الرجل افقر من أن تطبق عليه هذه النظر . كلا . لقد قتله شخص
مالديه اسباب قوية تحمله على التخلص منه
فقالت فيرونيكا على الفور

— ليست هناك اسباب تحمل رالف على قتله

— هذا صحيح ، ولكن المعروف انه تنازع مع الرجل فقد سمعه بعضهم
يتشاحن معه فى الليلة التى غادر فيها رالف المزرعة فجأة وبدون سبب ظاهر .

تورد وجه فيرونيكا وقالت

— كلا . بل كانت هناك اسباب

ثم قصت عليهم بعض ماجرى فى مظلة الغابة وقد ارخت عينيها حياء
وكان المستر سلبى يصنى اليها فى اهتمام ويهز رأسه من وقت الى آخر الى أن
فرغت فيرونيكا من قصتها فقال

— حسن ! هل لك ان تودى هذه الشهادة امام المحكمة ؟

فرفعت الفتاة عينيها اليه وقالت على ثغرها ابتسامة عذبة

— نعم ، اننى فخورة بذلك

اطرق المستر سلبى مليا ثم قال

— اريد أن اسمع شهادة تلك الفتاة فانى ماسون .

فلاحظ المستر سانتسبورى عليه قائلًا

- ان شهادتها ضدنا

- لا اجهل ذلك ، ولكن اذا كانت على مقربة من مكان الحادثة فانه يمكن

أن تكون قد رأت شخصا آخر ... ماذا جرى ايها الانسة فيرونيكا

وكانت الفتاة قد صاحت صيحة خافتة عند سماع قوله فقالت

- لا.. شئ

على أن شفتيها كانتا ترتجفان ويدها تشددان الضغط على صدرها ، ولا عجب

فقد ذكرت فيرونيكا انها شاهدت شخصا آخر ليلة الحادثة هو تلبوت دني

وكان المستر سلبى يراقبها بعينيه الحادثتين من طرف خفي ولكنه لم يقل شيئًا

نزل اللورد لينبرو فى صباح اليوم التالى مبكراً بالرغم من اوامر الطبيب

المشددة بان يلزم السكون والراحة ، يتبعه خادمه ولقورد حاملاً قبعته ومعطفه

فلما رآه تلبوت قال بلهجة الاحنجاج

- لاريب انك لاتنوى الخروج ياسيدى ؟

فرمقه الشيخ وقال فى حزم

- نعم اننى ذاعب الى ... الى ولدى

رأى تلبوت ان وجوده مع عمه يحدث تأثيراً حسناً فى نفوس الناس

فقال فى الحاح

- اذن دعنى ارافقك حتى البلدة

- شكراً لك . اننى افضل أن اكون منفردا

وكان الشيخ يحتد على الرجل الذى شاءت نفسه الوضيعة ان يفتح خزانته

خفية ويتلف الوصية ولكنه لم الصمت وقال انه نال جزاء غدره وانه سيعرف

الحقيقة يوماً ما

لما مرت العربّة من امام الفندق ، اتفق انه كانت فيرونيكا خارجة ، فوقفت

وقد تورّد وجهها ثم امتنع ونظرت فى حزن الى عمها الشيخ وهو جالس فى زاوية

العربة بجسمه النحيل . فلما رآها ارتجف كأنما نسيها . والواقع لم يكن في رأسه مجال لغير الابن الذى وجده . على انه اوقف العربة و اشار اليها ، فجاءته مسرعة وقد مدت اليه ذراعيها ، مخاطبها بصوت خافت قائلاً

— هل لك أن تركبى معى ؟ اننى ذاهب ..

ركبت فيرونيكا وجلست بجانبه فلزم كلاهما فسمعت هنيهة الى أن قال

اللورد فى النهاية

لقد كنت اكثر حكمة منى يا فيرونيكا . يقولون أن الدم يحن وأن صوت الطبيعة يسمع نفسه والكنى كنت اعمى وأصم ومع ذلك لما وقعت عينائى عليه لأول مرة رأيت فى وجهه وصوته ما حرك عواطفى فى قلبى

فقات الفتاة فى عطف

— نعم اذكر ذلك ، واذكر كيف حدثت النظر فى وجهه

— نعم ، وقد ذكرت فى أوقات اخرى انه يشبه ... يشبه ...

فتمتمت فيرونيكا قائلة

— ان صوته يشبه صوتك تمام التشابه وقد رأيت ذلك الان

فقال الشيخ فى لهفة

— هل تعتقدين ذلك ؟ نعم ، نعم هو ما تقولين . والمؤلم اننى ابعده عنى .

على انك خلصت له يا فيرونيكا . انى شاكر لك فضلك . يجب أن تعودى الى

القصر يا فيرونيكا

سكنت فيرونيكا هنيهة ثم هزت رأسها وقالت

— كلا . ليس قبل أن ...

فقاطعها اللورد فى قلق قائلاً

— انك لا تظنين ... هل يرتاب احد فى براءته ؟ انه ابنى يا فيرونيكا كيف

يكون ابنى مقترفا لجريمته ... القتل !

فقات الفتاة فى رفق

- ليس مذنباً... ولكن يجب ان نبحث عن المجرم
فقال الشيخ فى انفعال

- لا بد من البحث عنه والعثور عليه . لن يترك حجر على حجر ولن
يضن بمال

فقال فيرونيكا

- لم يضر أحد بمال

جفل اللورد من هذه الكلمة ولو انها كانت خالية من كل تأنيب وقال
- سينظر بولتون فى الامر ، أواه... ماذا يستطيع عمله ؟

فغادرته فيرونيكا عند باب السجن وقالت
- سأراه فيما بعد

امر اللورد الحوذى ان يعود بالفتاة الى الفندق ، وفيما كانت تنزل من العربة
اذ وصل تلبوت را كبا دوكارا . وكان اُقد تملكه القلق فلم يستطع البقاء فى
القصر ، فجاء على أمل أن يستقى شيئاً من المعلومات عن القضية ، فلما وقعت عيناه
على الفتاة صاح قائلاً

- فيرونيكا ، اننى فرح برؤيتك . ما أقسى هذا الحادث المريع !

مست الفتاة يده باصابعها ثم وقفت صامته فقال تلبوت بلهجة خافتة ذات معنى
- انه حادث قاس لجميعنا لاسيما لك . لست فى حاجة الى ان اؤكد لك عطفى

يا فيرونيكا أو اننى أتمنى لك كل سعادة . لا ريب ان براءة المستر فارنجدون ...
المستر دنبي ... ستتحقق مما قريب

فرفعت فيرونيكا عينيها الى عينيهِ اللتين تجلّت فيهما ابتسامة كاذبة وقالت

- نعم سيعلو الحق وسيزهق الباطل يا تلبوت ان هذا مثل سائر ولكن فيه

سلوتنا وعزأؤنا

- نعم . نعم . ان الادلة ...

فقاطعته فى الحال قائلة

— قد تكون هناك أدلة أخرى وستكون هناك أدلة أخرى . يحتمل ان يكون هناك شخص ما كان في الخارج تلك الليلة ، رأى أو سمع شيئاً قد يؤدي الى اكتشاف القاتل

فقابل تلبوت نظرتها في رباطة جأش وقال

— ليكن هذا أملنا . ياله من حادث مدهش من الغريب اننى كنت نويت الخروج في تلك الليلة للتمشى في ناحية الغابة ، وفعلنا نزلت سلم «التراس» ولكنى عدلت في اخر لحظة وعدت الى القصر ، فياليتنى واصلت السير في طريقى لم ترتجف فيرونیکا ولكنها ظلت تنفرس في وجهه بعينى المرأة الثابتين ، الى ان سأها تلبوت قائلاً ...

— لماذا تقيمين في هذا الفندق ؟ لماذا لا تعودين الى القصر ؟

فهزت الفتاة رأسها ، كما هزتها من قبل عند مادهاها اللورد ، وقالت

— سأبقى هنا على مقربة من رالف الى ان تتحقق راءته ويطلق سراحه

دخلت فيرونیکا الفندق دون ان تقوه بكلمة أخرى ، وصعدت الى غرفتها وهناك جلست على كرمى اعياء وغظت وجهها بيديها وجعلت تفكر قائلة : لماذا روى لها تلبوت هذه الا كذوبة لماذا قال لها انه لم يغادر القصر تلك الليلة ؟ لقد رأته بعينى رأسها ، فهل التجأ الى الكذب لانه لم يشأ ان يكون شاهداً ، وان تكون له علاقة بالمحاكمة ؟

تساورها شك غامض من نحوه ولكن لم يلبث ان زال هذا الشك ، اذ قالت أى محرض يحمل تلبوت دبنى على قتل هذا الرجل الا فاقى ؟ لقد افترى على نفسه الكذب لانه يخشى الظهور في القضية . نعم ان هذا عمل ينطوى على الجبن ولكنها كانت تعلم منذ كسر رالف عصا تلبوت في وجهه انه جبان

قابل موظفو السجن اللورد اينبرو بما يليق به من التجلة والاحترام ، ورافقه مأمور السجن الى غرفة رالف ، على حين لم يكن في رأس الشيخ الوقور غير جملة واحدة كانت تتردد دائماً وهي قوله

— أواه ، هل اننى هنا !

كان رالف جالسا على سريره ، يحمل رأسه بيده ولم يكن يفكر بالجريمة الرهيبة التى التصقت به بل بصورة أمه وبكلماتها وهى على فراش موتها . ان أمه هى حنه برشت ، وقد اجمع برشت وهوتستون وغيرهما من الذين كانوا يعرفونها على انها ظلمت وخدعت وقد سرقت الشهادات فاصبح فى نظر العالم شريدا لا اسم له اذ من أين له ان يقيم البرهان على ولادته الشرعية ثم فيرونىكا — كيف تقترن برجل ... نعم يجب ان يتخلى عنها ويتركها

كان رالف يناجى نفسه بهذه الكلمات عند ما دخل عليه اللورد لينبروفوقف الرجلان هنيهة ينظر كل منهما الى الآخر فى صمت . وقد دهش الشاب ، ولكن لم تملكه الحيرة أو الارتباك . على انه لما رأى اللورد يطيل اليه النظر فى حزن ووجد ، وقال

— الا تجلس يا مولاي ؟ اننى آسف اذ ليس لدى غير سريرى

جلس الشيخ على السرير ثم اشار الى رالف ان يجلس بجانبه فجلس ثم ساد الصمت بينهما الى ان قال اللورد لينبرو بصوت متهدج
— هل تستطيع ان تدرك لماذا ... لماذا جئت ؟
فاجابه رالف قائلا

— كلا يا مولاي . ربما جئت لتلقى على بعض اسئلة
فانهز اللورد الفرصة وقال

— نعم نعم . حول وجهك نحو الضوء ... آه

تنفس الشيخ وقال

— اريد أن اسألك عن حياتك الاولى ... عن أمك

فقطب رالف جبينه بحالة جعلت وجهه شديدا بوجه الشيخ الجالس بجانبه

ثم قال

— عن أمى ؟ ماذا تريد معرفته عنها يا مولاي ؟ لقد كانت أما صالحة وامرأة

طاهرة ، وقد عاشت عيشة مملوءة بالمتاعب والاحزان ، ولعمري لا أذكر اننى رأيتها تبسم مرة

سكت رالف هنيهة ثم عاد فقال

— وقد عشنا معاً الى ان ماتت . ماذا تريد معرفته فوق ذلك ؟

وكان اللورد لينبروا مطرقاً وقد عقد يديه واتكأ على عصاه ، فقال

— اريد أن تحدثنى عن ابيك

— لا أعرف عنه شيئاً يا مولاي ، فقد مات وأنا طفل صغير . وقد أرادت

أمى ان تحدثنى عنه ليلة وفاتها ولكن .. سبق السيف العذل

وهنا انحبس صوت رالف وحول وجهه جانباً . على انه لم يلبث ان تملك

عواطفه فقال

— وقد اخبرتنى ان لديها « قصة » تريد ان تقصها على ، وان لديها شهادات

تثبت زواجها ونسبى الشرعى ، ولكن لما ذهبت لاحضرها بناء على رغبة لم أجدها

فقال اللورد

— إذن لا تعرف عن ابيك شيئاً ... من هو ، ولا ماذا كان ؟

فقال رالف فى حزن :

— كلا . ولكنى سمعت بعد وصولى هنا بقصة اخت برشت ، وأمس رأيت ..

رأيت صورة أمى . لقد كانت هى حنة برشت بلا ريب أما ابى ...

نظر اللورد لينبرو اليه فى حنان وشوق ثم قال بصوت خافت

— هل تفرح إذا علمت انه حى ؟

حملق رالف وتقلصت شفاته وقال

— ولكنه هجر أمى

— كلا . كلا . لقد زعم انها ماتت

فتحول رالف اليه فى الحال وقال

— هل تعرفه ؟

— نعم ، اصنع الى ولا ... ولا تكن فى حكمك قاسيا عليه . لقد لقي ابوك
امك وهى شابة صغيرة ، وكان ارفع منها مكانة فرأى ان الزواج الملقى بهامستحيل
لاسباب كثيرة فتزوجا سرأ
فتمتم رالف قائلا :

— شكراً لله ولكن لماذا هجرها ؟
— لم يهجرها ، ومع ذلك كان فراقهما لغلطة ارتكبها هو ، فقد كان رجلا
ضعيفا شديد الكبرياء ، فسئمتها نفسه وملتها . نعم يجب أن اقص عليك كل
شئ دون تحفظ لان هذا حقك ، وقد أدركت امك من سلوكه انه يعتقد أن
زواجهما غلطة ثم ...

فقاطعه رالف وقال فى حزن شديد
— لقد فهمت . لقد تكلمت عن كبريائه ولكنك نسيت ان أمى كانت ذات
كبرياء أيضاً وقد أدركت الان كيف انها لم تطق معاشرة الرجل الذى رأى فى
الاقتران بها عارا

— انك تتكلم بلهجة قاسية وتحكم عليه حكما شديداً لانك لا تدري كم ندم
والدك على ما فرط منه بعد سفرها ، وكان يبحث عنها عند ما وصله نبأ وفاتها
فصاح رالف قائلا

— إذن كان فى وسعه أن يذهب اليها ؟
فتمتم اللورد بصوت متقطع قائلا
— علم الله كم كان يود هذا العمل لو استطاع ، فقد ظل عقرب الندم حيا فى
قلبه الى هذا اليوم

فوثب رالف واقفا على قدميه وصاح قائلا
— انك تعرفه ؟ من هو ؟ وأين هو ؟
فد اللورد لينبرو ذراعيه المرتجفتين الى ابنه وصاح بصوت متهدج قائلا :
— انه هنا . أنا هو ، أنا أبوك . ولدى . . . ولدى !

الفصل الثانى والعشرون

تغلب الفرح على قلب الاب والابن فانساها الحقيقة المؤلمة وهى انهما فى غرفة السجن ، وان أحدهما سجين متهم بجريمة القتل . وقد جلس الاثنان جنباً الى جنب مدة ، يضع الاب يده النحيلة على ركبة ابنه وقد خيم السكوت عليهما وفيما كانت عينا اللورد لينبرو تطيلان النظر الى وجه ابنه الجميل ، وجسمه القوى الرشيق ، امتلأ قلبه إعجاباً لا يقل عن ما شعر به رالف نفسه عند ما وجد نفسه ابن رجل من العظماء . ثم لم يلبث ان طارت افكاره الى فيرونیکا . والظاهر ان الشيخ عطف على افكار ولده فتكلم عنها بلهجة الرفق والحنان التى حلت الان فى قلبه مكان روح الكبرياء والبرود ، فقال مخاطباً ابنه بقلبه

— لقد غادرت فيرونیکا توأ يادنى ولعمري كانت أعظم حكمة منى كما اخبرتها بذلك . واذا خبرتني قلت لك اننى لا أستطيع ان اختار لك زوجة يسرنى لقاءها أكثر من فيرونیکا الان حبكما حب صادق ، فيالها من رواية ذات وقائع مدهشة

نظر اللورد الى ابنه ملياً ثم تبسم وعاد فقال
— أرجو ان لاتدعو الاحوال الى تأخير حفلة الزواج . أتمنى على الله ان أراك سعيداً وان أرى أطفالك يدنون حولى فقد قضيت أيامى فى العزلة الموحشة والانهزام المريع — نعم يجب ان يحتفل بزواجكما فى الحال
افاق رالف من أحلامه على صوت أبيه وهو يخاطبه بلهجة الجد والحماسة ، ولكنه نظر على كره منه الى جدران السجن ، فتبع الشيخ نظرات ابنه ولم يلبث ان ارتجف أيضاً وقال

— اواه... رحماك يا الله!.. لقد نسيت... زعمت اننا جالسين فى غرفة المكتبة بالقصر ، ونسيت تلك التهمة المريعة... ولكنها تهمة سخيفة - وهنا

تبسم على كره منه — ولكن ستثبت براءتك بلا ريب ويطلقون سراحك في الجلسة الثانية — ثم ، ضحك في سخرية وقال — يتهمونك بالقتل ! اهل يستطيع مثلك ان يرتكب مثل هذه الجريمة الشنعاء ! !

لزم رالف الصمت . وقد تأثرت نفسه لاعتقاد أبيه ببراءته ، ولكنه كان يعلم ان اثبات هذه البراءة ليس من السهل ، وانه بالعكس في مراكز حرج قال اللورد لينبرو وهو يحاول اخفاء قلقه

— الا تستطيع ان تلقى قبسا على هذه الجريمة الغامضة ؟ أريد ان تعود الى منزلك ... فان لدى أموراً كثيرة أريد ان أحدثك عنها ، ولديك اعمال عديدة تريد القيام بها . ثم فيرونيكا

ارتفع صوت الرجل وتهدج استياء من تقلبات الاقدار وهو يقول — لقد وجدتك يا ولدى ومع ذلك لا أستطيع ان أحصل عليك ، فانت سجين هنا وأنا يائس قانط الا تستطيع ان تجلى غوامض هذا السر الرهيب ؟ ضغط رالف على يداييه واجابه بصوت خافت قائلاً

— كلا ياسيدى لا أستطيع . لا يسعنا الا التذرع بالصبر والاعتماد على الذين أخذوا على عاتقهم مساعدتنا فسيبذلون أقصى ما يستطيعون — جاء مأمور السجن عندئذ الى الباب وقال

— مس دنبي يامولاى دخلت فيرونيكا تمسك آدا فى يدها ، فلما وقعت عينا الطفلة على رالف وثبت اليه وصاحت قائلة

— أيها الرجل الكبير ! لقد ارادوا منى من القدوم اليك وقالوا انك سافرت فبكيت وبكيت الى ان جاءت بي فيرونيكا معها

اجلس رالف البنت على ركبتيه ثم قبلها وكانت تنفوس في وجهه في اهتمام فقالت — ما أشد اصفرار وجهك ! وما اروع هذه الغرفة المظلمة التى تعيش فيها . لماذا تقيم هنا ؟ ولماذا لا تاتى الى الفندق الذى اظن فيه مع فيرونيكا ؟ انه أحسن

وأجل من هذا المكان

فاجابها رالف قائلا

— سأحضر عما قريب يا آدا . اننى مضطر الى البقاء هنا مدة ... لاشغال

فقال البننت عن ذكاء

— لابد ان تكون اشغالا غير سارة . من هذا الشيخ

فاجابها رالف قائلا

— هذا أبى . هل لك ان تذهبي اليه يا آدا وتقولى له كيف حالك ؟

ذهبت البننت الى اللورد لينبرو ، وكان يراقبها فى اهتمام ، ثم مدت يدها

الصغيرة اليه وقالت

— كيف حالك ؟ يسرنى ان أراك اذا كنت انت والد « الرجل الكبير »

وكان اللورد ضعيفا فاشار الى فيرونىكا ان ترفع الطفلة وتجلسها على ركبتيه

فلما فعلت نظرت آدا الى الشيخ فى غير خوف وقالت

— أظن انك تعرف من أنا ؟ أنا البننت الصغيرة التى انقذنى الرجل الكبير

من الحريق كنت نائمة فى سريري الصغير كما هى عادتى كل ليلة فشعرت بحرارة

وامتلأت الغرفة بالدخان خفت ان أحترق ، لانها مئمة صريعة كما تعلم . وقد كدت

اختنق وبدأت أفقد حواسى ولكنى رأيت الرجل الكبير يثب الى الغرفة

وينادىنى قائلا : « آدا ، أنا هو لا تخافى » . فلما سمعت صوته ذهب عنى الخوف

ثم حمانى بين ذراعيه وعندئذ فقدت جميع حواسى ولما افقت وجدت نفسى فى

الفراش . لقد انقذنى الرجل الكبير من الموت احتراقا ولكنه أصيب بجروح

شديدة ومرض مرضا عظيما مدة طويلة انه الآن أحسن حالا وقد عاد الى حالته

الاولى تقريبا عند ما كان يخرج مرمى للتمشى ويلعب معى فى المساء الى ان أنام ،

ولكن ما باله يسجن نفسه فى هذا المكان المريع ؟

اغرورقت عينا الشيخ وهو يصغى الى هذر الطفلة ، فقال رالف بصوت مبجوح

— خذها معك ياسيدى . ان هذا المكان لا يليق بوجود طفلة ... أو

بوجود أحد

ثم نظر الى فيرونیکا

مسح اللورد لينبرو دموعه خفية ثم قال

— هل لك ان تركبي العربنة معي يا آدا ؟ ربما مررنا بمخزن فيه بعض لعب جميلة

فقلت الطفلة في ابتهاج

— كما كنا نفعل عندما كنت اخرج مع الرجل الكبير ؟

ثم هرعت الى رالف فطوقت عنقه بذراعيها الصغيرتين وهمست في أذنه قائلة

— هل اذهب معي إليها الرجل الكبير ؟

فهمس في اذنها أيضا قائلاً

— نعم اذهبي معي يا آدا

فقبلته ثم عادت الى اللورد لينبرو ، فلما خرج الاثنان ويد أحدهما في يد

الآخر اقلت فيرونیکا نفسها بين ذراعي رالف وقالت

— أواه يا رالف . لقد عرفت الحقيقة الان انه اخبرك بها . كم أنا فرحة وغخورة

فضمها رالف الى صدره وقبلها قائلاً

— كذلك أنا فرح وفخور لاجلك يا عزيزتي . هل لي ان اعترف لك يا فيرونیکا

بان الفرق بيننا - الفرق بينك أنت النبيلة ذات الحسب والنسب وبينى أنا رالف

فارنجدون حارس الصيد - كان مصدراً لتعاستى وشقائى ؟

فتبسمت الفتاة في وجهه وأجابته على الفور قائلة

— كلا . لم يخطر ببالي مرة ان ارميك بمثل هذه المذلة ، ولكن ماذا ، هل

نسيت انك عاملتنى دائماً كما لو كنت دونك - وهو ما أنا عليه وسأظل عليه يا عزيزي ؟

ساد الصمت بينهما هنيئة وأخيراً قال رالف في تودة

— ولكن اصغى الى يا فيرونیکا قدأ كون الابن الشرعى للورد لينبرو ولكن

لم يقيم الدليل على هذه الحقيقة ، ثم هناك المستر تلبوت دنبي ، فهو الوارث التالى

كما تعلمين ، وسيقول شيئاً لا محالة . انه لا يحمل لى في نفسه نية حسنة ولا ريب

انه سينازعنى حتى ، ولعمري لديه ما يبرر ذلك
فقلت فيرونیکا

— ولكنه لا يفعل . لقد قابلته توا فرأيتك يتكلم كما لو كان يعترف بشخصيتك
وانه لا ينوى منازعتك

فقطب رالف جبينه فى تفكير ثم قال :

— هذا غريب . ان المستر تلبوت دنبي لا يحبنى ... هل تذكرين المشاحنة
التي وقعت بيننا بجانب النهر ؟

فتمتت فيرونیکا فى رفق قائلة

— هل تظن اننى نسيت شيئاً عنك يا رالف ؟

— من الغريب ان يتنازل تلبوت عن لقب رفيع كهذا فى رضى واستعداد
اللوردية ! لعمري اكاد لا أدرك معنى هذا اللقب وقيمته ولكننى فرح يا عزيزتى
لانك ستصيرين كوندس . أو اه !

صاح رالف فى تألم وقال

— ها أتحدث مرة اخرى عن المستقبل كما لو كنت واثقا منه . ثم ... ثم ..
جاءت شجاعة المرأة عندئذ لنجدته فطردت عنه احزانه ، فقد خاطبته فيرونیکا
فى رفق قائلة

— ولكن هذه الحال لا تطول يا رالف ، وسيملو الحق وينتصر فى النهاية
فقال الشاب وهو يخاطب نفسه اكثر من مخاطبتها

— بعد ... عند ما يقضى الامر وينتهى كل شيء

ولكن يظهر انه خجل من مخاوفه وشكوكه فقال فى الحال

— نعم ان هذا شعار جميل ومثل صادق يا عزيزتى . لا بد أن يعلو الحق
وينتصر فى النهاية

ذاع نبأ اعتراف لورد لينبرو العظيم ، بابيه رالف فارنجدون بين اهل المقاطعة

كالبرق وانتشر منها إلى لندن فاشتد الاهتمام بمحادثة القتل وزاد اضماعا مضاعفة،
فارسلت صحيف لندن مندوبها لحضور التحقيقات وغصت دار المحكمة الصغير
بالناس ، على حين كانت الجماهير محتشدة في الخارج حول المكان بحيث كان بعض
القضاة يضطرون الى ان يشقوا لانفسهم طريقا للوصول الى المحكمة

وكان اللورد لينبرو يذهب يوميا إلى المحكمة ويجلس تحت منصة القضاء
بالرغم من إلحاح الطبيب وتلبوت وفيرونيكا عليه بالبقاء في القصر ليسترخ .
وقد أثار ظهور اللورد ، بظهره المقوس وشعره الاشيب ووجهه النحيل الذابل ،
ضجة ولكن لم يشعر الشيخ على ما يظهر بروح الاهتمام التي ولدها وجوده ،
فاضجع في مقعده الى الوراء ونظر إلى القفص كأنما أراد أن ينتظر قدوم السجين
دخل رالف بعد قليل . وكان شاحب الوجه ولكنه نظر الى القاعة المزدحمة
في رباطة جأش الى ان وقعت عيناه على الشيخ الجالس تحت منصة القضاء فخافته
قواه هنيهة ، وتجلت في عينيه دلائل العطف والحنان وارتجفت شفاته ، ولكن
لم يستغرق هذا اكثر من لحظة واحدة ، اذ لم يلبث أن تملك الشاب عواطفه ثانية
فوقف مرفوع الرأس ، عاقدا يديه فوق صدره

اخذ الناس يتهايمسون فيما بينهم هؤلاء

— نعم انه يشبه اياه . انه يتف مرفوع الرأس مثل نخامة اللورد . ثم انظر

الى ثغره وعينه ، انه صورة مصغرة لابي . لا يستطيع احد أن ينكر ذلك

وكان تلبوت جالسا بجانب عمه ، فسمع همس الناس ويحدثهم بصوت خافت

فزاد وجهه نكدا على نكده

قدمت الادلة الرسمية العادية وبعد ذلك تقدم المسترجى مفقش البوليس وقال

— سأقدم الى المحكمة الشخص الذي رأى المتهم في الليلة التي ارتكبت

فيها الجريمة .

ثم نادى فاني ماسون

ارتجفت تلبوت قليلا ولكنه تملك عواطفه وتظاهر بالاهتمام على حين رد

الحاجب النداء قائلا

— فاني ماسون

تهمس الناس داخل المحكمة عند مادخلت فاني قفص الشهود وأخذوا يسألون بعضهم بعضا قائلين : ماذا اصاب الفتاة ؟ لان فاني لم تكن شاحبة اللون فقط بل كانت فوق ذلك نحيلة الجسم ذابلة الوجه رثة الثياب بعدان كانت دائما انيقة الملبس

القت فاني نظرة قصيرة على جمهور المتفرجين في المحكمة ثم ارخت عينها في الحال حياء . وقد التقت عينها خلال هذه النظرة القصيرة بعيني تلبوت دنبي فلاحظت الفتاة مافيا من توسل واستعطاف ومع ذلك لم يتأثر ، فاحس تلبوت بالخوف يدب في قلبه ولكنه قال في نفسه ان ليس ثمة ما يخشاه ، فهي لا تستطيع ان تبوح بسر علاقتهما حرصا على كرامتها وسيسعى لمقابلتها بعد التحقيق ويشتري سكوتها بالمال

اجابت فاني على السؤال الذي وجه اليها بصوت خافت وهي تنظر عطفيا الى وجه رالف الجليل كانما أرادت ان تقول له انها تقدم شهادتها في تبرم وعلى كره منها . ثم همت بمغادرة المحكمة فاوقفها المستر سلمي فاشارة من يده قائلا

— لحظة واحدة . أريد أن اتى عليك بعض اسئلة . فتروى وأجيبني في تودة وحذر . لا أخالك تجهلين أن هذا الشاب — مشيرا الى رالف — متهم بجريرة القتل عمدا ، وأن شهادتك على أعظم جانب من الالهمية والخطورة ، فعليك أن لا تقولى الا الحق ولا تشهدى بغير الحق

فقاتلت الفتاة بصوت يكاد لا يسمع

— لقد قلت الحق

فاجابها المحامي في هدوء قائلا

— لا أجهل ذلك وأطلب اليك أن لا تحيدى عن الحق . الا زهدنى روعك

(م - ١٢ حكم الهوى)

واعلمى اننى لا أريد أن أقلقك أو أثقل كاهلك أكثر مما يجب
ارتجفت الفتاة واضطربت يداها اضطرابا ظاهرا وهى تمسك بحافة القفص ،
على حين سأها المحامى قائلا

— وجدك البوليس السرى الذى أرسل للبحث عنك ، انك تقيمين فى
غرفة استأجرتها فهل لم تكونى فى وظيفة ؟
— كلا يا سيدى

وكان تلبوت يصنى فى ثبات ، فتعلم الآن فى مكانه ليلفت نظر الفتاة اليه
وينظر اليها نظرة ملؤها التحذير ، على حين سأها المحامى قائلا
— لماذا تركت وظيفتك التى سافرت من هنا من أجلها ؟
فاجابته بصوت خافت قائلة

— لم اكن . . . سعيدة . ولم ارتح إليها
فقال المستر سلبى بلهجة التشجيع قائلا
— حاول أن تتكلمى بصوت مسموع . لا تخشى شيئا مادمت تذكرين
الحقيقة ، الحقيقة كلها . . . اين كانت تلك الوظيفة ؟

فكان جواب الفتاة أن قالت
— فى . . . فى سانت جونز وود
كرر المستر سلبى كلماتها بلهجة رقيقة قائلا

— فى سانت جونز وود . حسن وماذا كان عنوانك ، وما اسم سيدتك ؟
التوت شفتا فانى ورفعت عينيها فى توسل الى القاضى وقالت بلهجة مؤثرة
— هل لا بد لى من أن أجيب على هذا السؤال ؟ وهل انا مكرهة على ذلك
لقد رويت لكم كل ما أعرفه ويحزننى اننى اضطرت الى ذكر ما قلت . لا أريد
أن أمس المستر فارنجدون باذى وهو يعلم ذلك لانه كان يعاملنى دائما فى رفق
وحنان . أواه ، ليتنى لم أذهب ! هل لا بد لى من الاجابة ؟
فقال اللورد سانتسبورى فى جد

— نعم يجب ان تجيى

وقال المستر سلبى فى رفق

— نعم ، لماذا تخافى ؟

ذكرت فانى لهم اسم المنزل ثم سككت ، فأصر المستر سلبى على سؤاله قائلاً

— ما اسم السيدة ؟

فقال الفتاة فى النهاية

— لم . . . لم تكن هناك سيدة . كنت . . . كنت . . . كان منزلى . . .

ولم أكن فى وظيفة

حدثت ضجة فى قاعة المحكمة ، وأخذ الناس ينظرون الى بعضهم بعضاً فى

دهشة وارتباب ، على حين نظرت لبوت الى مدخل القضاة كأنما خطرت بباله فكرة

الهرب ولكنه تغلب عليها وجلس جامدا لا يتحرك بوجه مكفهر مضطرب

قال المحامى

— اذن لم تسافر الى وظيفة ؟ ولكن هل ابلغت أهلك انك ذاهبة الى

منزل خاص لك ؟

فاجابته الفتاة بشفتين مضطربتين قائلة

— كلا

سكت المستر سلبى اذ ادرك انه سيكشف النقاب عن قصة فيها أعمال شائنة

منحجلة ، ولكنه رأى ان حياة موكله فى خطر مريع ، وان عليه ان يستخلص

الحقيقة منها وعلى ذلك سألها قائلاً

— لست غنية بحيث تستطيعين امتلاك منزل . . فمن اتخذه لك ؟

غطت الفتاة وجهها بيديها ثم تأوهت قائلة

— اواه ، لا أجيى . . لا أقول

فقال المحامى فى حزم

— ولكن يجب ان تجيى . لقد عشت فى منزل سانت جونى كسيدة فمن كان . السيد ؟

ساد صمت عميق لم يعكره غير انقاس الجمهور المضطربة ، فقال المستر سلبى
— هيا . اخبرينا فى الحال . كلما بادرت الى الجواب استطعت الخروج انتظري
اذا كان حضرات القضاة يسمحون . فلك ان تكتبى اسم الرجل الذى أخذ المنزل لك
تداول القضاة هنيهة ، وأخيراً قال اللورد سانتسبورى
— من رأينا ان هذا يكفى

أخذ الكاتب قطعة من الورق وقدمها الى الفتاة ثم أوضع القلم فى يدها
المضطربة فكتبت فانى الاسم بعد ان ألقت نظرة قصيرة نحو المستر تلبوت دنبى
تناول الكاتب الورقة وقدمها الى المستر سلبى ، فلم يرتجف الرجل عندما قرأ
الاسم ولم يرفع عينيه عن الورقة هنيهة ولكن شدد الضغط على شفتيه .
وقف المحامى دقيقة كاملة يحدق النظر الى الاسم ثم قدم الورقة الى القضاة
فلما وقعت أعينهم على الاسم تبادلوا النظرات ولم يفه أحد بكلمة الى ان قال المستر
سلبى بصوت رزين

— هل تتسمين ان هذا اسم الرجل ؟

— نعم

— ولماذا غادرت سانت جونس وود ؟

فقالت الفتاة بصوت تحنقه العبرات

— تشاचना ... فقد اخبرنى ... انه ملنى ... فتركته . وقد عرض على نتودا

رفضتها . وكان معى بعض النود فاستأجرت الغرفة التى وجدونى بها ... اواه ،
لقد اخبرتكم كل شىء ... فدعونى اذهب بالله ! بالله دعونى اذهب . ان المستر
تلبوت يعرف ان هذه هى الحقيقة .

باحث الفتاة بالاسم بدون روية احدثت ضجة اخرى فى المحكمة ، ولما

اتجهت الانظار الى تلبوت وقف وقال بلمهجة الاحتقار

— ارى أن الفتاة كتبت اسمى على الورقة . اننى اربأ بنفسى عن أن اكلفها

مشقة الدفاع عن تنسى وانكار هذه التهمة لان هذه ليست باول مرة حاولت فيها

امراة ساقطة الاحتماء بشخص برىء

فقلت فانى وهى تلهث دهشة وحنقا

— هل ... هل ينكر ذلك ؟ انه يعلم أن ماقلته هو الحقيقة . فقد اغراني

على الذهاب معه ووعدنى ... فصدقته اواه ، هذه هى الحقيقة

تحولت الفتاة الى المستر سلبى وقد عقدت يديها فوق صدرها وقالت

— انظر اليه ... انظر الى وجهه .. ان المستر تلبوت دبنى نفسه هو

الذى اخذنى .

زجر جمهور الحاضرين غضبا لان فانى ماسون كانت من اجل فتيات المقاطعة

كلها وقد تودد اليها كثير من الشبان الذين شهدوا الجلسة . وقد كانوا ينظرون

منها اليه ذكروا انها كانت فتاة مليحة ، كثيرة الضحك ، خفيفة الروح ،

فصارت الآن .

حول رالف عينيه نحو فيرونيكا ، فقرأت الفتاة معنى نظراته فقامت فى صمت

وهدو وذهبت الى قفص الشهود فامسكت فانى ماسون بذراعها وقادتھا الى

خارج المحكمة

وكان اللورد لينبرو قد اضطجع فى مقعده الى الوراء اعياء وغطى وجهه

بيده ، على حين نظر القضاة امامهم مباشرة ، تتجلى على وجوههم دلائل السخط

الشديد والغیظ ، اما تلبوت دبنى فقد دار بعينه فيما حوله هنيهة ثم هز منكبيه

تحديا وخرج من الباب الخاص ، فتبعه بعض الرجال ولكن منهم الشرطى . ثم

حدثت ضجة ولكنها هدأت بعد قليل واستؤنفت القضية

وضع برشت بعد ذلك فى قفص الشهود ليقيم الدليل على وجود المديّة ثم

جىء بشهود الاتهام الآخرين ولكن المستر سلبى لم يعرهم اهتماما وجلس يحرق

النظر الى جدار الغرفة المقابل له كما لو كان غارقا فى لجة عميقة من الافكار ، الى

أن ارتجف عند ماسمع القاضى يسأله قائلا

— هل لديك شهود يا مستر سلبى ؟

فقام المحامى وقال

— نعم ، الآنسة فيرونيكا دنى

ارتجف اللورد لينبرو واحمر وجهه تألما على حين نسى المتفرجون فضيحة فانى

ماسون وحولوا عينهم الى قصص الشهود فى شوق ولهفة

توقفت الاعمال هنيهة ، وأخيرا دخلت فيرونيكا قاعة المحكمة بعد ان سلمت

فانى الى امها وتوسلت اليها ان تصفح عن زلة الفتاة . وكانت فيرونيكا شاحبة اللون

ولكنها نظرت بعينها الجليتين الهادئتين الى رالف وعلى ثغرها ابتسامة عذبة ملؤها

التشجيع ، فقابل الشاب نظرتها فى حنان وحب . وكان قد توسل وتضرع ان

تشفق عليها الاقدار وتكفيها شر هذه اللحظة الرهيبة ولكن اما وقد واجهتها

فقد أقسم قلبه الان امتنانا واعجابا

وقفت فيرونيكا فى قصص الشهود . فخاطبها المستر سلبى فى رفق قائلا

— مس دنى . تعلمين ان المتهم غادر « لين كورت » فجأة وبدون أسباب عادية

معروفة كما يقولون الاتهام ، فاطلب اليك ان تلقى علينا معلوماتك دون سؤال منى

قصت فيرونيكا بصوت متهدج كيف فأتحمها رالف بفرامه وقبولها حبه وتدخل

اللورد لينبرو فلما فرغت من قصتها سأها المستر سلبى فى رفق قائلا

— وهل وعد اللورد دنى — رالف — ان يغادر المزرعة اجابة لتوسلات

اللورد لينبرو ؟

— نعم فعل وقد أقام بعمله البرهان على شهامة نادرة ونبيل يثير الاعجاب

تمالت أصوات الاستحسان على حين قالت احدى النساء — انها تحبها جدا صادقا

سأها المستر سلبى قائلا

— لدى سؤال آخر يامس دنى وهو : هل كنت خارج القصر ليلة ارتكاب

الجريمة ، أى فى الليلة التى غادر فيها اللورد دنى المزرعة ؟

فاجابته الفتاة فى شىء من الاضطراب قائلة

— نعم كنت

— لأى غرض ،

فارخت فيرونيكا عينيها ، ولوانها ظلت مرفوعة الرأس وقالت

— لارى رالف ... اللورد دنى

— لتريه ... لماذا ؟

— لكى اخبره اننى لأطيق الاقامة فى القصر اذا سافر ، ولكن ... ولكن ...

انحبس صوت الفتاة هنيهة ولكن لم تلبث ان استطردت فى حديثها فقالت

— ... ولكن اطلب اليه ان يتزوج بى ويأخذنى معه

تعالت أصوات الاستحسان مرة أخرى ، وقالت المرأة عينيها

— آه ، ها انظروا الى هذا البرهان الساطع على شجاعة المرأة . انها تقف

بجانب رجلها

فسألها المستر سلبى قائلاً

— وهل قابلته ؟

— كلا ، لانه كان قد ذهب

— وهل غادرت القصر فى صباح اليوم التالى ؟ ولماذا ؟

— لاننى لم استطع التمتع فى القصر والتمتع بعميشة الرخاء وهو بعيد عني يكافح

متاعب الحياة فسافرت لابلحث عنه

— وهل وجدته ؟

— نعم وجدته وهو ينقذ طفلة صغيرة من الحريق معرضا حياته للموت

تعالت عندئذ أصوات الهمتاف ، ولما ساد السكون ثانية سأله المستر سلبى قائلاً

— بقى لدى سؤال واحد وهو الاخير . .. فهل رأيت شخصا آخر تلك الليلة ؟

حارت فيرونيكا فى ادراك معنى هذا السؤال على انها اجابته قائلة

— نعم

فقال المحامى فى انفعال

— اين ؟

— بين الغابة الغربية والقصر

مال المستر سلبى الى الامام ، وهو ينظر بعينيه البراقتين منها الى القضا
وسألها قائلاً

— ومن هو ؟

نظرت فيرونيكا الى الكرسي الذى كان تلبوت جالسا عليه وقالت

— المستر تلبوت دنبي

أخنى المحامى رأسه وأشار اليها أن تغادر المكان ثم نظر فى الحال الى
القضاة وقال

— ادعوا المستر تلبوت دنبي

نادى الحاجب الامم وردده الجمهور ونادى به الشرطى فسمعه تلبوت نفسه
وهو واقف على باب غرفة القضاة ، فارتجف وهم باجابة الدعوة ، ولكن تملكه
الخوف فجأة على ما يظهر فتوارى فى الحال حول زاوية المكان وكانت عربية
القصر فى الانتظار فركبها متظاهرا بالتعب ثم خاطب الحوذى قائلاً

— الى القصر ، من فضلك

لم يلب احد النداء المتكرر ، وأخيرا خاطب مفتش البوليس القضاة قائلاً

— لم نجد المستر تلبوت دنبي

فقال المستر سلبى فى الحال

— اذن اطلب اطلاق مراح المتهم

مال اللورد سانتسبورى برأسه ثم أمر بالاخراج عن المتهم ، فسارت فيرونيكا
عندئذ الى القفص بعد أن أفسح الجمهور لها الطريق عطفاً ، فمد رالف اليها كلتا
يديه فتناولتهما وتعلقت بهما



الفصل الثالث والعشرون

حاول تلبوت ان يتملك عواطفه ويسترد ثباته والعربة تسير به بسرعة الى القصر وقد أدرك انه لم يسلك سبيل الحكمة بهربه مثل . . . مثل لص مجرم ، ولكنه وجد أن الامر قد قضى الآن ، وانه لا يستطيع الرجوع . والآن ليس عليه إلا أن يصل الى المنزل ويسافر حالا الى لندن ، ثم فى وسعه ان يلتمس لنفسه المعاذير على سفره الفجائى ، على حين يستطيع فى لندن ان يجد وقتا للتفكير ومواجهة الحالة

صعد تلبوت درجات التراس مسرعا ولم يكذب باغ نهايتها حتى التقى بخادمه جيبون الذى كان واقفا ينظر اليه فى اهتمام شديد بعينيه الباهتتين وهو يسير فى الممر

قال تلبوت

— هذا أنت يا جيبون ؟ هيء حقيبتى ومر باعداد العربة — عربة مغلقة — لنقلنا الى المحطة لاننى دعيت الى لندن فى مهمة خطيرة جدا

فقال الخادم

— نعم يا سيدى . ولكن ليس ثمة قطار قبل منتصف الساعة الخامسة ياسيدى فصاح تلبوت قائلا

— اطع أوامرى وعجل بتنفيذها . انك تتلصكأ حول المكان كحيوان ثقیل رخو

نزل جيبون وبعد قليل سمعه تلبوت — وهو يتمشى فى غرفته فلما ، يحاول عبثا أن يسترد ثباته العادى ، ويؤكد لنفسه انه ليس فى خطر ما — يحزم الامتعة فى الغرفة المجاورة . وقد استغرق الخادم فى مهمته هذه مدة طويلة ولكنه

دخل الغرفة وخاطب سيده قائلاً

— لقد حزمت امتعتك يا سيدي والدوكار في انتظارك

التفت تلبوت وحمل على خادمه في وحشية ولا عجب فانه لا توجد سورة

اشد ولا أقوى جماحا من الخوف . ثم صرخ في وجهه قائلاً

— ايها الكلب الاحمق ! لقد أمرتك باعداد عربة مغلقة . اذهب ومرم

بتهيئتها . يجب أن تترك خدمتي بعد شهر منذ الآن لكي لا تمضي مدة وجيزة

حتى تجد نفسك في السجن ثانية . اذهب من امامي

لما خرج جيبون ، أخذ تلبوت يتمشى في أرض الغرفة ذهاباً وجيئة . فمضى

نصف الساعة ولم يحضر الرجل على انه لم تمض مدة وجيزة حتى سمع تلبوت عربة

تقف أمام مدخل القصر ، فأطل من النافذة فرأى اللورد لينبرو ، فعرض شفته

ثم تظاهر بالثبات وزل يحمل غلافا قديماً لرسالة برفية وخاطب اللورد قائلاً

— ارجو أن تصفح عني لانني أخذت العربة يا سيدي ، فقد تلقيت أثناء

وجودي بالمحكمة تلغرافاً من رئيس الحزب ، ولا بد لي من العودة الى لندن في الحال

وكان اللورد لينبرو قد وصل الى المكتبة وجلس على كرسيه اعياء وضعفاً ،

وفيما كان تلبوت يتكلم كان الشيخ مطرقاً ، يحدق النظر إلى البساط كأنما لم يجد

من نفسه القدرة على ان يرى الرجل الذي كان يعده ، الى زمن قريب خليفته ووارثه

أخيراً رفع اللورد عينيه وقال بصوت ينم على العار الذي يحس به ، والصدمة

التي احتملها من جراء المشهد الاخير

— اظنك ستفاد القصر لآخر مرة

فقال تلبوت بلهجة المتألم

— انك لا تعنى ... لا ريب انك لا تنوى العراك معي يا سيدي؟

فأبرقت عينا الشيخ وصاح قائلاً

— عراك ! كلا . يوجد بعض اناس لا يستطيع الانسان ان يتنازل الى عراكم

ولكن «لين كورت» لم تأو الى الان نذلاً كذاباً

فتظاهر تلبوت بمظهر من جرحت كرامته وقال

هل نسيت من تخاطبه ياسيدى ؟ لاريب انك لاتجهل شئون العالم الى درجة
لاتدرى معها ان فتاة ساقطة مثل فانى ماسون لا يستطيع أحد تصديقها . اليس
من الحوادث العادية المألوفة أن تلقى مثل هذه المرأة اللوم الذى تستحقه لسوء
سلوكها ، على رجل اعلى منها مكانة حتى يلتمس الناس لها المعاذير ؟

فقال اللورد لينبرو فى جد

— لقد نطقت الفتاة بالحقيقة ، ولم يرتب احد ممن سمعوها فى صحة روايتها

فقال تلبوت هازئاً

— كذلك لا يرتاب فيها احد لو عزت سقوطها عن عرش الفضيلة والعفاف

الى رجل آخر ... ولنقل المتهم

فصاح اللورد قائلاً

— هل تسب ولدى ؟ انه لا يستطيع الاقدام على مثل هذا العمل الشائن

فقال تلبوت فى رباطة جأش

— ليكن ماتقول ياسيدى ، ولكن لماذا تظن اننى استطيع خيانتها ؟

مال الشيخ الى الامام وهو مقطب الجبين وقال

— لان اللص يستطيع الاقدام على كل شئ

— اللص

— نعم اللص . ماذا تسمى الرجل الذى يسرق وصية من خزينة ثم يحرقها ؟

امتقع وجه تلبوت وارتجفت شفاته على حين استطرد اللورد فى حديثه فقال

بلهجة السخرية

— ان اللص دائماً أحمق ، ولكنك أعظم الجميع حماقة وجهلاً لانك لم تتحقق

من ان الوصية التى حرقها هى الصحيحة . . خرقت الاخرى

طارت عينا تلبوت الى الخزينة وتلعثم قائلاً

— هناك . . هناك غلطة ما ياسيدى

— نعم انها غلطة . ولكن لا بأس . انك ذاهب الآن . لقد مضى على وقت طويل لم اصل فيه ولم أتوسل ، ولكنى أنضرع الآن الى الله ان لا أرى وجهك مرة أخرى

ابرت عينا تلبوت فى وحشية ولكنه كبح جراح عواطفه وقال وهو يتنهد .
— انك ظالم ياسيدى . سأ كتب اليك من لندن . . . لاننى لا اجراً على البقاء هنا . . واطلب اليك ان تظل خالى الذهن الى ان تسمع دفاعى

ثم خرج وكانت العربى فى انتظاره فركبها
لما وقفت العربى عند مدخل المحطة فتح جيبون الباب وخاطب سيده قائلاً
— سننتظر أكثر من ساعة ياسيدى

فنظر تلبوت الى ساعته وقال كما لو كان يخاطب كلباً
— احضر التذاكر

صعد تلبوت سلم المحطة خلف خادمه ثم شعل سيجارة وأخذ يتمشى ذهاباً وجيئة برأس مرفوع بالرغم من صفرة وجهه وحزنه . الى ان مل الشمس على هذه الحال فلما بلغ طرف الرصيف واصل سيره بجوار الخط الحديدى وهو لا يكاد يدري ما يفعل ، فلم يتعرض له أحد لان الطريق كان مأمونا

واصل تلبوت سيره الى ان وصل بعد نحو نصف ميل الى قنطرة قال نحو سورها المنخفض واتكأ بمرفقيه ونظر الى الوادى البديع الممتد أمامه بما فيه من أشجار الخوخ والبلوط ولكنه لم يلاحظ شيئاً من جماله تقريباً ، لانه كان ينظر الى صورة رالف الممقوتة التى تمثلها فى فكره ، صورة رالف وهو صاحب الحول والطول . ولكن لا ، سيعلق رالف فارتجدون على المشنقة

صحا تلبوت من لجة أفكاره العميقة على سماع وقع اقدام خلفه ، فالتفت فرأى جيبون خادمه مخاطبه بلهجة قاسية قائلاً

— قلت لك ان تنتظرنى فى المحطة . ارجع من حيث أتيت

لم يعبأ جيبون بقول سيده وظل يتقدم الى ان سقط ظله بجانب ظله ثم قال

— أريد مخاطبتك . أريد ان أخبرك اننى لست مرافقك الى لندن

فخدق تلبوت النظر اليه وقال فى ترفع

— عد الى المحطة . ستأتى معى أيها الكلب هل تسمع ما أقول !

هز جيبيون رأسه ومال الى سور القنطرة ، وقد دس يديه فى إحييه ،

ثم قال فى برود

— نعم سمعت ولكنى لست قادما معك . سأعود الى القصر وافشى كل شئ

فقال تلبوت وهو يمز على أسنانه

— هل عدت الى سكرت القديم أيها الكلب ! انك على حق ، لست جديرا

بصحبتى هيا أذهب بعيدا عن عيني

بصق جيبيون على الارض ونظر امامه كأنما لم يسمع الامر بالذهاب ثم قال

— نعم لابد من العودة لكى أخبرهم عن كل ما جرى

دهش تلبوت لتجدة الرجل وسأله قائلا

— تخبرهم عن أى شئ ؟

فقال جيبيون فى رباطة جأشه

— عن جريمة القتل

لم يرتجف تلبوت وقال فى مال واحتتار

— وماذا تعرفه عنها ؟ ما الذى تحمله فى رأسك أيها الاحق ؟

فرفع الخادم عينيه الى عيني سيده لأول مرة وقال

— اعرف كل شئ عنها ، فقد كنت هناك طول الوقت

شدت يدا تلبوت الضغط على السور ، وخيل اليه ان السماء الزرقاء الصافية

تحولت دما أحمر وصاح قائلا

— انت . . . كنت . . .

لم يستطع التفوه بأكثر من ذلك اذ التصق لسانه بملقه

فقال جيبيون وهو يبتسم ابتسامة قاسية مريعة

— نعم راقبتك تلك الليلة كما راقبتك من قبل مرارا . اننى أعرف ما تخفيه فى خزانة شاركوت مانشون ، واعرف جميع الاماكن التى تغشاها للعب القمار ، ولكن ليس هذا الان بذى بال لان لدينا ما هو أهم سكت جيبون هنيهة ثم بصق على الارض مرة أخرى . ولما لم يفه تلبوت بكلمة استطرد الخادم فى حديثه فقال

— رافقتك الى حيث كان الرجل جالسا فى الغابة وسمعت ورأيت كل ماجرى . وقد كنت راقدا وسط الحشائش على مقربة منك بحيث كان فى وسعك أن تسمع انقاسى وهى تتردد فى صدرى لولم تكن مشغول البال ، وهذا ما سأقصه على صاحب النخامة اللورد ورجال الشركة . لو أصغيت الى حديثى ذاك اليوم عندما طلبت النقود ، ولو عاملتنى يا مستر تلبوت كرجل بدلا من ان تعاملنى مثل الكلب لكتمت سرك وأمسكت لسانى عن الكلام . ولكنك برهنت على حماقتك وغباوتك . لقد عاملتنى دائما كما لو كنت قاذورة تحت قدميك بل شرار من ذلك — والآن اظن انه جاء دورى الآن يا مستر تلبوت لكى اكيل لك بالكيل نفسه وجد تلبوت خلال حديث الرجل وقتا كافيا استعداد فيه قواه وتملك حواسه فضحك فى سخرية وقال :

يلوح لى ايها الرجل انك تتكلم مثل معنوه استيقظ من كابوس . الاتبنا لك . من ترى تظن يستطيع ان يصدق مثل هذا الهذيان من رجل مجرم يحقد على سيده فقال جيبون :

— هذا قول جميل ، ولكن لدى براهين قوية ، فهناك الملابس التى امرتنى ان اتفص عنها الغبار وأنظفها فقد احتفظت بها وهى ملوثة بالافذار والحشائش فقال تلبوت

— سقطت فى حماة ، ثم يجوز أن تكون ارتديت الثياب نفسك — هل رأيت فقال جيبون :

— قول هراء . لدى الدفتر والشهادات

حملت عينا تلبوت فقال الرجل

— نعم ، لقد أثر فيك هذا القول يا مستر تلبوت ، اليس كذلك ؟ لقد أخرجت
الدفتري بما فيه من جيب الرجل عند ما ذهبت لتأني بالمعول ، هل تذكر ؟
نعم كان تلبوت يذكر كل شيء ، إذ أى حادث صغير من تفاصيل تلك الواقعة
المريعة لا يذكرها في كل وقت وحين ؟
ضرب جيبون جيب صدريته وقال :

— انها معي هنا . وستساعد السيد الشاب على نيل حقوقه كما ستساعد على
شنقك يا مستر تلبوت دني

وقف تلبوت جامدا كالتمثال وأخيرا قال خفاة

— ولكن هل تعلم انك بعملك هذا توقع نفسك في ورطة شديدة ؟ هل
تعلم — ولكن من أين لمثلك ان يعلم — انه إذا كنت أنا مذنبا فأنت ايضا في
خطر لانك اخفيت الجريمة وساعدت على إخفاء معامها
فتبسم جيبون وقال

— نعم لا أجهل ذلك ولكني سأعقد صفقتي مع اللورد ورجال الشرطة .
سأتحول الى شاهد ملك ، هل سمعت بمثل هذا القول في حياتك يا مستر تلبوت ؟
قد أكون كلبا أو أحمق ولكني لست جاهلا كما تظن
وفيما كان جيبون يتكلم جلس فوق سور القنطرة وجعل يهز رجله وهو
يحدق النظر إلى سيده في تشف

نظر تلبوت الى الامام ماداً بصره من فوق رأس الرجل فلم ير شيئا اللهم —
اللهم ماذا ؟ هل هي مقصلة ، ورجل طويل يشبهه في طوله على رأسه غطاء أبيض
يغطي عينيه ؟

ارتجف تلبوت ومر بيده على عينيه ثم قال بصوت خافت

— أصغ الى يا جيبون . لقد كنت لى خادما أميناً مخلصاً

فتمتم الخادم قائلاً

— « ايها الكلب » ، « ايها الكبير » ، « ايها الاحمق »
كرر جيبون الكلمات التي كان يسبه تلبوت بها ولكن لم يعرفها سيده
اهتماما وقال

— ... خادما أميننا مخلصا فلا أظن انك تضرنى

— إن اقل ضرر أستطيع ان الحته بك هو شنتك ، ولا بد لي من ذلك
فقال تلبوت

— لا أظن . لست احمق بحيث تروى هذه القصة ، فهات ذلك الدفتر ، وإذا
وعدت ان تمسك لسانك اعطيك بضعة الوف من الجنيهاات

ضحك جيبون ؛ لدهشة تلبوت ورعبه ، ثم قال

— سبق السيف العدل ! لم تبق في المحكمة الى النهاية — فقد أخبروني كيف
هربت — ولم تسمع الآنسة فيرونیکا تقسم انها رأتك تلك الليلة . انك تجهل ان
المستر سلبى رجل حاد الذهن . . . فارتاب في امرك

وفيا كان جيبون يتكلم في بطاء كأنما يتلذذ بكل كلمة ، كان فكر تلبوت
يشغل في جد ونشاط فقال ان هذا الشيطان الذى يعذبه يملك الدفتر فاذا وجد..

ميتا ... وذلك الدفتر في جيبه فمن يرتاب في انه هو القاتل ؟

كان الرجل جالسا على سور القنطرة ، فاذا سقط . . .

صرخ تلبوت صرخة مريعة ثم اتى نفسه على جلاده ومعهذه . ومع ان الحملة
كانت فجائية فقد لاحظ جيبون بريق عينيه القتال فاستجمع قواه وألقى ذراعيه
حول عنق تلبوت ، ولكنه كان قد أخذ على حين نرة فلم يستطع بعد مجهود
شديد ، إلا أن يخفف ظهره ولم يتمكن من وضع قدميه على الارض

ضغط تلبوت على الرجل بكل ما اوتي من قوة فكاد يقصم ظهره ولكن
استمد جيبون من يأسه قوة فرمى غريمه الى ان صار معه في مستوى واحد فترنح
الاثنان لحظة — ويا لها من لحظة رهيبه ! — فوق السور ؛ ولم تمض لحظة اخرى
حتى صرخ الاثنان معا وسقط من فوق السور وقد أمسك كل منهما بتلابيب
الآخر — الى الوادى الهادىء تحتهما

الفصل الرابع والعشرون

فى اللحظة التى كان فيها تلبوت دنى وخادمه يتقائلان فوق سور القنطرة ، دخل المستر سلبى الفندق وسأل عن فيرونيكا والمسترسانتسبورى فهرت الفتاة الى غرفة الاستقبال ، وهى تشعر بخليط من الاضطراب والخوف والهلع ، ثم سألت المحامى فى لهفة قائلة

— ماذا جرى يا مستر سلبى ، ولماذا دعوت ابن عمى المستر تلبوت دنى الى الشهادة ؟
— لاننى أريده بكل معنى الكلمة . والان اطلب اليك ان تتشجعى أيتها الانسة . نعم أنا واثق من ان طلبى محقق ولكن استعدى لاحتمال صدمة قوية .
أظن . . . بل أنا واثق تقريبا ... اننى اكتشفت القا ... المجرم
جلست فيرونيكا على مقعد بجانبها وهى خائفة القوى ، على حين صاح المستر سانتسبورى وبرشت — وكان قد دخل الغرفة — دهشة ، فقال المحامى
— نعم فى رأى ان الرجل الذى قتل جاك اوتواى هو — وهنا خفت صوته —
هو المستر تلبوت دنى

صرخت فيرونيكا هلعاً وارتياباً بالرغم من انذارها ونالت

— تلبوت . كلا . كلا . ان هذا مستحيل

فقال المستر سلبى

— لاشيء ممكن مثل المستحيل

فتمتت فيرونيكا قائلة

— ولكن ما الذى يحمل تلبوت على ... على قتل الرجل ؟ ثم أية صلة بينهما ؟

— لا أستطيع الاجابة على السؤال الاول جواباً جلياً صريحاً ولو اذنى وسعى

ان أبدي سبباً معقولاً . أما السؤال الثانى فى استطاعتى الاجابة عليه . أنظرى

(م — ١٨ حكم الهوى)

الى علبة الكبريت الفضية هذه : لقد وجدت هذه العلبة مع الجثة فلم يكثر بها أحد في البداية . نعم ان عليها شارة أمرة دنبي ولكن يمكن القول ان الرجل وجدها ملقاة على الارض او سرقها

فقلت الفتاة فى لهفة

— نعم . نعم ! أى نعم

— هو ما تقولين ، ولكن يجوز من جهة أخرى ان تلبوت أعطائها له . وعلى كل حال اخبرنى صاحب المنزل الذى كان يقيم فيه جاك اتواى انه شاهد هذه العلبة مع القتل قبل حادثة القتل بيوم واحد وانه لم يرها معه من قبل ، ولو كانت ملكه لسهل عليه رؤيتها . هذه اذن هى العلاقة بين الاثنين وهى علاقة ليست كبيرة ولكنها حلقة فى وسمى ان ابني عليها بقية الرواية

فسأله المستر سانتسمورى قائلاً

— وكيف ؟

فاجابه المحامى قائلاً

— بمساعدة المستر دنبي نفسه . سأذهب الان الى القصر لى التى عليه بعض أسئلة ، فلا تخبروا المستر رالف — معذرة — فانما اعنى اللورد دنبي ركب المحامى عربة الى القصر وسأل عن تلبوت فاجابه رئيس الخدم قائلاً — سافر المستر دنبي بقطار منتصف الساعة الخامسة ، فقد استدعى الى لندن فى مهمة خطيرة ياسيدى

فسأله المستر سلبى قائلاً

— هل تلقى نبأ سيثا . ما أجل هذا المكان . انها تبعة عظيمة . عسى ان لا يكون أمراً خطيراً ؟

فهز رئيس الخدم رأسه فى هدوء وقال

— اخشى ان يكون هناك أمر خطير ياسيدى

ركب المستر سلبى عربته وعاد الى هالمسرى فقابل المستر جراى مفتش البوليس

ثم ركبا العربة معا الى المحطة فاخبرها أحد الحمالين ان المستر تلبوت جاء مع خادمه في عربة الى المحطة وانهما سافرا بقطار منتصف الساعة الخامسة . نعم لم يرها عند ما ركبا القطار ولكنه رأى جيبون يبتاع تذاكر السفر ، ولا ريب انهما لا يبتاعان التذاكر اذا كانا لا ينويان السفر

لما سمع المحامى هذه الاقوال جذب رئيس الشرطة جانبا وهمس في اذنه قائلا — ارسل تلغرافا الى بوليس لندن ومرهم بمراقبة المستر تلبوت دبنى فصاح المستر جراى قائلا — لا ريب انك لا ترتاب . . .

ولكن استطاع المستر سلبي أن يحمله على ارسال التلغراف ثم عاد الى هالسى فاعتكف في غرفته وأخذ يدرس القضية من جديد نقطة نقطة أخيرا سمع المستر سلبي دقا على الباب فزعم ان الخادم جاء يخبره أنه أعد العشاء فناده قائلا — لا أريد الاكل . انصرف

ولكن فتح الباب ودخل عليه جراى . وكان الرجل ممتقع الوجه مضطرب الحواس والانفاس بحيث تمذر عليه الكلام تقريبا فقال — لقد . . . لقد وقع . . . حادث !

فقطب المستر سلبي جبينه فى ملل قائلا فى نفسه أى حادث وقع يمكن أن تكون له صلة بالقضية . ولما لم يجد لديه جوابا قال — حسن . ارسل الى الطبيب . لماذا تثقل كاهلى ؟ هل تلقيت جوابا من بوليس لندن ؟

— ليست ثمة حاجة الى ذلك يا مستر سلبي لقد وقع الحادث للمستر تلبوت دبنى — للمستر دبنى

— نعم وجد ملقى فوق الحشائش تحت القنطرة فقد وجدها صبي من الرعاة وهو طائد ببقرته الى المنزل

فسأله المحامى قائلًا

— تقول وجدها؟

— نعم هو وخادمه جيبون الذى وجد ملقى بجانبه ، بل الواقع وجد أحدهما ممسكا بتلابيت الآخر كأنما كانا يتقاتلان أو تماسكا عند سقوطهما

مد المستر سلبى يده ليتناول قبعته قائلًا

— وأين هما؟

— فى لين كورت . وقد اضطرب الصبى وعاد الى المنزل وهو يصرخ ويولول فذهب بعض الرجال الى مكان الحادثة ولما عرفوا المستر دبنى وخادمه نقلوها الى القصر . لدى دوكارا

ركب الرجلان العربى فسأل المحامى زميله قائلًا

— هل ماتا؟

— لا استطيع القول . لم انتظر لآتحرى الامر بل جئت اليك فى الحال

— حسن . . هيا . قف

وكانت العربى قد بلغت بهما الفندق فنزل المستر سلبى ونادى فيرونيكا . وكانت الفتاة قد سمعت بالحادث من قبل ، فالتفتاها المحامى شاحبة اللون مضطربة من جراء الكارثة فسألها قائلًا

— هل لك فى التقدم معنا ؟ قد يحتاج اللورد اليك

صعدت فيرونيكا الى غرفتها ثم عادت اليه بعد لحظة ترتدى سترتها وقبعته لم يفه أحد بكلمة تقريبًا اثناء سير العربى . ولما بلغوا القصر وجدوه فى حالة هرج ومرج والخدم فى اضطراب وذهول

كانت أول كلمة فاهت بها فيرونيكا سؤالها عن عمها فقالت

— أين اللورد ؟

فأجابها أحد الخدم قائلًا

— فى غرفته أيتها الانسة . ياله من حادث مريع ياسيدتى

صعدت فيرونيكا الى غرفة اللورد في الحال فالتفتة جالسا على كرسية بوجه صاحب ذابل ويدين مضطربتين . فلما وقعت عينا الشيخ عليها قال بلهجة الامتنان

— فيرونيكا ! اننى ... اننى مسرور بقدمك

جثت الفتاة بجانبه ثم تناولت يديه وتمتمت قائلة

— اخبرنى يا عمها . هل .. هل أصيب بضرر كبير ؟

فنظر اللورد اليها نظرة غريبة وقال فى ارتياح

— هل تسمى تلبوت ؟ لقد هلك لانهم وجدوه ميتا . اما خادمه جريمون

فقد وجد حيا ... ولا يزال

فسألته الفتاة بصوت خافت قائلة

— تلبوت مات ! كيف .. كيف حدث ذلك ؟

— لا استطيع القول . أعرف فقط كيف وجدوها . لابد انهما سقطا من

فوق القنطرة

— ان المستر سابى هنا . فهل ... فهل تود رؤيته

اعرب اللورد عن موافقته فى غير ا كتراث فقرع المستر سلبى الباب عندئذ

ثم دخل وقال

— معذرة يا مولاي . يجب ان تأتى معى لانك قاض والحاجة ماسة اليك .

لقد أرسلت عربة لتأتى باللورد سانتسبورى

قام اللورد لينبرو تساعد فيرونيكا وتبع المستر سلبى ، فمروا بالغرفة التى

وضعت بها جثة تلبوت المهشمة ودخلوا غرفة أخرى نقل اليها جيبون لتضميد

جروحه ، وكان الرجل مصابا بجروح قتالة ورضوض مريع ، تملو وجهه صفرة

الموت بحيث كان يخيل الى كل من يراه انه جثة هادمة لولا بصيص من الحياة

فى عينيه

وكان الدكتور ثورن جاثيا بجانب الجسم المهشم يعالجه بالادوية المنعشة ،

فرفع عينيه ثم تنفس الصعداء وقال بصوت خافت

— يسرنى قدومك يامولاي . لقد تكلم ... كلمة واحدة . ومن الغريب انه قاوم الموت الى الان ولكننه لا يمشى طويلا ، ويلوح لى ان لديه شيئا يشغل باله نظر الجميع الى الرجل الذى يحتضر فى رهبة وخشوع ، وهو فى قلق يحرك رأسه يمنة ويسرة . وقد وصل اللورد سانتسبورى بعد قليل فدخل وجلس بجانب اللورد لينبرو وأخذ يراقب المصاب مع الاخيرين أخيرا فتح جيبون عينيه وقال بصوت خافت ضعيف — نخامة اللورد ... احضروا ... قاضيا

فمال اللورد سانتسبورى فوق فراش الرجل وخاطبه قائلا — ان فخامة اللورد هنا ، وأنا قاض ، فماذا تريد قوله ؟

فقال جيبون بصوت هادىء غريب — هو الذى ... ارتكبها . حلقونى اليمين . أليس هنا ... شهود فقال المستر سلبى فى لهفة

— حلفوه اليمين . اسرع بالله يامولاي . انك لا تدري كم يتوقف على ... حلف جيبون اليمين ثم شرع يؤدى شهادته وهو يمدل مجهودا عظيما فقال بصوت خافت متقطع — هو الذى ارتكبها ... المستر تلبوت فقد تتبعته الى الغابة ... وشاهدته وهو يحاول ... سرقة الدفتر

فتمتم المستر سلبى قائلا — الدفتر ؟ أى دفتر ؟

— لقد تقاطلا من اجله ، فطعن المستر تلبوت الرجل . ولما ذهب بعد ذلك ليأتى بالمعول اخذت الدفتر من جيب القتييل . وهو ... وهو فى جيب صدريتي بحث المستر سلبى فى صدرية الرجل . فلما اخرج الدفتر الثمين ، تنفس جيبون الصعداء وقال بصوت متقطع

— لقد حملته معى منذ ليلة الحادثة . اننى اعرف السبب الذى حمله على

ارتكاب الجريمة ، فقد قرأت الشهادات ولكنى افسدت عليه خطته . ستجدون ملابسه فى صندوقى وهى كلها ملوثة وقد اعطانى اياها ... الاحق ... ولكنى تركتها ... تركتها كما هى

خفت صوته واخذ يتنفس بصعوبة ، ثم لم يلبث أن سبحت افكاره وصادت به الى العراك الذى دار بينه وبين تلبوت فوق القنطرة ، فجعل يعيد كل كلمة تقريبا قائلا :

— « اياها الكلب » ... « اياها الوحش السكير » ... « اياها النذل »
كان دائما يماملنى هذه المعاملة القاسية ويعدننى كشىء قذر تحت قدميه . اننى امقته وقد تعود الانسلاخ خفية اثناء الليل للذهاب الى اندية القمار . انه رجل خبيث شرير ... انه شر منى

ساد السكوت هنيئة ، تجنب فيها كل منهم النظر الى الآخر لهول ماسمعوا .
وأخيراً استطرد الصوت الضعيف المضطرب فى هذيانه قائلا

— آه ، حقا ! اننى لا اقل عنك قوة يا مستر تلبوت ... انك لا تستطيع القأى عنوة . أو اه . سأهوى ... ولكنى لا هوى منفرداً ... كلا . كلا . اذا كان لا بد من السقوط فلا بد من سقوطك معى ... أو اه . لقد هويتنا

حاول جيبون القيام فدفع ذراعيه الى الامام وطاق الهواء بحالة مريعة . على حين تجلت على وجهه الاصفر صورة رهيبة من المقت والرعب وبعد قليل ارخى ذراعيه فسقطا بجانبه لاجرا كما بهما

جذب الدكتور ثورن الملااة فى الحال على وجه الرجل وقال

قضى الامر واسلم الروح

طوق اللورد لينبرو ، فيرونیکا بذراعه وهو يرتجف ويئن دون أن يشعر ، على حين كرر الطبيب ما ذكره قائلا

— قضى الامر . لقد توفى الرجل

فقال المستر سلبى بصوت خافت لا يخلو من الفرح وهو ينظر الى الدفتر

— وتخلص اللورد دنى من الجريمة

الفصل الخامس والعشرون

احتشد في اليوم التالي جمهور من السكان لم يسبق له مثيل في سوق القرية .
فقد انتشر نبأ وفاة المستر دنبي وخادمه ، كما ذاعت اشاعة اعتراف جيبون بأنه
شاهد عيان للجريمة التي ارتكبها سيده ، وانتشرت على أثر الكلمات التي فاه
بها الخادم وهو يحتضر

وكانت الجماهير تهمج كالبحر الزاخر أمام دار المحكمة وتدفع ابوابها المعلقة
ويصبح بعضهم طالبين إطلاق سراح رالف وكان موعد انعقاد الجلسة الساعة
الحادية عشرة ، فشوهدت عربة القصر قبل هذا الموعد بقليل قادمة في الطريق
العام تقل اللورد لينبرو وفيرونيكا . وقد شاهد جمهور المتفرجين ان كليهما
يرتدى ثياب الحداد ، وان اللورد لينبرو صاحب الوجه . وكانت فيرونيكا ممتعة
الوجه ايضا غير ان عينيها كانتا نلمعان بنور لم يجد أهل القرية الذين يعطفون
عليها مشقة في تفسير معناه

اراد بعضهم ان يهتف ولكن اسكنه الذين ادركوا ان في القصر جثة
الرجل الذي كانوا يمدونه سيدهم العتيد

جلس جميع القضاة أمام منصة القضاء عدا اللورد سانتسبوري فقد وقف
في رجة المحكمة يتحدث مع المستر سلبى ، على حين تقدمت فيرونيكا الى المحامى
فدت اليه يدها ثم سألته بصوت خافت قائلة

— هل ... هل عرف ؟ ماذا أخبرته ؟ لم يأذنوا الى برؤيته ليلة امس ولا

صباح اليوم

فاوماً المستر سلبى برأسه وقال

— لقد حدث هذا بأمر منى ، أو بالحرى عملاً بنصيحتي ايتها الآنسة فيرونيكا .

فقد خشيت ان تجربته ان برأته تحققت

فقال الفتاة وهى تلهث

— وهو الواقع

— ولكنها لم تتحقق بعد . ما بين طرفة عين وانتباهتها ... »

فقاطعت الفتاة قائمة

— هل تلتجىء الى الامثال السائرة فى مثل هذه اللحظة ؟

— لا أجهل ذلك ، ولكننا معشر المحامين يجب ان نكون دائماً على حذر .

لاستطيع أن اخبر اللورد دبنى انه فى مأمن قبل ان يسمع النضاة الدليل ، على اننى اخبرته بما يبعث الرجاء فى قلبه ، ولو انه ليست ثمة حاجة الى ذلك . والواقع ألم تلاحظى كيف كان اكبرنا ثقة ؟

فقال فيرونيكا بصوت خافت

— هل يحدث شىء لا ألاحظه ؟

عادت فيرونيكا بخطوات خفيفة الى مكانها بجانب عمها ، وهو جالس يتكىء

بيديه على عصاه وقد أطرق كأنه لا يشعر بجمهور المتفرجين الذين سمح لهم الان بالدخول الى قاعة الجلسة . ولكن لما دخل رالف فقص الاتهام رفع الشيخ رأسه ونظر اليه نظرة مأوفا الحب والندم والاعجاب

بدت دلائل التوتر على وجه رالف لاول مرة منذ قبض عليه ، كأنما احس

بالعبء الملقى على عاتقه . وكان الشاب ينظر الى ابيه خول عينيه بعد قليل الى

فيرونيكا فرأى فى عينها ما جعل عينيه تلمعان حماسة ، ووجهه يضىء نورا

لم تسكف الجماهير عن الهرج والمرج وتلزم الصمت الا عند ما نهض المستر

سلبى ، فساد عندئذ سكون عميق رهيب . وكان المحامى لا يقل اصفرارا عن

المتهم نفسه عند ما دخل المحكمة فقال بصوت مضطرب متهدج على غير عادته

— تذكرون حضراتكم اننى دعوت المستر تلبوت دبنى الى الشهادة عند

ما تأجلت الجلسة أمس

سكت المحامى هنيهة ثم استطرد دفاعه فقال بصوت اكثر ثباتا
— ولكنه لم يوجد . على انه منذ ذلك الوقت دعى الى « محكمة » اخرى
ووقف امام « قاض » آخر . والآن لا يسعنى الا ان اترك القضية في يد صديقى
المستر جراهام الذى يمثل التاج كما اعهد اليه بنصرة العدالة
صرخ رالف صرخة خافتة ، على حين جلس المحامى وسط سكون رهيب
قام المستر جراهام وقال بوجه شاحب وصوت رزين
— اننى شاكر للمستر سلبى فضله اذ عهد الى باجلاء غوامض هذه القضية
المؤلة . ولا أريد ان اشغل وقت المحكمة بمخاطبتكم ولكنى ادعو ...

فقاطعه جمهور المتفرجين قائلين

اطلقوا سراحه . اطلقوا سراحه !

اسكت الجمهور ثم حىء بالشهود الواحد تلو الآخر — الصبي الذى وجد
الجثتين ، والرجل الذى اسرع الى مساعدته والطبيب ثورن ثم تلاهم اللورد
سانتسبورى الذى قرأ اعترافات جيبون

مسمعت اقوال الشهود فى سامة وملل . وكان الناس ينظرون فى عطف تارة
الى رالف وهو يتقبض على قضبان القفص ، وأخرى الى اللورد وفيرونیکا ،
وأخيرا صاححت احدى النساء قائلة

— لم يتل أحد شيئا . اطلقوا سراح اللورد الشاب . لقد طال وجوده فى

هذا المكان المذرى

فرغم اللورد سيبرو ، رئيس الجلسة ، يده واستطاع اعادة السكينه بعد
مجهود عظيم ثم قال

— هل قرر ممثل التاج سحب التهمة يامستر جراهام ؟

— نعم يامولاى مع الاسف الشديد على ما حدث

حدثت ضجة فأمر اللورد سيبرو الحاضرين بالانزام الصمت وخاطب المتهم قائلا

— رالف قارنجدون ...

فقاطعه جمهور المتفرجين قائلين

— بل اللورد دنبي . اللورد دنبي ؟

استطرد اللورد في حديثه بمشقة قائلاً

— ... رالف فارنجدون ؛ او بالحرى اللورد دنبي . . . يسرنى ان أقول اننا

لم نجد برهاناً على التهمة التى وجهت اليك . فلك ان تغادر هذه المحكمة مرفوع الرأس موقور الكرامة ثم لا يسعنا الا أن نكرر ما اعرب عنه ممثـل التاج من الاسف الشديد على ما حدث

حتى رالف رأسه وقال

أشكرك يا مولاي

طفت أصوات الهتاف على كلماته الاخيرة واندفع جمهور المتفرجين نحو القفص باسطين اذرعهم نحو رالف غير مكترئين برجال البوليس . وكان بعض الرجال على مقربة من القفص فدوا سواعدهم القوية ورفعوا الشاب من مكانه وحملوه فوق مناكبهم الى الخارج وهناك استقبلته الجماهير الغفيرة من الذين لم يستطيعوا الدخول فى قاعة المحكمة ، بهتاف كاد يصم الآذان . وكانت عربة القصر واقفة مقابل مدخل المحكمة الخاص بالقضاة فتقدم الرجال الذين يحملون رالف ووضعوه فى العربة ، خيام الشاب قائلاً

— شكرا لكم . شكرا لكم . اننى لا أقل عنكم فرحاً بخلاصى من هذه

التهمة المريـة

فصاح احدهم قائلاً

— نعم خلصت الآن ولكن ما ذا تكون النتيجة لو لم يلق الذى اقترف

الجريمة حتفه ؟

احدثت هذه الكلمات تأثيراً فى النفوس لم يكن منتظرا ، فقد ذكرت الجميع

ان جثة ابن اخى الشيخ ، الذى شوهد الآن وهو يتقدم نحو العربة ، فى القصر

تتحولت الضجة الى سكون تام

افسحت الجماهير وسط هذا الصمت الرهيب الطريق للورد لينبرو وفيرونيك، فوثب رالف من العربة وعانق أباه هنيهة ثم نظر كل منهما في عيني الآخر ، وأخيراً تناول الشاب يد حبيبته ورفعها الى شفتيه أوقد هذا المشهد نار الحماسة مرة أخرى في صدور الجماهير فتعالت اصوات العطف على حين ساعد رالف أباه وفيرونيك على ركوب العربة فوقف الشيخ منتصب القامة ورفع يده

وكان هناك كثيرون لا يميلون الى اللورد لينبرو ولا يعطفون عليه لانه عرف بالشدّة والصلابة وقلة العطف على الذين يشتغلون في مزارعه والازواء بعيدا عن الناس ، ولكن لما وقفوا الان ينظرون اليه ادركوا جميعا ما طراً على الشيخ من التغير . والواقع لانت اسارير وجهه الجامد ، ولمعت عيناه بنور العطف وذهبت عبوسة وجهه وتحركت شفاته ولكن لم يسمع منهما شيء ، وأخيراً ممعه الذين كانوا على مقربة منه يتمتم قائلاً

— أيها الاصدقاء ... اشكروا الله معي ... فقد وجدت ولدى المفقود

ثم جلس بجانب رالف وأمسك يده ، على حين سارت العربة بهم الى القصر

لما عاد رالف وعروسه الى القصر بعد قضاء شهر العسل ، استقبلا استقبالا عظيماً ندع وصفه للصحف المحلية التي قامت بواجبها خير قيام ، ولكن يجدر بنا ان نروي للذين يهمهم الوقوف على تاريخ رالف وفيرونيكاً حادثاً صغيراً وقع في الليلة الختامية للحفلات البديعة الطويلة

كان المدعوون على اختلاف طبقاتهم قد انصرفوا فاضطجعت فيرونيكاً على كرسي طويل امام المدفا . وكانت آدا من الزائرين الدائمين للقصر لشدة شغفها برالف فتركت مربيته واضطجعت بجانب رالف ولم تلبث ان غلب عليها النوم فنامت . وعلى ذلك لما رأى الشاب زوجته مضطجعة على هذه الحال سألها بصوت خافت خشية اطلاق آدا قائلاً

— هل أنت تمبة يا عزيزتى ؟

— كلا . ولكنى مشغلة البال

— بماذا ؟ لعلها افكار سارة يا فيرونیکا

نظرت الفتاة اليه فى شغف ثم بدت على وجهها دلائل التأثر وقالت فى توسل

— هل لابد من اخبارك يا رالف ؟

فاجابها فى جد قائلاً

— بلا ريب . انك لى جسم وروحا وافكارا يا عزيزتى

مدت فيرونیکا يدها فتناولها الشاب فى رفق وهى تقول فى تبرم

— اذا كان لابد لى ان اخبرك فاعلم يا رالف اننى كنت افضل على كل حال ...

أواه . كلا . لا أقول . ان هذا جهود وخفة عقل

فقال رالف متظاهراً بالحزم

— آمرك ان تتكلمى

— كنت افكر كيف ... يكون الامر ... لوبقيت ... ستضحك منى يا رالف

انك دائماً تضحك كلما اردت أن اتحدث فى جد

سكتت فيرونیکا عجزاً ، فضحك رالف ضحكة رقيقة ، ولكن فيرونیکا بدلا

من أن تتشجع جبت وقالت

— ... لوبقيت رالف فانجدون وذهبت الى اسراليا وتبعتك ... لو سافرت

لتبعتك يا رالف لانه لا يستطيع شىء ان يحول بينى وبين ذلك كما تعلم

— لاشك فى ذلك . ليس ثمة شخص اشد عنادا من الانسة فيرونيكادنى

متى استقر رأيها على امر

فتمتت الفتاة قائلة

— ليس دائماً يا رالف . هل نسيت اننى خضعت مرة يوم كنا فى مظلة الغابة

وتركتك تذهب

— قد تكون الشواذ قاعدة . ولكنك لم تلبثي ان ندمت يا عزيزتي

فنتنفست فيرونيكا الصعداء وأعترفت قائلة

— نعم ندمت على ما فرط مني ، ولكن لنفرض — وهنا أرسلت الى جانبه

واخفت وجهها في منكبه — ولكن لنفرض اننا تزوجنا . هل كنا نزوج يارالف

فقال الشاب وهو يبتسم ابتسامة لم تخف هواه واعجابه

— بل اريب . انك من الذين لا يهدا لهم بال حتى يقضوا لباتهم مهما

كلّفهم الامر .

— لو كنا فقيرين ، نعماني شطف العيش ، انت المستر فارنجدون وانا مسز

فارنجدون ، فهل تظن انك ... تكون اعظم اهتماما بي ؟ ... أو اه . انتظر .

يخطر ببالي احيانا ان الله قد بالغ في اكرامي واعطاني اكثر مما استحق . لم اضع

شيئا من اجلك . فقد عدت الى هنا — وهذا لقت على ماحولها نظرة تكاد تنم

على الاسف وفزت بكل شيء بفضل حبي لك . ثم ... ثم يدور بخلدى احيانا ...

أو اه كم كنت اتنى لو ضييت شيئا اكراما لك ، وعملت معك للحصول على خبز

اليومي ، وتضورت جوعا من اجلك : لقد أعطيني كل شيء ... ولم اعطك شيئا

وضع رالف رأس الطفلة في رفق على وسادة ثم قام وقاد فيرونيكا الى ممر

على مقربة ثم همس في أذنها قائلاً

— انظري يا عزيزتي الى هذا الوجه المليح الفتان ، هذا هو الكثر الثمير

الذي أعطيتني اياه

سمع عندئذ وقع اقدام خلفهما وصوت يناديهما قائلاً

— هل ذهب الجميع ؟ رالف . فيرونيكا أين أنتما ؟

تحوات فيرونيكا عن زوجها ثم طانقت عمها وقبلته ، فنظر الشيخ اليها

رفق وحنان وقال بصوته الحنون

— هل انت تعبـة يا عزيزتى ؟ ماذا . . . ماذا . . . لماذا تبكين يا فيرونيكا ؟
كفكفت الفتاة دموعها ثم تبسمت وهى تنظر الى صمها تارة والى زوجها
أخرى ، وأخيرا تمتمت قائلة
— ابكى لفرط سعادتى وهنأى

تمت



— قد تكون الشواذ قاعدة . ولكنك لم تلبى ان ندمت يا عزيزتى

فتمنست فيرونيكا الصعداء واعترفت قائلة

— نعم ندمت على ما فرط منى ، ولكن لنفرض — وهنا انسلت الى جانبه

واخفت وجهها فى منكبه — ولكن لنفرض اننا تزوجنا . هل كنا نتزوج يا رالف

فقال الشاب وهو يبتسم ابتسامة لم تخف هواه واعجابه

— بل اريب . انك من الذين لا يهدا لهم بال حتى يقضوا لباثهم مهما

كلهم الامر .

— لو كنا فقيرين ، نعانى شظف العيش ، انت المستر فارجدون وانا مسز

فارجدون ، فهل تظن انك ... تكون اعظم اهتماما بى ؟ ... أو اه . انتظر .

يخطر ببالي احيانا ان الله قد بالغ فى اكرامى واعطانى اكثر مما استحق . لم اضح

شيئا من اجلك . فقد عدت الى هنا — وهذا القت على ماحولها نظرة تكاد تنم

على الاسف وفزت بكل شيء بفضل حبي لك . ثم ... ثم يدور بخلدى احيانا ...

أو اه كم كنت اتمنى لو ضييت شيئا اكراما لك ، وعملت معك للحصول على خبزنا

اليومى ، وتضورت جوعا من اجلك : لقد أعطيتنى كل شيء ... ولم اعطك شيئا

وضع رالف رأس الطفلة فى رفق على وسادة ثم قام وقاد فيرونيكا الى مرآة

على مقربة ثم همس فى أذنها قائلاً

— انظرى يا عزيزتى الى هذا الوجه المليح الفتان ، هذا هو الكنز الثمين

الذى أعطيتنى اياه

سمع عندئذ وقع اقدام خلفهما وصوت يناديهما قائلاً

— هل ذهب الجميع ؟ رالف . فيرونيكا أين أنما ؟

تحوات فيرونيكا عن زوجها ثم عانقت عمها وقبلته ، فنظر الشيخ اليها فى

رفق وحنان وقال بصوته الحنون

— هل انت تعبۃ يا عزيزتى ؟ ماذا . . . ماذا . . . لماذا تبكين يا فيرونیکا ؟
كفكفت الفتاة دموعها ثم تبسمت وهى تنظر الى صمها تارة والى زوجها
أخرى ، وأخيرا تمتمت قائلة
— ابكى لفرط سعادتى وهنائى

تمت



أشعر الناس

رواية غرامية خيالية اجتماعية ذات حوادث مذهشة تأليف الروائي الشهير
المستر شارلس جارفيس وهي جزءان عدد صفحاتها خمسمائة منها ١٠ قروش وأجرة
البريد قرشين

طبيب الضحايا

رواية تاريخية ؟ أخلاقية ؟ ذات حوادث مثرية تأليف الكاتب الشهير
المدموازيل أديث مودهل ثمنها ٥ قروش وأجرة البريد قرش ونصف

كلاين الحسنة

رواية غرامية . أخلاقية . اجتماعية تأليف الكاتب الروائي الذائع الصيت
المستر شارلس جارفيس وثمنها خمسة قروش وأجرة البريد قرشين

